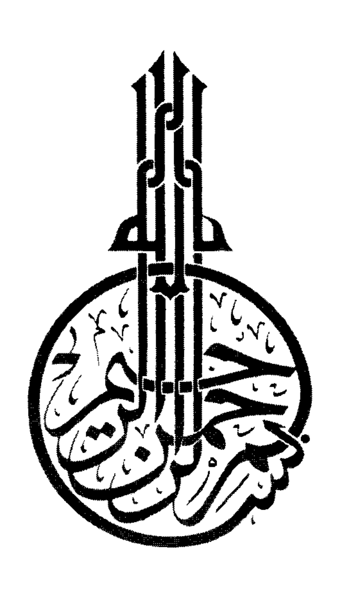
الإسلام

يتصدّى للغرب الملحد

تأليف

الدكتور محمد نبيل النشواتي





الإسلام
يتصدّى للغرب الملحد

الطّبعَة الأولى

١٤٣١هـ ـ ٢٠١٠م

تُطلب جميع كتبنا من:

دار القلم ـ دمشق هاتف: ٢٢٢٩١٧٧ فاكس: ٢٢٥٥٧٣٨ ص.ب: ٤٥٢٣

الدار الشامية ـ بيروت هاتف: ٨٥٧٢٢٢ (٠١) فاكس: ٨٥٧٤٤٤ (٠١) ص.ب: ١١٣/٦٥٠١

www.alkalam-sy.com

توزّع جميع كتبنا في السعودية عن طريق:

دار البشير ـ جدّة: ٢١٤٦١ ص.ب: ٢٨٩٥ هاتف: ٦٦٠٨٩٠٤ / ٦٦٥٧٦٢١

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ
(1) وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَآمَنُوا بِمَا نُزِّلَ
عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ
وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ (2) ذَٰلِكَ بِأَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا اتَّبَعُوا الْبَاطِلَ
وَأَنَّ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّبَعُوا الْحَقَّ مِن رَّبِّهِمْ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ
لِلنَّاسِ أَمْثَالَهُمْ﴾ [محمد: 1 ـ 3].

صدق الله العظيم

مقدمة

الحمد لله حمداً كثيراً يوافي نعمه ويكافئ مزيده ويدفع نقمه، وسبحان مالك الملك، مُبدع السموات والأرض، الذي هدانا النجدين، وجعلنا من المكلَّفين: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦].

لقد أوجد اللهُ ﷻ الحياة ليبلونا أيُّنا أحسن عملاً، وجعل نهايتها الموت، ثم أتبع ذلك بالبعث والحساب، ووهب الجنة للمتقين الأخيار، وأعَدَّ الجحيم المقيم للزنادقة الملحدين ولأعداء الإسلام والمسلمين: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾ [المؤمنون: ١١٥].

لقد فطرنا سبحانه على دين الحق: ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا﴾ [الروم: ٣٠]، فجعلنا بذلك مقرِّين بوجوده وربوبيته: **«كل مولود يولد على الفطرة»**[1].

فأمّا من زاغ قلبه وضعفت إرادته فإنه سيكون ألعوبة بأيدي شياطين الجن والإنس يتقاذفونه بين فلسفاتهم ووساوسهم حتى ينزعوا الإيمان من أعماقه، ويبذروا فيها الخبث والهواجس والشك والإلحاد.

لقد سعى فلاسفة الإلحاد دائبين إلى تأليب الناس على الإسلام والمسلمين، وأوغروا صدورهم ضد الرحمن الرحيم، لقد أنكروا وجود الله والبعث والحساب، ثم دعوا الناس إلى الاستمتاع بكل ما تزخر به الحياة الدنيا من مُتع وملاذٍّ ولهوٍ، وقادوهم إلى الإباحية والشذوذ وكافة ألوان الفساد.

(١) رواه البخاري ومسلم، عن أبي هريرة رضي الله عنه.

ولتحقيق مآربهم اعتمدوا الميكيافيللية: «الغاية تبرِّر الوسيلة»، وتجاهلوا الإسلام وشرائع السماء.

لقد أشركت الأمم السالفة مع الله آلهة أخرى لتقرِّبهم إليه زُلْفى، وكانوا إذا ما نزل بأحدهم خطب ما ولم يكن بحوزته صنم اتَّخذ من أيِّ حجر آلهة يتضرَّع إليها لتتوسّط له عند الله كي يزيل عنه كربه وغمَّته، وإذا كان بحوزته آلهة من تمر فجاع ولم يجد ما يسدّ جوعته التهمها دون أن يخشى بطشها!..

هكذا كان حال الأولين، لقد كانوا مشركين أكثر منهم ملحدين، ولكنهم رغم ضيق أفقهم كانوا أعزَّة، وقد تحلَّوا بمكارم الأخلاق، وصانوا أعراضهم وشهروا السيوف وبذلوا الدماء والأرواح ذوداً عن كرامتهم وحرماتهم، ولم ينتهكوها بأنفسهم قطّ.

وبعد أن ارتقت علوم الإنسان وقدراته العقلية، وبعد أن أصبح أقدر بكثير على التفكُّر في عظمة الخالق وفي سموّ آلائه وقدراته ومعجزاته، ورغم التقنية الحديثة التي مكَّنته من رؤية هذه المعجزات رأي العين، فقد جحد رجالُ وساسةُ وفلاسفةُ الحضارة الغربية المعاصرة وجود الله وأنكروا البعث والحساب والحياة الآخرة، واعتبروا ما جاء في شريعة الإسلام أوهاماً ونسج خيال!.

لقد تمخَّضت حضارتهم الجوفاء عن عدد غير قليل من الأحزاب والحركات الهدَّامة كالعلمانية والماسونية والشيوعية والمادية والوجودية وغيرها، لقد دعا هؤلاء العامةَ من الناس إلى السعي وراء الشهوات، وإلى التحرُّر وجعل المرأة سلعة رخيصة في متناول الأيدي، وقالوا: إنها وردة نضرة يحقُّ لكل من يشتهيها أن ينال ما شاء منها، وأن ينهل ما طاب له من رحيقها!.. لذا انجذب لهذه الفلسفة المخادِعة من كان في قلوبهم مرض ومن طغى فيهم جانبهم الحيواني المتمرِّد.

وبما أن الفلسفات الحديثة جميعاً تنزع إلى الرذيلة وتدعو إلى الإباحية، وبما أنها ناسبت أهواء ورغبات المنحلِّين الفاسدين الذين ينظرون إلى الحياة

الدنيا على أنها لعب ولهو ومُتع، لذا انتشرت الأفكار الغربية الملحدة انتشار النار في الهشيم، حتى توغَّل الإلحاد، فأضحى سمة من سمات العولمة والعصر!..

لقد لعبت الصهيونية العالمية دوراً كبيراً في إيذاء الإسلام والمسلمين، كما تمكنت من تأليب الغرب ضدنا، ومن تكريس كل إمكاناته وآلاته الحربية المتطورة وطائراته وصواريخه الفتَّاكة ضد شعوبنا المسالمة الآمنة والمغلوبة على أمرها، والكوارث التي نزلت بالإسلام والمسلمين وبشكل خاص في فلسطين وأفغانستان والعراق بعد الهجوم على نيويورك وواشنطن في (١١ سبتمبر ٢٠٠١م) كان تجسيداً حيّاً للمؤامرة الصهيونية ـ الأمريكية ضد المسلمين.

لقد ناصبونا العداء لا لشيء سوى أننا أتباع دين سماوي حنيف؛ لأجل ذلك صار لزاماً علينا معشر المسلمين أن نكشف أفكار ومؤامرات الصهيونية والغرب وحركاتهم الملحدة برمّتها؛ لتحصين أجيالنا والأجيال التالية من الخطر المحدق بهم، لنحول دون وقوع المزيد من البسطاء في براثن الصهيونية والماسونية، ودون سقوط المزيد من أبنائنا في حمأة الكفر والرذيلة والإلحاد.. كما صار واجباً علينا أن نحدَّ من انتشار هذا الطاعون الوبيل، وأن نأخذ بيد من ضلَّ الطريق من ضعاف القلوب، فنعيده إلى جادة الحق وإلى الصراط المستقيم.

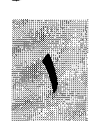
ولكي يتم لنا ذلك لا بد لنا أن نكشف للعامة شرور الفلسفات الغربية الملحدة، ونبيِّن أهدافها ودوافعها وجميع نشاطاتها الخبيثة وأساليبها الشيطانية الماكرة التي اعتمدتها ضد الإسلام والمسلمين.

والله أسأل أن أكون قد وفِّقت فأحسنت الأداء، كما أسأله ﷻ أن يحقِّق هذا الكتابُ المتواضعُ الغايةَ المرجوةَ منه، **والله ولي التوفيق.**

المؤلف

الدكتور محمد نبيل النشواتي

الفصل



نشأة الإلحاد والمادية

● **تمهيد:**

عُرفت الهرطقة (الزندقة أو الإلحاد) منذ فجر التاريخ، ولإلحاده قُتل الفيلسوف سقراط عام (٣٩٩) قبل ميلاد المسيح عليه السلام.. لقد دفع هذا العالم اليوناني حياته ثمناً لزرايته بآلهة أثينا وشعبها ولاستهزائه بعقائدهم الدينية.

كما قُتل قبله عدد كبير من الزنادقة؛ كالنحّات المشهور **فيدياس** (٥٠٠ ق.م)، والكاتب **يوربيدس** (٤٧٠ ق.م)، **وأسباسيا** خليلة بركليس حاكم أثينا (٤٩٠ ق.م).

وعلى النقيض من هؤلاء كان الفيلسوف الكبير **أفلاطون** مؤمناً ومتشدِّد الإيمان، وقد دعا إلى جمهوريته أو مدينته المثلى التي كان يأمل أن يشكِّلها، كما دعا إلى قتل كل من يتجرَّأ على الذات الإلٰهية العليا وعلى الدين وعلى شرائع السماء.

أولاً: النظرية المادية (الذرية):

في الفترة ما بين (٤٦٠ ـ ٣٦١ق.م) ظهر الفيلسوف الإغريقي **ليوكيبوس (Leucippus)** الذي وضع أسس النظرية المادية، وسماها آنذاك (النظرية الذرِّية).. لذا فقد عُرف أنصارها بالذريين **(Atomics)**، الذين سعوا إلى إفساد شباب المجتمع، وإلى زلزلة معتقدات الشعوب الدينية، كما دأبوا على تشكيك الناس بخالقهم وبالبعث وبالحياة الآخرة.

وبرز من هؤلاء **سقراط وأبيقور** والشاعر الروماني **لوكريشيوس** (٩٩ ـ ٥٥ ق.م).. وأخيراً الفيلسوف المعروف **ديموقراطس** الذي تبنَّى هذه النظرية والحركة التي قامت على أساسها.

تقول نظريتهم الملحدة: «الروح مادة كالجسد، وهي تتكون من ذرات غاية في الدقة والنعومة، وهي مستديرة وكثيرة الشبه بذرات النار، وهي تتلف عندما يتوقف التنفس الذي يساعدها على التماسك».

ومن مبادئهم: «الفكر عملية ماديَّة فيزيقية (طبيعية) بحتة».

وقالوا: «بأن ذرات الروح الموجودة داخل الجسم على اتصال مستمر ومباشر بذرات المواد الموجودة في الوسط الذي يحيط بنا؛ لذا ومن خلال هذا الاتصال تتعرَّف الروح على كل شيء موجود حولنا.

أمّا الفكر والمعرفة والإبداع فإنها تنجم عن تغيُّرات مادِّية في ذرات الروح والتي تحدث نتيجة دخول الانطباعات إليها من الخارج.

أمّا الإحساس فقد كان بنظرهم تغيُّراً يطرأ على العضو الخاص به؛ ينجم هذا التغيُّر عن دخول الجزيئات الخارجية المنبعثة من الأشياء في جزيئات الأعضاء الحسيّة ـ أي: تداخلها ببعضها».

لقد جعل هؤلاء الفلاسفة الأوائل كل شيء مادة حتى الأشياء غير الملموسة وغير المرئية كالروح والمشاعر والأحاسيس والعواطف وغيرها جعلوها مادية.

إنه مفهوم غريب؛ والأغرب منه أنه قديم قدم التاريخ!..

كما يقول الماديون القدامى أجداد الماركسيين والماديين الجدليين والملاحدة والطبيعيين (الداروينيين): إنّ ذرات الكون الأولى قد وُجدت بطريق المصادفة، ولكن ـ وبعد تشكّل الكون ـ تحكّمت فيه قوانين طبيعية ميكانيكية، فسيَّرته وحافظت عليه من الزوال، وستبقى على ذلك إلى الأبد.

وبمقارنة هذه الفلسفة وبنود هذه النظرية ببنود النظرية المادية الديالكتية الحديثة التي ظهرت إلى عالم الوجود في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر نجدهما متطابقتين تمام التطابق.

وإذا قرأتَ كتاب (المادية الديالكتية والمادية التاريخية) لـ **سبركين وياخوت**، وكتاب **ستالين** (المادية الديالكتية)، وكتاب **جورج بوليترز** (أصول الفلسفة الماركسية)؛ لوجدت التشابه بيِّناً بين أفكار أصحابها وأفكار الملاحدة اليونان قبل ميلاد المسيح عليه السلام، وسيتأكَّد لك أنَّ ملاحدة وفلاسفة عصر النهضة الأوروبية الذين ظهروا إبّان الثورة الفرنسية (١٧٨٩م) قد استمدوا أفكارهم من الأقدمين، ثم زادوا عليها ليجعلوها أكثر ملاءمة لطبيعة عصرهم.. **﴿كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِم مِّثۡلَ قَوۡلِهِمۡۘ تَشَٰبَهَتۡ قُلُوبُهُمۡۗ﴾** [البقرة: ١١٨].

ومما قاله الماديون (الذريون) الأوائل: إن للآلهة وجوداً ماديّاً كالبشر تماماً، وإنها قد ظهرت نتيجة عمليات فيزيقية وميكانيكية لبعض ذرات الكون.

وقالوا: إن الآلهة ـ وآلهتهم كثر ـ تشبه البشر في شكلها وفي تفكيرها وفي كافة تصرفاتها وسلوكها، وإنها تتزاوج وتحمل وتلد كالبشر، ولها صوت وهي تتكلم نفس كلام البشر، ولكنها أكبر حجماً من البشر، وهي على قدر كبير من الحكمة والعلم والقوة والجمال، وتعيش فترة أطول بكثير من عمر الإنسان، ولكنها ليست خالدة إلى الأبد.

لقد أنكروا قدرة الآلهة الخارقة، ولكنهم يعترفون بتأثيرها المباشر على الإنسان، والتي منها الحسن، ومنها ما يضرّ ببني البشر.. وقالوا: إن التأثير يختلف باختلاف طبيعة وسلوك الآلهة.

فكان من هذه الآلهة من تخصَّص بالحرب أو بالسلم، ومنهم من تميَّز بالجمال كڤينوس، ومنهم من تخصَّص بالحب كأفروديت، ومنهم من كان رمز القوة والشجاعة مثل هرقل، ومنهم من تخصَّص بالحفاظ على السماء مثل

حيرا. . . وهكذا؛ فالآلهة كثر، وهم يتزاوجون مع بني البشر ليخلِّفوا آلهة على شاكلتهم، وحسناوات وعباقرة وفلاسفة ومحاربين أشدّاء لهم طاقات فوق طاقة البشر وقدراتهم.

● وبمقارنة هذه النظرية السحيقة في قِدَمها بنظرية الفيلسوف الإنكليزي الملحد **جون لوك** (١٦٣٢ ـ ١٧٠٤م) نجدهما متشابهتين، ولكن الملحدين الجدد أضافوا إلى المفهوم القديم أن الإنسان كان قبل ملايين السنين جرثومة حقيرة في مستنقع آسن، ثم تطور بالتدريج حتى وصل إلى ما هو عليه من الجمال والكمال والعقل والبصر والبصيرة!. . وكما قال الأسبقون ردَّد من بعدهم المعاصرون ومن سبقهم بعد الثورة الفرنسية ما مفاده: إنّ الإنسان تطور فانحدرت عنه الآلهة. . وكانت الفلسفة الملحدة تنادي رفاقها ليواقعوها، لأنها تودُّ أن تلد مسيحاً جديداً!. . وغير ذلك من العبارات! إنهم يقصدون بذلك ولادة آلهة لأنهم يعتبرون المسيح إلٰهاً ناسوتيّاً، ومنهم من يعتبره إلٰهاً في شكل ناسوتي. . تعالى الله عما يقول الظالمون علوّاً كبيراً.

ثانياً: النظرية التعددية:

بعد أن اندثرت النظرية الذرية وطوى التراب والزمن أصحابها ظهرت النظرية التعدّدية التي قال فلاسفتها: إن للذرات قدرة عجيبة على الالتقاء والالتحام ببعضها، وبذلك ستتشكل منها مواد ومركبات جديدة مغايرة للمواد الأساسية. . وباتحاد هذه المركبات الجديدة بعضها ببعض ظهرت إلى الوجود مواد أكثر تعقيداً ولها خاصيَّة التغيُّر المستمر!.

واعتمدت نظريتهم على الظن والخيال والأوهام، وكان ينقصها الدليل العلمي والتجريبي والتاريخي. . لقد قالوا ما قالوه ليفسِّروا للناس السرَّ الكامن وراء التغيير والتنويع اللانهائيين في عناصر الكون (علماً بأن عناصر الكون ومخلوقاته ثابتة لا تتغيَّر ولا تتطوّر، وهي تميل إلى الاستقرار لا إلى التغيُّر،

مَثَلُها في ذلك مثل العناصر المشعة كاليورانيوم، الذي يتحول من عنصر مشع إلى آخر مستقر أو غير مشع وهو الرصاص.. وبما أن هذا التحول بطيء ويستغرق (٤٥٠٠) سنة؛ لذا يتعذَّر علينا رصده إلا بالتقنيَّة الحديثة).

لقد رأى التعدّديون أن التغيُّر والتطور الذي أظهرته المركَّبات غير الحيّة قد نجم عن عمليات ميكانيكية حدثت في ذرات هذه المركبات، فدبَّت فيها الحياة!.. إنه خيال ووهم وتدليس وتهريف لا يمت للحقيقة بصلة.

وإذا قارنّا هذه النظرية بالنظرية الحديثة لنشوء الكون والخلق التي ظهرت بعد الثورة الفرنسية نجدهما متطابقتين تماماً.

● وفي عام (٥٠٠) قبل ميلاد المسيح ﷺ قال **بروتاجوراس في** كتابه (حول الآلهة) ما مفاده: «طالما أن الآلهة غير ملموسة ماديّاً؛ فهي إذن غير موجودة»، لذا فقد دعا هذا المارق إلى ممارسة كل ما يمليه العقل على صاحبه، وإلى تلبية حاجات النفس البشرية التوَّاقة إلى المتعة والبهجة والجنس والتملّك، دون خوف من الآخرة والبعث والحساب، التي لن يكون لها وجود حسب رأيه.

صحيح أن هذه الفلسفة قديمة وقديمة جدّاً، إلا أنها مطابقة للفلسفة البراجماتية الحديثة وللماسونية وللمادية وللشيوعية التي تقول: «إذا تعذَّر علينا الوصول إلى حقيقة موضوعية عن شيء ما فإننا لن نجزم بوجوده، وبالتالي يتحتَّم علينا التسليم برأي الأغلبية وبرأي مَنْ هم أكثر منا علماً وحكمة ومعرفة»!.

ثالثاً: الفلسفات الليبرالية الإلحادية:

هذا ما كان عليه حال الإلحاد في أوروبة قبل ولادة السيد المسيح ﷺ.. لقد استمر الأمر على ما هو عليه حتى نهاية عصر الانحطاط (القرون الوسطى) وبداية عصر النهضة؛ حيث تفجرت الثورة الفرنسية عام (١٧٨٩م)، عندها

- وبسبب الظلم الذي مارسته الكنيسة ورجالُها على عامة الشعب وعلى الفقراء بشكل خاص - ظهرت فلسفات ليبرالية كثيرة كان من أبرزها فلسفة ديكارت.

ونادت هذه الفلسفات إلى تحرُّر الإنسان من جميع العقائد الدينية وفي مقدمتها المسيحية والإسلام، ثم ركَّزت حقدها ومكرها على الإسلام، كما دعت إلى حرية الفكر وإلى الإباحية، وإلى السعي وراء اللذات ومتع الحياة.

وبما أن فلسفاتهم ابتدعت فكرة: الغاية تبرِّر الوسيلة (الميكيافيلية)، جنح الأفراد إلى الغش والتدليس والرشوة والإباحية واستخدام الهوى وبنات الهوى لتحقيق غاياتهم، بينما جنحت حكوماتهم إلى العنف والاستعمار لاغتصاب الشعوب الفقيرة ونهب ثرواتها ومقدّراتها.

وتمخضت هذه الفلسفات الشاذّة عن ظهور طبقة بورجوازية وأرستقراطية استغلّت جهد وعرق وقدرات الطبقة البروليتارية (العاملة) أسوأ استغلال.

ونجم عن هذه المعاناة المديدة والمظالم الاجتماعية التي سحقت الطبقة العاملة ظهور الفلسفة الاشتراكية، ومن ثَمَّ الماركسية وغيرها من الفلسفات المشابهة التي ناصبت البرجوازية ألدَّ العداء.. لقد أطلقوا على فلسفتهم وعلى نظام حكمهم اسم: (ديكتاتورية البروليتاريا) التي أطلقت شعارات رنانة بهرت العمال والفلاحين وكافة المسحوقين والفقراء المذلولين، ولكن سرعان ما تبين لهم أنهم قد غُرِّر بهم!.

من هذه العبارات الزائفة ما قيل بأن الدولة والحكم سيكونان لهم وبأيديهم، وأنهم سيستلمون مقاليد الأمور لأنهم أصحاب الحق لكونهم هم الذين يكدحون ويكدون وينتجون.

وبالفعل فقد تمَّ القضاء على دولة القياصرة في روسيا، وعلى الملكية في فرنسا، وقُتل أفراد الأُسر الحاكمة، بل وأبيدوا عن بكرة أبيهم لئلا تقوم لهم بعد ذلك اليوم قائمة.

لقد استبشر الكادحون، وتوسَّموا الخير العميم، وحلموا بمستقبل زاهر ومشرِّف لهم ولأولادهم، ولكن ما إن انتقلت الشعارات والأفكار والفلسفات والنظريات إلى حيِّز التطبيق العملي حتى أطبق قادة الشيوعية على عامة الشعب، وكشَّروا عن أنيابهم، وأحكموا الخناق حول أعناق الناس، واستغلوهم أسوأ ما يكون الاستغلال، ثم حوَّلوهم إلى ما يشبه الحيوانات يكدُّون اليوم بأكمله مقابل قدر بسيط من الطعام لا يسدّ جوعتهم وخوار بطون أطفالهم الطاوية، لقد كدَّسوهم في بيوت جماعية خربة، وجعلوا في كل غرفة أُسرة مؤلفة من أبوين وصبية وبنات، وكثيراً ما اجتمعت عدة أسر في غرفة واحدة!.. لقد جعلوهم كالبهائم يمارسون الجنس على مرأى من أولادهم، وإذا أراد أحدهم قضاء حاجة في الحمام، كان عليه أن يستعين بوسيلة تستره وتستر عورة زوجته وبناته اليافعات؛ لأن الحمام من دون باب.

فاستُبدلت الطبقة البرجوازية السابقة بعناصر الحزب الحاكم بكافة مراتبهم ودرجاتهم ومنازلهم.. لقد سكنوا القصور المنيفة والفلل الضخمة والشقق الفاخرة، كل حسب درجة ولائه لحزبه وتفانيه وتزلّفه لرؤسائه.

لم يتجاوز عدد هؤلاء البرجوازيين الجدد ستة ملايين، عاشوا في رخاء ونعيم، وحكموا الشعب الذي زاد تعداده عن (٢٠٠) مليون بيدٍ من نار وأخرى من حديد.

لقد أعطوهم غرفاً خالية إلا من بعض الأثاث الرثّ البالي، وتفضَّلوا عليهم بقليل من الطعام الذي لم يسدّ جوعتهم، وكانوا يأخذونه ببطاقات خاصة من جمعيات تعاونية، وغطّوا عورتهم برداء واحد شتوي وآخر مثله صيفي لا يلبِّي رغباتهم، ولا يناسب أذواقهم، ولا يحقِّق شيئاً من أحلامهم، كما كان مرتَّبهم ضئيلاً لا يتناسب وطموحاتهم وآمالهم وآمال أولادهم!.. وإذا نبس أحدهم ببنت شفة فسيكون مصيره الموت أو غياهب السجون أو النفي الأبدي، حتى وإن كان اعتراضه كلمة واحدة تنمّ عن استيائه من النظام ومن جلاديه.

هذا من ناحية، أما من الناحية الدينية فقد جحدت هذه الفلسفات وجود الله تعالى، وأنكروا قدرته على الخلق، ونسبوا ذلك للطبيعة، كما أنكروا عالم الغيب والبعث والحساب، وسَخِروا من فكرة الجنة والنار، وناصبوا الإسلام والقرآن أشدَّ العداء، وقتلوا المسلمين والمسلمات بالملايين، وحكموا بالسجن المديد على كل من يُضبط في داره كتاب الله الكريم.

وأطلقوا الحريات الجنسية، ودعوا إلى الإباحية بشتى أشكالها وألوانها، وتجاهلوا كرامة المجتمع وأخلاقه ومثله وتراثه الموروث، وحرموا الناس من التملّك، واعتبروهم أُجَرَاءَ لدى الدولة لا أرض لهم ولا سكن ولا متاع.

وعملوا جاهدين على محو الفطرة الإلٰهية لدى الناس، واعتبروا الدين أفيون الشعوب، كما اعتبروا النساء مرعى لكل راتع، فأضحت المرأة رخيصة مبتذلة بلا كرامة ولا أحاسيس!.. لقد حاربوا الزواج، واعتبروه ضرباً من العبودية والملكية التي تحرِّمها فلسفتهم، فضاعت بذلك أنسابهم، وتفسَّخت أخلاقهم!.. وبسبب الفقر المرير والجوع الذي لا يرحم انتشر البغاء بأبخس الأثمان، حتى أضحت الفتاة وهي في أوج جمالها ونضارتها وفي ريعان شبابها تبيع نفسها لقاء ثوب قديم أو وجبة متواضعة تسكت خوار معدتها.

● نعود لمتابعة حديثنا عن فلاسفة الإلحاد في عصر النهضة لنستطلع سوية تُرَّهاتهم وشطحاتهم التي يعوزها الدليل العلمي والمادي والعقلي.

قال أحد فلاسفتهم المارقين: إنّ الآلهة والملائكة قد ظهرت تلقائيّاً من رحم الفوضى، تماماً كما تخرج الديدان من قطعة جبن أصابتها العدوى.

لقد قُتل الإيطالي **مينوشيو** ودفع حياته ثمناً لهذا الكلام الخسيس!.. كما قُتل عدد غير قليل من الملاحدة لقلَّة أدبهم ولتطاولهم على الله!.. من هؤلاء كان الإسكتلندي آيكنهد، والسويسري جاك جرويث، والفرنسي نويل جونيت الذي قال بأن الله إلٰه شرير، وأن المسيح دجّال، وأن الإنجيل مليء

بالتناقضات، وأن الأنبياء سحرة ودجّالون، وأن رجال الدين أناس سفّاحون منتفعون، وأن الإلحاد هو الشيء الوحيد اليقيني في هذا الوجود ـ والعياذ بالله ـ ﴿وَٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مَآ أُتْرِفُوا۟ فِيهِ وَكَانُوا۟ مُجْرِمِينَ﴾ [هود: ١١٦]. .

إنهم لم يقدروا الله حقَّ قدره، قاتلهم الله أنّى يؤفكون.

رابعاً: تسلُّط طبقة رجال الدين في أوروبة:

كان القساوسة والرهبان ومَنْ أعظم منهم شأواً ورفعة ومكانة إقطاعيين فاسدين، فاستعبدوا الناس في عصر النهضة وما قبلها، وعبدوا المال، واكتنزوا الذهب والفضة، وسلبوا الناس ممتلكاتهم، وسخَّروهم للخدمة بالمجّان في أراضيهم، واستغلوا جهدهم وعرقهم وقدراتهم، وفرضوا عليهم التبرُّع للكنيسة بعُشر ممتلكاتهم ومدَّخراتهم لتكون وقفاً ينفقونه على أديرتهم وعلى رجال دينهم! . . كما فرضوا على سواد الشعب والفقراء أن يعملوا يوماً من كل أسبوع في أراضيهم بدون أجر تبرّعاً منهم للكنيسة والدين، لذا راحوا يعملون في أراضي وممتلكات رجال الدين المستبدين يوم عطلتهم وراحتهم! . . وعوضاً عن أن يُنفَقَ العائد من هذا المال على أوجه الخير وعلى الكنيسة، أنفقوه على بذخهم ومجونهم وعلى تجارتهم وسهراتهم وعربدتهم وشذوذهم.

وطاب لرجال الدين هذا الاستبداد وذاك الاستغلال فتمادوا في شططهم حتى استفحل أمرهم. . لقد سطوا بأسلوبهم المشين على ما يزيد عن ثلث أراضي البلاد باسم الدين والكنيسة.

لقد تجاوزوا تعاليم دينهم ورسولهم المسيح عليه السلام الذي قال: «إن مرور جمل من ثقب إبرة أيسر من أن يدخل غني ظالم ملكوت الله»، لقد عنى عليه السلام بهذا الكلام أن مَنْ جمع ثروته بالسحت والغش والسلب والنهب والتدليس وبظلم الضعفاء والمساكين واستحلال أموالهم وجهدهم؛ فإنه لن يكون في الآخرة من نزلاء الجنة وسيُلقى في السعير المقيم.

ومن أقوال المسيح عليه السلام لرجاله: «من أراد الملكوت فخبز الشعير والنوم في المزابل مع الكلاب كثير عليه».. إنه يذكِّر المؤمنين الذين ينشدون القرب من الله والفوز في الآخرة أن يتقشَّفوا في الحياة الدنيا، وأن يكونوا متواضعين، وأن يتحلّوا بالفضيلة، وأن يرحموا الضعفاء والمساكين، وأن يكونوا قدوة صالحة للناس ونموذجاً يحتذون حذوه في عقيدتهم وسلوكهم.

أمّا رجال الدين المسيحيين فقد أساؤوا لدينهم ولعقيدتهم، وجحدوا خالقهم، وظلموا العباد، وغرقوا في الشهوات والملذات، ومارسوا السفاح والشذوذ الجنسي وكافة الموبقات مع الضعفاء ومع الراهبات القابعات في خدورهن!.. قاتلهم الله.

لقد كانت حياة هؤلاء الكنسيين ولفترة زادت عن (١٤٠٠) سنة ترفاً وبذخاً ومجوناً وإسرافاً وظلماً وعربدةً ونفاقاً، وفوق هذا وذاك حرَّفوا الإنجيل والتوراة، وغيَّروا كلام الله ـ والعياذ بالله ـ وشوَّهوا شريعة السماء، وجعلوها تتناسب وأهواءهم وعبثهم وفحشهم.

قال تعالى: ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًۢا ۚ بِئْسَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾ [الجمعة: ٥]. **والأسفار**: هي الكتب.

لذا ضاق الناس ذرعاً برجال الدين، فابتعدوا عنهم وعن الدين علَّهم يُبقون على ما بقي لديهم من أرض ومن قوة ومن مدّخرات وكرامة وماء وجه.

وأضحى رجال الدين المنحلّون حديث الفلاسفة والأدباء والمفكرين وكذلك المثقفين والمؤرخين وكل الناس في كلٍّ من فرنسا وإنكلترا وإيطاليا.. لقد استشرى الفساد فأصاب رجال الدين في أوروبة بأكملها، فكان كالطاعون الذي لم يُبْقِ ولم يذر.

لقد استغلّوا مناصبهم أسوأ استغلال حتى بلغ بهم الشطط والمغالاة

واللامبالاة مبلغاً كبيراً، لقد طبعوا صكوكاً سمّوها: صكوك الغفران.. وباعوها في الأسواق بأسعار كبيرة؛ كُتب في الصك أن من يشتريه سيُغفر له ما تقدَّم من ذنبه وما تأخّر حتى يموت، وأن صاحبه سيُعفى من الحساب في الآخرة ومن العقاب، وستغلق من أجله أبواب النار وستفتح له أبواب الجنة كلها، وسيكون يوم وفاته طاهراً من ذنوبه كيوم تعميده!..

وقبضوا ثمن بضاعة أخروية لا يملكونها؛ مستعينين على ذلك بالمكر والغش والتدليس دون وازع ديني ولا تأنيب ضمير!.. والأنكى من هذا كله كونهم لم يردّوا هذا المال إلى الكنيسة لينفقوه على فقرائهم والمستضعفين منهم، بل بذلوه على فواحشهم ومجونهم وعربدتهم.

بل إنهم جمعوا من صكوك الغفران كنوزاً لم يحصّلها الإقطاعيون وأصحاب رؤوس الأموال آنذاك، ولم تقتصر هذه الممارسات على القسّيسين والرهبان وحسب، بل برع فيها أكابر مجرميهم.

ولكي يستتبّ لهم الأمر، عادى رجال الدين كلّ فلسفة وكلّ فكر جديد وكلّ ما يخالف شريعتهم المحرَّفة ونشاطاتهم الهدّامة لئلا يُسحب البساط من تحت أرجلهم، كما عادوا الاكتشافات العلمية، وأنكروا على العلماء أبحاثهم وتجاربهم ونظرياتهم وكلَّ ما توصّلوا إليه من حقائق علمية، ولم يتورّعوا عن قتل الكثيرين منهم بعد أن اتهموهم بالزندقة والهرطقة والمادية والإلحاد!.. لقد تخلَّصوا منهم لئلا تزلزل أفكارهم وعلومهم أركان عرشهم الذهبي، فتخرج الناس عليهم، وتعرض عنهم، وتتحرَّر من سطوتهم وسلطانهم.

● لقد نُقلت هذه المعلومات عن كُتَّاب ومؤرخين أوروبيين عانوا الأمرَّين من هذا التسلّط البغيض والفساد المريع؛ مثل: **ويل ديورانت** مؤلف كتاب (قصة الحضارة) الشهير، وكذلك كتاب (أخلاق رجال الدين)، كما وردت قصص رجال الدين المارقين في روايات **بوكاتشيو** في القرن الرابع عشر،

وماستشيو في القرن الخامس عشر، **وبنديتلو** في القرن السادس عشر، وكثيرين من مفكري عصر النهضة لاحقاً، والذين أتيت على ذكر بعض أقوالهم في هذا الفصل.

وكردة فعل لهذا الفساد والتفسّخ الاجتماعي والخلقي والديني، وبسبب الفقر المدقع الذي امتهن أحاسيس الناس وكرامتهم، نما الحقد في قلوبهم واعتملت الأفكار في رؤوس مثقفيهم وفلاسفتهم.

خامساً: الثورة الفرنسية وفلاسفتها:

بعد أكثر من (١٤٠٠) سنة من الغضب المكبوت تفجرت أحياء باريس عن ثورة عارمة ضمَّت تحت لوائها الرعاع والعمال والفلاحين وأصحاب الحرف وباقي المضطهدين من سواد الشعب، فحرقوا الأخضر واليابس، وسفكوا الدماء النجسة والطاهرة دون تمييز، ونفَّذوا حكم الإعدام دون روية ولا محاكمة ولا تمحيص!.. لقد أعلنوا الثورة على البرجوازية والمَلَكية ورجال الدين.. لقد أمسك هؤلاء المضطهدون الغاضبون بزمام الأمور في فرنسا، وبما أنهم خضعوا لأفكار وتوجيهات فلاسفتهم المعاصرين، وبما أن هؤلاء كانوا ملحدين، وقد عانوا الكثير من رجال الدين، لذا قاموا بقتلهم وقتلوا معهم البرجوازيين والحكام والملوك ورعيتهم!.. لقد نهضوا من كبوتهم ليثأروا لكرامتهم فسفكوا دماء جلاديهم جزاءً وفاقاً على ما اقترفته أيديهم.

ولكنهم وفي ثورتهم العارمة، وبتوجيه من فلاسفة الإلحاد الذين أمسكوا بقياد هذه الثورة من أمثال: جان جاك روسو، وڤولتير؛ ثاروا على الله، وجحدوا ربوبيته، واعتبروا الأنبياء مرتزقة وسفَّاحين، وأنهم افتروا هذه الديانات ليسيطروا من خلالها على عقول البسطاء، ليتمكنوا فيما بعد من سلب أموالهم وممتلكاتهم، فانقاد لهذه الفلسفة سواد الشعب وعمّاله وفلاحوه وكافة المضطهدين.

وبعد أن همدت مراجل الغضب، وبعد أن سكنت غوغائية الرعاع، وبعد أن استقرَّت الدماء في العروق وبردت، عاد إليهم بعض اتِّزانهم ورشدهم، ولكن حقدهم وكراهيتهم للأديان السماوية مكثا يعتملان في أعماق نفوسهم.

لقد سُخِّرت هذه الفلسفات للنيل من الله وإنكار وجوده!.. وبسبب هذا الإلحاد والتمرّد على الله راحت الكنائس تحارب الضالين المارقين، وشكلت محاكم التفتيش مستعينة بسلطة الدولة، ثم قبضت على عدد كبير من الفلاسفة المارقين على الله، وسفكوا دماءهم بمحاكمات ودون محاكمات، فمات منهم خلق كثير.

سادساً: ظهور الفلسفات الجديدة الملحدة:

تمخَّضت الأحداث السابقة عن ظهور العديد من الأفكار الشاذة والنظريات الغريبة والفلسفات الجديدة، وأعطوها أسماء رنانة تلفت الأنظار كالمادية والعقلانية والتحررية والوجودية والماركسية والشيوعية والعلمانية وغيرها.

فشيّدوا فلسفاتهم ومحافلهم الواهنة على شفا جرفٍ هارٍ، فانهارت بهم في السعير المقيم.. لقد نسوا الله فأنساهم أنفسهم.. وعندما اشتد الأمر على المارقين، وعندما اشتدت سطوة محاكم التفتيش وأضحت سيوفها بتَّارة تحصد دون رويَّة رقبة كل زنديق متنطِّع مارق على الله والدين، لجؤوا إلى أسلوب التقيَّة والحرص في نشاطاتهم، وإلى الازدواجية في أقوالهم.. لقد كانوا يجتمعون في السرِّ فيخطِّطون لنشر الرذيلة والإلحاد ومبادئ المادِّية، ثم يوزِّعون منشوراتهم وكتبهم دون أن يضعوا عليها أسماء مؤلفيها والناشرين الذين قاموا على طباعتها وإخراجها!.. وإذا كانوا في محفل عام لزموا الصمت وأظهروا الحكمة والوقار وادَّعوا إيمانهم بالله: ﴿يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِم مَّا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ﴾ [آل عمران: ١٦٧]، مثلهم في ذلك كمثل كفار الجاهلية الأولى من يهود وغير يهود الذين قال الله

فيهم: ﴿وَإِذَا لَقُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا۟ إِلَىٰ شَيَـٰطِينِهِمْ قَالُوٓا۟ إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ﴾ [البقرة: ١٤]، فكانوا أول من ابتدع التقيَّة وطبَّقها.

سابعاً: نظرية الخلق الذاتي:

استحدث الملاحدة الإيطاليون وعلى رأسهم **(ديودورس ـ سيكوليوس)** نظرية تنادي بخلود المادة والكون، وقالوا: إن الأرض انفصلت عن السماء في بداية تشكُّل الخليقة وكانت عندئذٍ شديدة الحرارة.

فأثَّرت الحرارة على طبقة الطين السطحية فأصيبت بالعفن، ثم تحوَّلت إلى مستنقعات آسنة، وبسبب الحرارة خرجت فقاعات من الطين.

من هذه الفقاعات تشكلت كافة الحيوانات التي تدب على سطح الأرض بما فيها الإنسان والطيور والحشرات والأسماك!.. ﴿إِنَّكُمْ لَفِى قَوْلٍ مُّخْتَلِفٍ ﴿٨﴾ يُؤْفَكُ عَنْهُ مَنْ أُفِكَ ﴿٩﴾ قُتِلَ ٱلْخَرَّٰصُونَ﴾ [الذاريات: ٨ ـ ١٠].

وأطلقوا على هذه النظرية اسم الخلق الذاتي التي تجاهلت قدرة الله في الخلق تجاهلاً تامّاً، ولئن سألت هؤلاء المارقين: مَنْ خلق السموات والأرض؟ ليقولن: الله، ولكنهم يكابرون ويجحدون وينكرون ويتفلسفون!.. ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَـٰعِبِينَ ﴿٣٨﴾ مَا خَلَقْنَـٰهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الدخان: ٣٨ ـ ٣٩].

نقول لأصحاب هذه النظرية السخيفة والهراء المضحك: هل شاهدتم فقاعات الطين الآسن وهي تتحوَّل تلقائياً إلى إنسان وحيوان ونبات؟! علماً بأن الحياة قد بدأت على سطح الأرض قبل مليارات السنين من ظهور الإنسان المفاجئ قبل (٧٠٠٠) سنة فقط!..

وإذا فرضنا جدلاً أن الحيوانات والنباتات قد تشكَّلت من الأرض الحارة بُعيد انفصالها عن الشمس، فمن أين جاءت هذه المخلوقات بالغذاء والماء لكي تتمكن من البقاء؟! علماً بأن الماء والمرعى قد ظهرا على سطح الأرض

بعد مليارات السنين من برودتها، ثم بعد ذلك خلق الله الحيوانات بأنواعها، وكان أحدثها المواشي وأخيراً الإنسان. .

قال تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ ﴿٩﴾ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠﴾ وَالَّذِي نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَنشَرْنَا بِهِ بَلْدَةً مَّيْتًا كَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ ﴿١١﴾ وَالَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ الْفُلْكِ وَالْأَنْعَامِ مَا تَرْكَبُونَ ﴿١٢﴾ لِتَسْتَوُوا عَلَىٰ ظُهُورِهِ ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ﴾ [الزخرف: ٩ ـ ١٣].

فإذا كان من الممكن في الماضي البعيد أن تتحول فقاعات الطين الساخن إلى إنسان وحيوان ونبات، فلماذا لا تتكرَّر هذه الظاهرة في كل آنٍ وكل حين؟! ولماذا لم نشاهد إنساناً يدَّعي بأنه جاء من العدم من دون أب ولا أم؟! وهل يقبل عقل ناضج أن تتحول فقاعة من طين آسن إلى كائن حي، صغيراً كان أم كبيراً، بدائيّاً كان أم آية في التصوير والإبداع الخلقيّ؟!.

إننا نتحدّى الطبيعيين والماديين وعلماءهم ومفكريهم كافة أن يوجدوا لنا أي خلق من فقاعة من طين. . ﴿قُلْ هَلْ مِن شُرَكَائِكُم مَّن يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ قُلِ اللَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ﴾ [يونس: ٣٤].

ثامناً: فلاسفة المادية والإلحاد:

امتاز فلاسفة المادية والإلحاد بأسلوبهم الساحر ودهائهم الماكر، فأسروا بهما قلوب الناس!. . لقد كانت ألسنتهم حداداً ذلقة ذات بيان أخَّاذ نافس روائع شكسبير وعبقريته!. . لقد ساعدتهم هذه العوامل في النفوذ إلى أعماق السواد من عامة الشعب فأثَّروا بهم وبعقيدتهم. . لقد برز من هؤلاء المبرِّزين فلاسفة اليهود وحاخاماتهم وأحبارهم، فطغوا في البلاد حتى أكثروا فيها الفساد والإلحاد.

وكان منهم: **تومازو كمبانيلا** (١٥٦٨ ـ ١٦٣٩م)، والعالم الشهير **جاليليو** (١٥٦٤ ـ ١٦٤٢م)، **وسبينوزا** (١٦٣٢ ـ ١٦٧٧م)، **وبيير شارون** (١٥٤١ ـ ١٦٠٣م)، **وشاؤول ليفي مورتيرا**، **وإسحاق أوبيو دي كاسيو**، **ومونتالتو**... وغيرهم من فلاسفة اليهود ودهاتهم الذين مهَّدوا من خلال فكرهم إلى الثورة وإلى التمرُّد على الله والخروج عن طاعته.

ثم ظهر في القرن السابع عشر مذهب الصوصيان نسبة إلى الفيلسوف الملحد **فاوستو باجلو صوزيني** الذي نادى بالهرطقة وبحرية العقيدة والفكر والدين.

وتمكّن أصحاب هذه الحركة المدمِّرة من الإطاحة بالكنيسة الكاثوليكية ورجالها، ثم نصَّبوا دعاتهم وأنصارهم ليقوموا على الكنائس عوضاً عن رجال الدين، وحرَّفوا تعاليم السماء، وزادوا تحريف الكتب السماوية على تحريفها السابق، وفسّروها حسب أهوائهم وهرطقتهم.

فأدَّىٰ هذا الوضع إلى فوضى هائلة لا قرار لها، لذا كنتَ ترى الناس من كافة فئات الشعب وطبقاته، متعلِّميهم وجاهليهم، مثقفيهم وغير المثقفين منهم، من له باع ودراية وإلمام بالكتاب المقدس ومن ليس له من ذلك شيء، تراهم يخطبون في الناس في الطرقات وفي الكنائس وفي الحانات وفي المواخير وفي كل مكان!.. لقد جدَّفوا وتطاولوا على الله وعلى المسيح وعلى الديانات السماوية جمعاء.

● كما ظهرت في القرن نفسه حركات إلحادية أخرى كادت تطيح بالمسيحية وتقتلعها من جذورها.. من هذه الحركات: حركة الهادمين (Ronters)، وحركة جماعة الحفَّارين (Diggers)، وحركة عاليها واطيها (Levellers)... وغيرها من الحركات الهدَّامة التي دعت إلى حرية العقيدة، وإلى التحرُّر من الدين، وإلى إنكار وجود الله، كما ادّعوا بأن الأنبياء أناس غير مرسلين، وأنهم قد ابتدعوا فكرة الدين، وافتروا الكتب المقدسة!..

قال تعالى: ﴿بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُكَذِّبُونَ ﴿٢٢﴾ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ ﴿٢٣﴾ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [الانشقاق: ٢٢ ـ ٢٤].

لقد دعوا الناس إلى التفسُّخ والانحلال الأخلاقي وإلى الإباحية، متشبِّهين بذلك بجماعة الأنتيمونيين التي ظهرت بعد بزوغ شمس رسالة المسيح عليه السلام ببضع قرون..

قال تعالى: ﴿وَٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مَآ أُتْرِفُواْ فِيهِ وَكَانُواْ مُجْرِمِينَ﴾ [هود: ١١٦].

وأباح مؤيدو هذه الحركات السرقة والشذوذ الجنسي والملذات، واعتبروا كل ما في الأرض مشاعاً وملكاً للجميع، وأنكروا البعث والحساب، وسخروا من فكرة الجنة والنار، واعتبروا الطبيعة هي الخالق والمسيِّر لكل ما في الكون من مجرات وسموات ونجوم وكواكب وعوالم ومخلوقات وعوامل طبيعية وكوارث!..

قال تعالى: ﴿بَلِ ٱدَّٰرَكَ عِلْمُهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ ۚ بَلْ هُمْ فِى شَكٍّ مِّنْهَا ۖ بَلْ هُم مِّنْهَا عَمُونَ﴾ [النمل: ٦٦].

وجعلوا من مجونهم وفجورهم ومن تهتّكهم وانحلالهم مذهباً يدعون إليه، ثم راحوا يقتلون رجال الدين، وينصِّبون عوضاً عنهم الرعاع وأصحاب المهن والحرف اليدوية البسيطة من أتباعهم وممَّن تعوزهم الثقافة والعلم والإلمام بالديانات، التي لا بد منها لمن يمارس مهمة الوعظ والدعوة على المنابر وفي كل مكان.

من جملة مواعظهم المضحكة ـ وشر البلية ما يضحك ـ اخترت لك عزيزي القارئ الكلمة التالية فتأملها: «إن الله موجود في نفوس وأجسام الناس كلهم، وبما أن الحالة كذلك، لذا صار على كل إنسان أن يصلي لنفسه لا لله.. وبما أن الله موجود في كل شيء؛ فإن هذا يعني أن الخطيئة والشرَّ

يتمثّلان فيه.. وبما أن الشيطان من صنع الله، فإنه ليس بشرير، وإذا أراد امرؤ أن يتقرَّب من الله فما عليه إلا أن يتحرَّر من الخجل والعار ومن الإحساس بالذنب عند ارتكاب أي خطيئة كالزنى والشذوذ الجنسي والسرقة والغش والرشوة والتدليس والتدنيس وغيرها، وعليه أن يضاجع كل نساء العالم، وكأنه يضاجع امرأة واحدة!.. ولكي يتقرَّب المرء من الله أكثر يتعيَّن عليه أن يسكر حتى الثمالة، ثم يُجلس أقرب امرأة إليه في حضنه ثم يواقعها وإن كانت أمه أو أخته أو ابنته أو من غيرهن»!.. ﴿بَلْ يُرِيدُ ٱلْإِنسَٰنُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُۥ﴾ [القيامة: ٥].

كما دعا هؤلاء إلى ممارسة الجنس في الحقول وفي البيوت والحانات وفي الشوارع والمواخير وعلى مرأى من الملأ!.. لقد جعلوا من الدعارة والمجون والشذوذ الجنسي أعمالاً تقرّبهم من الله، وبذلك فقد أطلقوا العنان للسذج من الناس وللمراهقين والشبّان والشابات، واقتلعوا جذور العقيدة من أعماقهم وأفئدتهم، وانتزعوا من دماغهم حقيقة البعث والحساب.

وبتلاشي الوازع الديني تلاشت الأخلاق وعمَّ البلاء، وانتشرت الرذيلة والفواحش، وكثرت جرائم القتل والسرقة، وغرقت الشعوب في ضلال جاهلية جديدة أسموها هم وفلاسفتهم: «عصر النهضة والتحرّر الفكري»، وسمّاها أحفادهم بـ «المدنية والتحضُّر».

لقد كانوا في عزّة وشقاق، وقالوا عن الديانات والكتب السماوية: إنها اختلاق، فكذبوا كما كذَّب الجاهلون الأوائل، وافتروا على الله ورسله ما افتراه أصحاب الحضارات الموغلة في القدم، كقوم لوط وعاد وثمود وأصحاب الرس وقوم تبّع..

قال تعالى: ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ ذُو ٱلْأَوْتَادِ ﴿١٢﴾ وَثَمُودُ وَقَوْمُ لُوطٍ وَأَصْحَٰبُ لْـَٔيْكَةِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلْأَحْزَابُ ﴿١٣﴾ إِن كُلٌّ إِلَّا كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ فَحَقَّ عِقَابِ﴾ [صۤ: ١٢ ـ ١٤].

لقد سبقت هذه المجموعات الراديكالية الهدّامة فرويد في إباحيته وفي فلسفته الملحدة بقرون كثيرة.

كما شاركت النساء من متَّبعي مذهبهم ونتنهم في نشر الرذيلة، فارتكبن الموبقات، ومارسن الزنى في العلن، دون أدنى حياء ولا وجل، حتى أضحت المرأة مع مرور الزمن سلعة رخيصة مبتذلة بلا ثمن، ينال منها من شاء متى شاء وكيف شاء!.. لقد حرَّضوهن على ممارسة الجنس في الشوارع والحانات وعلى مرأى من الناس لينشروا الإباحية والفساد، وأفهموهنَّ أنَّ ما يقمن به سيقرِّبهنّ من الله ـ والعياذ بالله ـ!.. ومن هؤلاء من ذهب بهنّ صلفهن وخيلاؤهن إلى السخرية من ذي الجلال والإكرام، واستهزأن بالمسيح ومن روح القدس عليه السلام، ومنهنّ من ادَّعت بأنها حامل من الله، وأنها ستلد مسيحاً آخر كما فعلت مريم، وقلن غير ذلك الكثير من العبارات التي عبَّرت عمّا كانوا عليه من عبث ولوث في عقولهن، ومجون وإلحاد في قلوبهن، ونتن وفساد في نفوسهن..

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾ [الأعراف: ١٧٩].

وفيهم قال الكبير المتعال: ﴿ذَٰلِكَ جَزَاءُ أَعْدَاءِ اللَّهِ النَّارُ لَهُمْ فِيهَا دَارُ الْخُلْدِ جَزَاءً بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ﴾ [فصلت: ٢٨].

تاسعاً: المذهب التأليهي:

وفي القرن الثامن عشر ظهر المذهب التأليهي الذي ناصب الأديان السماوية ألدَّ العداء، وأنكر أصحابه البعث، واعتبروا الروح فانية كالجسد، وقالوا بأن مصير الإنسان سيكون كمصير الحيوان، ليس عليه بعد الموت حساب ولا عقاب.

واتّبعوا خطوات من سبقهم من شياطين الإنس في هذا المضمار، وسعوا في الأرض بالفساد..

قال تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا وَءَابَآؤُنَآ أَئِنَّا لَمُخْرَجُونَ ﴿٦٧﴾ لَقَدْ وُعِدْنَا هَٰذَا نَحْنُ وَءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ [النمل: ٦٧ ـ ٦٨].

● فبرز من هؤلاء المارقين **جان جاك روسو** الذي جاء في كتابه (اعترافات روسو) أنه لص وسافل ومخادع، وأنه يعتزُّ بهذه الصفات!.. ﴿وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ﴾ [النور: ٤٠].

وطلب هذا الملحد وزميله الفيلسوف **دافيد هيوم** من اللاهوتيين والموحدين والميتافيزيقيين أن يثبتوا لهما وجود الله، وأسلوبه الذي اعتمده في خلق السموات والأرض والكواكب والنجوم والمجرات.

كما تهكَّم اللعين روسو من المؤمنين، وقال فيهم: إيمانهم مبنيٌّ على أوهام وعلى خللٍ نفسيٍّ لديهم، وأنه لم يقم على إعمال الفكر ولا على المنطق.

بأفكارهما الخبيثة ودهائهما الشيطاني شكَّك هذان المارقان الناس بدينهم وبالله، وزرعا الهواجس والوساوس في أعماقهم!.. لقد كانا على درجة كبيرة من الدهاء والمكر، فتجرَّع على يديهما عدد كبير من المؤمنين كأس الإلحاد والضلال، قاتلهما الله أنَّى يؤفكون.

● أمّا **الألماني هولباخ** فقد أنكر وجود الله، وقال: إنه إن كان له وجود فإنه لا بد أن يكون سرمديّاً وأبديّاً، وبما أن هذا لا ينطبق إلا على المادة، لذا فالمادة هي الله، والله مادة!..

قال تعالى: ﴿مَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحج: ٧٤].

﴿وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [آل عمران: ٧٥].

● وعقَّب الزنديق **باسيل ويلي** على أقوال هولباخ ـ المادي الملحد ـ

فقال: «لقد أضفى هولباخ على المادة صفات تجعلها شيئاً قريباً من الله أو من فكرة الله»، العياذ بالله من غضب الله ومن هذا الفجور المبين والعدوان الكبير على الكبير المتعال، على ذي الجلال والإكرام، لقد جعلوا منه سبحانه فكرة!..

نعم، الله سرمدي وأزلي، وهذه من صفاته ﷻ، ولا بد من اتصاف خالق السموات والأرض بها، ولولا أنه سرمدي وعظيم وقوي لما تمت المحافظة على المجرات والنجوم وكافة الأجرام السماوية التي تجري بسرعات فلكية خيالية دون أن يرتطم بعضها ببعض، ولولا ذلك لتناثرت في الفضاء الفسيح ولأضحت كالغبار، نعم الله سرمدي وأبديّ، ولكن المادة ليست كذلك، لأن الله موجد المادة ومبدعها، وهو الذي خلق منها كل شيء، وهو الذي جعلها أصنافاً وألواناً.. أمَّا المادة نفسها فهي جماد لا تعقل ولا تفكِّر، ولا يمكنها أن تخلق شيئاً من نفسها..

قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ مَبْلَغُهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱهْتَدَىٰ﴾ [النجم: ٣٠].

﴿قُتِلَ ٱلْإِنسَٰنُ مَآ أَكْفَرَهُۥ﴾ [عبس: ١٧].

● أمّا التأليهي **تولاند** (١٦٧٠ ـ ١٧٢٢م) فقد ألَّف كتاب (المسيحية دون أسرار) الذي نصح فيه أمثاله من الملاحدة بالحذر والتقيَّة؛ فقال: «علينا أن لا نمزِّق ثوب الأفكار والمعتقدات الدينية لدى الناس دفعة واحدة، بل نعمل فيه ثقوباً صغيرة بادئ ذي بدء، ثم نوسِّع هذه الثقوب رويداً رويداً حتى يتمزَّق الثوب كله مع الزمن».

تأمل يا أخي مدى مكر ودهاء هؤلاء الملحدين وأسلوب تفكيرهم!..

لقد نادى تولاند كغيره من المؤلِّهين إلى النظر إلى دخيلة القلب لكي نعرف قوانين الطبيعة المحفورة فيه، ثم نتصرَّف بما تمليه علينا أنفسنا.. ومما

قاله هذا المأفون المارق: «لقد فطرتنا الطبيعة على الخير، لذا فإننا نميل إلى فعله استجابة لغرائزنا وفطرتنا وليس من أجل الثواب المنتظر في الآخرة».. ﴿كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ﴾ [غافر: ٣٥].. لقد تجاهل هذا الملحد وجود الله وتعاليمه، وهو ينكر أن الفطرة من لدن العزيز الحكيم وأنها سمة الدين ومرآته.. لقد نسبها اللعين للطبيعة، واستبدل الطبيعة بالله الكبير المتعال، بربِّ الأرباب!..

● كما نما في القرن الثامن عشر الفكر العلماني الملحد الذي اعتبر الطبيعة بديلة عن العناية الإلٰهية الحكيمة الفاعلة.. كما اعتبرها عاقلة وحكيمة وقادرة على الخلق والإبداع، واعتبر الكون من إنتاجها، وأنها كانت دائماً وراء ارتقاء الفكر الإنساني وعلوِّ كلمته وسموّ أخلاقه ورفعة نفسه، لذا راحوا يقدِّسونها ويتأملونها في الحقول والغابات، وفي الأماكن الخلابة التي تزخر بها بلادهم، واعتبروا التريُّض في أحضان الطبيعة عبادة أرفع وأبهى من عبادة الله ومن الذهاب إلى بيوت الله!.. كما اعتبروا التجوال فيها أفضل من الحج إلى الأماكن المقدَّسة!.. لقد جعلوا لله أنداداً ليضلوا عن سبيله؛ وهو الذي ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ تَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ۝٣ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ﴾ [النحل: ٣ ـ ٤].

يناجي أحد الضالين المضلِّين الطبيعة، وهو رائد من رواد الفلسفة الطبيعية، فيقول: «أيتها الطبيعة الخالدة التي تفيض علينا بالخير والحب والجمال والقداسة!.. يا من يتجلَّى بأعمالك الكمال والنبل والجمال!.. أيتها الطبيعة القوية الجبارة!.. إياك أحبُّ وإياك أعبد وفيك وحدك أفكر وأتأمل».

من هذه المناجاة نرى أنهم وبكل بساطة وباستهتار ما بعده استهتار استبدلوا كلمة الله بالطبيعة، ووضعوا المخلوق مكان الخالق، وألبسوه ثوب العزّة والجلال، والخلق والقوة، والكمال والجمال، والعظمة والإبداع، دون خوف ولا وجل من الكبير المتعال، ذي الجلال والإكرام.

ونسي هؤلاء أو تناسوا أن أعظم ما في الطبيعة التي يعبدونها جبالها الشامخة ومحيطاتها المخيفة، خاصة إذا ما هاجت وماجت وأزبدت وأربدت، وأن الجبل الأشمّ قد سجد خاشعاً عندما تجلّى له قيد أنملة من نور الله: ﴿فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا﴾ [الأعراف: ١٤٣].

لقد سجل لهم التاريخ هذه الواقعة وجاءت في الإنجيل والتوراة كما جاءت في القرآن: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ﴾ [غافر: ٦٢].

كما تناسوا قدرة الله وعظمته وتصرّفه بالطبيعة كيف يشاء ومتى شاء!.. ونسوا أنه قد فلق البحر فخرج منه طريقاً يابساً كأنه الطود العظيم، فسلكه موسى وقومه عندما أدركهم فرعون وجنده!.. كما نسوا كيف سخَّر الله الطبيعة عندما أراد إغراق فرعون وأتباعه وإغراق المارقين من قوم نوح، ثم أَمْرُهُ إيّاها ﷻ بأن تُقلع وأن تهدأ وتستقر: ﴿وَقِيلَ يَٰٓأَرْضُ ٱبْلَعِى مَآءَكِ وَيَٰسَمَآءُ أَقْلِعِى وَغِيضَ ٱلْمَآءُ وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ وَٱسْتَوَتْ عَلَى ٱلْجُودِىِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [هود: ٤٤]؛ أمّا **بُعداً**: فإنها تعني سحقاً وهلاكاً للملحدين المارقين.

والقصص من هذا القبيل كثيرة في كلٍّ من القرآن والتوراة والإنجيل.

فالطبيعة مسخرة من قبل خالقها وبارئها، وهو سبحانه يصرفها ويفعل بها ما يشاء متى شاء.

قال تعالى: ﴿إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾ [آل عمران: ١٩٠ ـ ١٩١].

وقال عزَّ من قائل: ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ﴾ [التغابن: ٣].

لقد اكتفيتُ في هذا المقام بالرد على الملحدين بهاتين الآيتين

الكريمتين، ولكني خصَّصت فصلاً من هذا الكتاب لأردَّ عليهم بالتفصيل، ولأثبت لهم وجود الله وقدرته وعظمته بكثير من الأدلة العلمية والعقلية والمادية التي تدحض افتراءاتهم ودعواهم وتخريصهم وتخريفهم.

● كما ألَّف التأليهيون كتابين أفرزوا فيهما عصارة حقدهم وكراهيتهم لله جلّت قدرته، وعظم شأنه ومقامه، هما: (نظام الطبيعة) لـ **ميرابود**، و(حطام الإمبراطوريات) لـ **فولني**.

وأشاد الملاحدة بهذين الكتابين، واعتبروهما سفرين يهتدون بأفكارهما عوضاً عن الكتب السماوية، وقالوا: إن مجرد اقتناء المرء لأحدهما دليل على تحضُّره ونضجه العقلي والفكري!.. ثم تمادوا بعد ذلك في غيِّهم وراحوا يدوسون الكتب السماوية بأقدامهم، قاتلهم الله.

وكان سبب عدائهم لشرائع السماء وكراهية الكتب المقدّسة التحريف الكبير الذي انتاب التوراة والإنجيل، حتى لم يبقَ من معالمهما السماوية إلا النزر اليسير!.. كما زاد الطينة بِلّة سيطرة الكنيسة وفساد رجال الدين واضطهادهم للناس وسلب ممتلكاتهم وأراضيهم وشذوذهم وفجورهم وخروجهم عن جادة الحق والدين!..

● وهذا ما دعا الفيلسوف الملحد: **توماس بين** أن يسخر من الدين، واعتبر معتنقيه ملحدين، أي: إنه عَكَسَ الأمر وقلب الموازين.

قال هذا الجاحد المتهتِّك في كتابه (عصر العقل): إن الآلهة متعدِّدة، وإنها كانت تعاقر العذارى في الأرض لتلد لهم أبناء خارقين في ذكائهم وعبقريتهم كالمسيح عليه السلام..

قال تعالى: ﴿وَأَنَّهُۥ تَعَٰلَىٰ جَدُّ رَبِّنَا مَا ٱتَّخَذَ صَٰحِبَةً وَلَا وَلَدًا ۝٣ وَأَنَّهُۥ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى ٱللَّهِ شَطَطًا ۝٤ وَأَنَّا ظَنَنَّآ أَن لَّن تَقُولَ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا﴾ [الجن: ٣ ـ ٥]. **والشطط**: هو البعد عن الحق.

لم يكن **توماس بين** أول من تجرَّأ على الله، فقد سبقه إلى ذلك أحقر بني آدم على الإطلاق، إنهم قتلة الأنبياء، وهم المغضوب عليهم، من اليهود الذين قال فيهم الكبير المتعال: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا (٨٨) لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا (٨٩) تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا (٩٠) أَن دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا (٩١) وَمَا يَنبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا﴾ [مريم: ٨٨ ـ ٩٢]. **وشيئاً إدّاً**: شيئاً منكراً وشنيعاً. أمّا **يتفطّرن**: فإنها تعني يتشقّقن من هول ما يُقال.

بالرغم من التحامل الكبير لتوماس بين على ربِّ الأرباب وعدائه اللدود لشرائع السماء وللأنبياء، إلا أنه عاد في أواخر أيامه إلى رشده وإلى جادة الحقِّ وإلى الصراط المستقيم، شأنه في ذلك شأن (٨٠٪) من الملاحدة المشاكسين.. لقد قال توماس بين بعد أن دغدغ الإيمان شغاف قلبه: «الله واحد وليس ثلاثة أقانيم كما يدّعي المسيحيون»، وقال: «أنا أومن بإله واحد، وآمل بسعادة تتجاوز الحياة على الأرض»، وهذا يعني أنه قد آمن أيضاً بعالم الغيب، بالميتافيزيقيا التي كان قد أنكرها وأنكرها مثله كافة الملحدين.. كما نستشعر من حديثه أنه كان يأمل وينشد السعادة في نعيم أبدي مقيم في الجنة.

ومما قاله توماس بين بعد عودته إلى محراب الإيمان: «الله ميكانيكي الكون».. لقد رمى من وراء ذلك إلى أن الله سبحانه هو الخالق المبدع والمسيِّر لهذا الكون.

وقال أيضاً: «الله هو المحرِّك الأول والسبب الوحيد والدائم في وجود الأشياء».. لقد كانوا يعرفون الحقّ ولكنهم كانوا ينكرون ويكابرون..

قال تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلْ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِهِ قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾ [الزمر: ٣٨].

لقد جاءت تصريحات توماس بين عن الله مطابقة لما جاء في شريعتنا

الإسلامية السمحة، فهو الله الواحد الأحد الفرد الصمد، وهو الخالق البارئ المصور، وهو الحافظ والمسيِّر والمسيطر على الملكوت اللامتناهي الأبعاد، وهو وحده واضع قوانينه ونواميسه..

قال تعالى: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَٱعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾ [الأنعام: ١٠٢ ـ ١٠٣].

﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَيُّ ٱلْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

● وفي الفترة بين (١٧١٢ ـ ١٧٧٨م) تجلَّت سخرية الحياة في كتاب **(اعترافات روسو)**، ذلك الفيلسوف الضال الذي تبنّته الثورة الفرنسية حتى اعتبره الفرنسيون أباهم الأكبر والمؤسس الأول للحركة الرومانسية التي أثَّرت سلباً في الفكر والأدب والفلسفة الأوروبية!.. لقد اعتبروه رائد ثورتهم وحامل لوائها رغم أنهم يعلمون علم اليقين أنه نصّاب مخادع وملحد فاجر!.. لقد أنكر في هذا الكتاب وجود الله بلؤم وشراسة، وسخر من الموحدين واعتبرهم ملتاثين عقليّاً، خاصة إذا كانوا من الفلاسفة والمفكرين!..

قال تعالى: ﴿زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ فَوْقَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ [البقرة: ٢١٢]..

وفي كتابه المشؤوم (هل أفادت العلوم والفنون الجنس البشري؟) قال: «العلوم والفنون والآداب كانت ولا زالت ألدَّ أعداء الإنسان، لأنها تستعبد البشر وتفرض القيود عليهم»، لذا قال الله فيه وفي أمثاله: ﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهْوَى ٱلْأَنفُسُ﴾ [النجم: ٢٣].

أما في كتابه (اعترافات قسيس سافويارد) والذي لا يقلّ خسَّة وسخافة عن سابقه، فقد قال فيه: «الأخلاق الفاضلة وليدة الفطرة التي أضْفَتْها الطبيعة على الإنسان، وإني لأجد قواعد السلوك منحوتة في أعماق قلبي وقد سطَّرتها يد الطبيعة». . لذلك جاءت أخلاقه منحطّة، ونفسه حقيرة تفرز اللؤم والغدر والإلحاد، كما كان لصّاً ومخادعاً، وهذه أوصاف كان ينسبها لنفسه ويتبجَّح بها ويفتخر! . . ﴿إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأنفال: ٥٥].

أما الفطرة الإلٰهية فقد أسبغتها اليد القدسية على نفوسنا وزرعتها في أعماقنا، وبما أنها من عند الله فهي فطرة نقية عذبة شفافة وخالصة من الشوائب المادية والإلحاد. .

قال تعالى: ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَاۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِۚ﴾ [الروم: ٣٠].

أمّا من شذَّ عن الفطرة من أمثال: **جان جاك روسو**؛ فهذا اختياره، وهو اختيار خاطئ سيحاسب عليه يوم الحساب. .

قال تعالى: ﴿كُلُّ ذَٰلِكَ كَانَ سَيِّئُهُۥ عِندَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا﴾ [الإسراء: ٣٨].

كانت هذه مقارنة سريعة بين فطرة الله التي فطر الناس عليها، وبين الفطرة التي ادّعى جان جاك روسو بأنها مستمدة من الطبيعة ذات القوى المجهولة.

يقول هذا الفيلسوف الرومانسي الملحد في كتابه (العقد الاجتماعي): «وُلد الإنسان حرّاً، ولكنه رغم ذلك يرسف في القيود والأغلال». . لقد عنى بذلك تعاليم السماء والديانات التي لجمت الجانب الحيواني لدى الناس، ونظّمت حياتهم وحمتهم من بطش بعضهم بالبعض الآخر، ونمت وتسامت بجانبهم الروحي.

ورغم كونه طبيعيّاً ملحداً، كان يعتقد روسو فيما بينه وبين نفسه بوجود الله، وبعظيم شأنه وقدره وقدرته. . لقد كتب ذات مرة لإحدى خليلاته عمّا

يعتمل في أعماق نفسه؛ فقال: «يخيّل إليّ أحياناً أن الله غير موجود، ولكني عندما أتأمّل الشمس وهي تبزغ فتسلخ عن الأرض ظلام الليل الدامس الذي كان يكتنفها، يعود إليّ إيماني بالله، وأُعجب به وبقدرته وبحكمته، فأخشع له وأسقط صاغراً ساجداً في حضرته».

لقد أدرك هذا المأفون من تلقاء نفسه أحد أعظم الأدلّة الحيّة التي تؤكّد وجود الله وعظيم قدرته سبحانه..

قال تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [آل عمران: ١٩٠].

﴿وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ ٱلنَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ﴾ [يسٓ: ٣٧].

وجادل هذا المارق بالباطل ليدحض به الحقّ، وكذلك يؤفك الذين كانوا بآيات الله يجحدون.. وبما أنه رومانسي عصره، فقد انقادت لتهريفاته جموع الناس انقياد الغنم في القطيع، ولكن شاءت الحكمة الإلٰهية أن يَصلُحَ ما فسد في لبِّ جان جاك روسو، وزالت اللوثة من عقله قبل وفاته بسنين عدة، وتحرّر من طغيان شيطانه ومن سطوته عليه..

قال تعالى: ﴿لِّيَجْعَلَ مَا يُلْقِي ٱلشَّيْطَٰنُ فِتْنَةً لِّلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ﴾ [الحج: ٥٣]..

لقد عاد روسو إلى رشده كما عاد كثيرون غيره ليقول: «إنني أؤمن بالله بنفس القوة التي أومن بها بأيِّ حقيقة أخرى».

جاءت صحوة روسو الدينية متأخرة جدّاً، جاءت بعد أن قذف بالكثيرين في هاوية الجحيم، وبعد أن اتّبعته جموع غفيرة من السذَّج من سواد الشعب ودهمائه، وبعد أن نثر بذور الإلحاد في أرجاء الأرض.

لقد جادل الفلاسفة في الله دون حجّة ولا سلطان ولا دليل، وأنكروا

الديانات بسبب كِبْرٍ في نفوسهم، وتعنُّت أحمق في صدورهم، وضعف بيِّنٍ في قدراتهم العقلية، وفي قدرتهم على التأمّل والتبصّر في بديع السموات والأرض، وفي عظمة آياته وآلائه ومعجزاته التي لا يحصرها عدّ..

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَٰنٍ أَتَىٰهُمْ ۙ إِن فِى صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَّا هُم بِبَٰلِغِيهِ ۚ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [غافر: ٥٦].

فإذا اعتبرنا جان جاك روسو مثالاً لأصحاب الفلسفات الحديثة الملحدة، لوجدنا أنه قد نسج فلسفته من أوهام وخيالات، واعتمد على الظن الذي لا يغني من الحق شيئاً، كما كان وراء نزوغه عن الدين وساوس شيطانية ماكرة..

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُۥ فَٱتَّبَعُوهُ﴾ [سبأ: ٢٠].

كما نستنتج أن دافعه الرئيس لعدائه للدين وتطاوله على الذات الإلٰهية العليا، وتجديفه في حقِّه ﷻ لم تكن سوى ردّة فعل لفساد الكنائس ورجالها في أوروبة وفي فرنسا على وجه الخصوص.

كما أدّى تحريف الكتب السماوية إلى تشويهها ونزع القدسية عنها، وبالتالي نكرانها ورفضها، ليس من المفكرين وحسب، بل من عامة الشعب أيضاً.. كما لعب الظلم والاضطهاد والسطوة والسلطان الجائر التي مارسها رجال الدين دوراً رئيساً في تنفير الناس من المسيحية ومن الأديان جميعاً، ومناصبتهم العداء لها ولله ﷻ، وعظم قدره وشأنه وسلطانه.

من هذا العرض نرى أن كلَّ الظروف كانت مؤاتية لنشر بذور الإلحاد بين الشعوب، وتأليب الناس على الله ورسله وكتبه وملائكته واليوم الآخر.

● وكما تعرّضت قريش وقبائل العرب الأخرى لخاتم النبيين عليه أفضل الصلاة والتسليم، واتّهموه بالجنون والسحر وبافتراء القرآن.. ﴿مُعَلَّمٌ مَّجْنُونٌ﴾

[الدخان: ١٤]، ﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ﴾ [المدثّر: ٢٤]، فقد تعرّض له الملحد الفرنسي **الفيلسوف ڤولتير** في القرن الثامن عشر، أي: بعد أحد عشر قرناً من انتقاله ﷺ إلى الرفيق الأعلى.

فقد ألّف هذا الماجن المأفون قصةً مسرحيةً بعنوان (محمد)؛ تعرَّض فيها لكرامة النبي العربي ﷺ، ووجَّه إليه أقبح العبارات وأقذع الشتائم والألفاظ الجارحة، كما تعرَّض فيها للإسلام والمسلمين!.. لقد أطلق لنفسه العنان متحصّناً بحرية الرأي والفكر والإبداع والتعبير، وهو الأسلوب نفسه الذي انتهجه حفيده في الإلحاد سلمان رشدي، الذي كتب في الإسلام وفي سيد الأنام كتاب: (الآيات الشيطانية).

مما قاله صاحب الفكر النتن والقلم المهزوز ڤولتير عن سيد الأنام محمد عليه أفضل الصلاة والسلام في كتابه (محمد): أنه ﷺ كان ناسوتيّاً بحتاً، وليس فيه عنصر الألوهية الذي كان لعيسى عليه السلام «حسب ادّعائهم الباطل»، لذا فإنه كإنسان معرَّض للخطأ كغيره من الناس، ولذلك لا يستحقّ أن يُتَّبع!.. وغير ذلك من تخريف وتهريف وتدليس وتجديف.

وقدَّم ڤولتير كتابه الخسيس هدية إلى البابا بنوا الرابع عشر وهو يتضرَّع بين يديه ويطلب ودّه ويستجدي غفرانه ويلتمس رضاه، ويقول: «فلتستغفر قداستك لعبد خاشع فاضل لطالما تمسَّك بالفضيلة، وهو يقدِّم ما كتبه عن مبتدع الدين البربري الجديد، الذي يبغي أن يحتلَّ مكانكم كنائب للرب في الأرض، وإني إذ أجثو عند قدميك وأقبلهما أقدِّم لك مسرحية (محمد) التي بيَّنتُ فيها أخطاءه وانتقاداتي له، فتقبَّلْها مني مع كبير احترامي وإجلالي، سائلاً حمايتك وعفوك وغفرانك وبركتك» ڤولتير (١٧ أغسطس/ آب ١٧٤٥م)[١].

انتهز هذا المأفون المغرور حرية الفكر والكتابة، فتعرَّض لأنبل وأكرم

(١) عن مجلة الهلال، عدد شعبان ١٣٩٨هـ، أغسطس/ آب ١٩٧١م.

بني البشر وأحبّهم إلى الله!.. لقد لاقى تخريفه وتهريفه استحساناً وتشجيعاً كبيرين من رجال الفكر والسياسة والدين الأوروبيين آنذاك.

لقد تمرَّد ڤولتير على الله ورسوله تحت حماية وتبريك البابا، وبتشجيع من الغارقين معه في مستنقع الكفر والإلحاد من سياسيين وحكام ومفكرين ودور نشر ووسائل إعلام.

ولكن كانت آراء وترهات وأعمال فولتير كالزوبعة في فنجان، وكفقاعة نتنٍ طفت على سطح مستنقع الكفر والإلحاد، فتبخَّرت وتلاشت مع الريح دون أن تعكِّر شيئاً ولو يسيراً من صفاء السماء، وبقيت كلمة التوحيد سائدة شامخة: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَـٰفِرُونَ﴾ [التوبة: ٣٢].

● بعد ذلك ظهر المأفون **جيرمي بنثام** (١٧٤٨ ـ ١٨٣٢م)، الذي اعتمد في فلسفته الشاذة على نبذ العواطف والعقائد الدينية وتراث الماضي وقيمه وأخلاقه.

وضع جيرمي حجر الأساس في المذهب النفعي الذي تجاهل القيم والمُثُلَ العليا والأخلاق الحميدة ولم يكترث بها.

كما سخر من كلمة الضمير ومن عبارة الإحساس بالواجب ومن الفضيلة!.. لقد كانت الفضيلة في فلسفته ذلك السلوك الذي يحقِّق له أكبر قدر ممكن من اللذَّة والسعادة، فأيَّد الميكيافيلية (مبدأ الغاية تبرِّر الوسيلة)، وأوهم الناس أن البعث والحساب خرافة لا أساس لها من الصحة، وأنكر فكرة الدين السماوي، وكذلك الوحي والتنزيل، وقال: إنّ الدين وسيلة ابتدعها رجاله ليسيطروا من خلاله على ألباب الناس، وليتمكنوا من امتهانهم وتوجيه عقولهم كيفما شاؤوا، ومن ثَمَّ النصب عليهم وسلب أموالهم وممتلكاتهم باسم الدين، مستعينين على ذلك بالأوهام والخزعبلات وبقصص الماضي المفتراة وبغيرها من الوسائل والأفكار..

قال تعالى: ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٠﴾ الَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ ﴿١١﴾ وَمَا يُكَذِّبُ بِهِ إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ﴿١٢﴾ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾ كَلَّا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُو الْجَحِيمِ ﴿١٦﴾ ثُمَّ يُقَالُ هَٰذَا الَّذِي كُنتُم بِهِ تُكَذِّبُونَ﴾ [المطففين: ١٠ ـ ١٧].

ودون أن يدري مهّد جيرمي بنثام بفلسفته النفعية إلى ظهور الشيوعية.

● وتبنّى بعد ذلك **جون ستيوارت ميل** (١٨٠٦ ـ ١٨٧٣م) كافة ما جاء في فلسفة جيرمي بنثام، وزادها كفراً على كفر عندما قال: «إنه لن يؤمن بوجود الله إلا إذا خضع الله لتجاربه وتجارب الماديين!.. وبسبب استحالة إخضاع الله أو فكرة الألوهية لهذه التجارب، لذا فإن الله غير موجود.. أمّا إجماع الناس على الإيمان بوجود الله فإنه لا يكفي كدليل على هذا الوجود الذي تجاوز نطاق الحس والتجربة».. ﴿مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحج: ٧٤]، ﴿قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾ [التوبة: ٣٠].. ﴿وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ﴾ [سبأ: ٢٠]..

ولكي أردَّ كيد هؤلاء المارقين إلى نحورهم قمتُ بإثبات وجود الله ﷻ بالأدلّة العقلية والعلمية والحسيّة والمادية، وخصصت لذلك فصلاً مستقلاً في نهاية هذا الكتاب.

ونسوا أو تناسوا حقيقة وصفات الله، وأنه موجود، وأنه بسبب ضعفٍ في تكويننا وقدراتنا لا تدركه أبصارنا..

قال تعالى: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [الأنعام: ١٠٣]..

لذا فإن إدراك الله في الحياة الدنيا لن يكون بالمشاهدة المباشرة، بل بالقلوب وبالعقل والمنطق، ومن خلال التأمل في آلائه وآياته ومعجزاته سبحانه في خلقه: ﴿وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِّلْمُوقِنِينَ ﴿٢٠﴾ وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ [الذاريات: ٢٠ ـ ٢١].

ولو تجلّى سبحانه لمخلوقاته لما بقي على ظهر الأرض من دابة: ﴿فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا﴾ [الأعراف: ١٤٣]، علماً بأن ما تجلّى من نور الله لا يزيد عن عقلة الإصبع!..

وقعت هذه الحادثة المذهلة عندما طلب اليهود من نبيِّهم الكريم موسى عليه السلام أن يريهم الله جهرة كشرط لكي يؤمنوا بوجوده تبارك وتعالى: ﴿فَقَالُوٓا۟ أَرِنَا ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّـٰعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ﴾ [النساء: ١٥٣].

﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَـٰمُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ ٱلصَّـٰعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ﴾ [البقرة: ٥٥]..

لقد ماتوا بنار صاعقة عظيمة نزلت عليهم من السماء، والتوراة والإنجيل والتاريخ اليهودي يشهدون على ذلك.

فإذا لم تتمكّن عزيزي القارئ بنفسك من التأمّل، ومن مشاهدة آثار قدرة الخالق العظيم الموجودة في كل ما خلق وفلق وبرأ، والإعجاز الكامن فيها، فقد خصّصت فصلاً في نهاية هذا الكتاب لهذا الغرض.

فكوننا لا ندرك وجوده تبارك وتعالى لضعف حواسنا وقدراتنا؛ فإن هذا لا ينفي وجوده جل جلاله، تماماً كالأعمى الذي ينفي وجود القمر ونور القمر! هل سيصدقه أحد؟!..

﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ أَوْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ۖ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَـٰرُ وَلَـٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ﴾ [الحج: ٤٦].

● أمّا العالم **آينشتاين** ـ الغني عن التعريف ـ الذي درس الفلك والرياضيات، وهو صاحب نظرية النسبية، فقد وصل إلى حقيقة الحق من خلال علومه وأبحاثه وتجاربه، فقال رادّاً على غلواء الملاحدة والماديين والطبيعيين الذين عاصروه: «إن جوهر الشعور الديني أن نعلم أن الله الذي لا سبيل لمعرفة كنه ذاته موجود، ووجوده يملأ الكون والفضاء، وهو موجود حقّاً، وهو يتجلّى

بأسمى آيات الحكمة وأبهى أنوار الجمال». . نعم، إنه موجود سبحانه، وهو يرانا وإن لم نكن نراه. .

قال تعالى: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَـٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَـٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾ [الأنعام: ١٠٣].

فإذا تجرَّدْتَ يا أخي من سلطان شيطانك، وتحرَّرْتَ من سيطرته ومن هواجسه، وتفكَّرت بالله وبآياته وآلائه بعد أن تستقلّ بعقلك وفكرك عن الفكر المادي الملحد، فإنك لا بد ستصل إلى حقيقة الوجود الإلٰهي تماماً كما وصل إليها كثير ممن حملوا راية الإلحاد ثم رموها ورفعوا راية التوحيد، ابتداءً بسقراط وأرسطو وأفلاطون، وانتهاءً بملاحدة العصر.

ابتعد عزيزي القارئ عن فلسفات ومجالس الملحدين ومحافلهم، وتحرَّرْ من سلطانهم، وتمعّن في قول العليم الخبير: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلْكَـٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۚ أَتُرِيدُونَ أَن تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَـٰنًا مُّبِينًا ﴿١٤٤﴾ إِنَّ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا﴾ [النساء: ١٤٤ ـ ١٤٥].

عاشراً: ظهور العلمانية:

في نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين ظهر مكابران آخران بالغا في عدائهما لله وللأديان السماوية، هما: **جورج هوليوك، وتشارلس ساوث**، اللذان أصدرا مجلة (عرّاف العقل) وكرّسا كتابتهما للتجديف والطعن بالدين، فقالا مما قالاه: «لم يكن العهد القديم إلا تسجيلاً فاضحاً للشذوذ والشهوات الجنسية ولسفك الدماء، ودعوة ماجنة للفجور والإلحاد فاقت كافة روايات الدعارة ذات الصيت الواسع»!. . لقد خلطا بين التوراة الإلٰهية وبين التلمود الموضوع من قبل حاخامات مارقين وفلاسفة متنطّعين ملحدين بعد مئات السنين من انتقال موسى ﷺ إلى الرفيق الأعلى!. . لقد صوَّر هذان المفكران الأنبياء والقديسين ابتداءً بموسى ﷺ وانتهاءً ببطرس نصابين وسفاكي

دماء، كما أنكرا وجود الله وقالا: إنهما يشعران بالغثيان إذا ما لامسهما مسيحي!.. قاتلهما الله.

وضع هذان المارقان أسس الوجودية والعلمانية والاشتراكية التي راجت حتى أضحت تيارات فكرية عارمة اعتنقتها أوروبة بأكملها، ثم امتدت فسادت في كل بقاع الأرض.

كما تحاشىٰ هذان المفكران كلمة الكفر والمادية والإلحاد، وأطلقا على فلسفتهما اسم (العلمانية) ليتَّقوا بذلك محاربة الناس وعدائهم وتصدِّيهم، وبذلك نجحا في تضليل البشر وفي خداعهم، وأوقعاهم في حبائل مكرهما وفكرهما، بل وكفرهما.

فكما ترى عزيزي القارئ فقد تتالى ظهور الملحدين عبر العصور منذ عصر الأنبياء والمرسلين وحتى القرن العشرين، واعلم يا أخي أن فقاعات النتن لا بد لها أن تطفو على سطح مستنقع الكفر والإلحاد لتنفجر وتتبخَّر ويذهب ريحها فتصبح خبراً بعد عين..

قال تعالى: ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [الصف: ٨].

وكذلك طالب هوليوك بحماية الملحدين تماماً كما تحمي الدولة رجال الدين، فوعدته الحكومة البريطانية بذلك شريطة الإقلاع عن التجديف والسخرية من الكبير المتعال، من ذي الجلال والإكرام.

فنفَّذَتْ الحكومة وعدها، وتبنَّت الإلحاد ورعته في القرن التاسع عشر، والتزمت بذلك حتى غاصت بريطانية في مستنقع الكفر والرذيلة والفساد، وأضحت عاصمةَ الإباحية والشذوذ الجنسي، وهي عاصمة الماسونية العالمية.

كما سمحت حكومتهم المتحضِّرة بممارسة الشذوذ الجنسي والدعارة،

وسهَّلوا على المنحرفين والشاذين والمتفسخين ممارسة فواحشهم، ليس هذا وحسب، بل شكلت لهم جمعيات ومؤسسات ترعاهم وتحميهم وتطالب بحقوقهم.

وكان الأنكى من هذا كله سماح الحكومة البريطانية لأعضاء البرلمان المتحضِّر الذي حكم مشارق الأرض ومغاربها في غابر الزمان بممارسة الشذوذ الجنسي وما شاؤوا من موبقات، على أن يتم ذلك خارج مبنى البرلمان ـ رمز قوتهم وعزَّتهم وفخارهم ـ!..

قال تعالى: ﴿إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ﴾ [الأنفال: ٥٥].

إنها الحضارة والتحرّر والتمدّن التي يتشدَّقون بها ويتفاخرون بها على حضارة الإسلام ويتكبّرون، وهي الحضارة التي جعلت من رموزها ورجالاتها منحلين وبفخر، هذه ليست حضارة أبداً، لأن الحضارة سمو ورفعة وصفاء ونقاء وطهر روحي ونفسي.. أين هم وحضارتهم من هذا كله؟!.. وكيف نقبل بحضارة رجالها ورموزها على هذا النحو؟! إنها في واقع الأمر سقوط ماحِقٌ وعودة قذرة إلى جاهليتهم الأولى، وهي لعنة إلٰهية نزلت بهم فقصمت ظهورهم وحصدت أرواحهم حتى هدَّدت وجودهم وحضارتهم التي أضحت آيلة إلى السقوط، وذلك من خلال فيروس بسيط سلَّطه العليم الحكيم فأعيىٰ علماءهم وأطباءهم الذين أعلنوا عن فشلهم الذريع في السيطرة عليه رغم بساطته وضعفه!.. إنه تحدٍّ إلٰهي لهؤلاء المارقين عليه والجاحدين لوجوده والمنكرين لشريعته، وهو عقاب نزل بهم، ولون آخر من ألوان العذاب التي نزلت بأصحاب الحضارات السالفة التي كانت على شاكلتهم؛ كقوم لوط وعاد وثمود وغيرهم.

لقد أهلك سبحانه قوم لوط بقذائف سماوية: ﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ حَاصِبًا إِلَّآ ءَالَ لُوطٖۖ نَّجَّيۡنَٰهُم بِسَحَرٖ﴾ [القمر: ٣٤]، ثم قام جبريل بحمل مدائنهم ورفعها إلى السماء

وقلبها ومن ثم قذف بها إلى الأرض، فخسفت بهم مدينتهم، وأضحى عاليها سافلها.. أمّا في عصر الازدهار العلمي والطبي والتكنولوجي فقد أرسل ﷻ للغرب المتفسّخ، الذي جنح إلى المعصية والرذيلة، فيروس الإيدز كضرب من التحدي الإلٰهي المعجز ليذلّهم، وليوقف المارقين عند حدودهم، وليُفهم علماءهم أنهم مهما ارتقوا في علومهم فإنهم عاجزون، وأنهم لا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء سبحانه، وأنهم لم يؤتوا من العلم إلا قليلاً، وليعلموا أن الإيدز تجسيد للعنة الواحد الأحد نزلت بهم وبحضارتهم ومدنيَّتهم.

وأضحى هؤلاء الشاذون المنحرفون من الكثرة بحيث شكَّلوا نسبة كبيرة في مجتمعاتهم، حتى صار لهم أزياء وملابس خاصة بهم تميِّزهم عن غيرهم، كما صار لهم كتبهم ومعارضهم التي تعرض بضاعتهم وأفلامهم الماجنة وكل فنون فسقهم وضلالهم، لذلك كان لا بد من الحدِّ من طغيانهم وفسادهم وقصم ظهورهم؛ لذا جاءت الحكمة الإلٰهية المذهلة التي كان قد نبأنا عنها رسول الهدى والرحمة ﷺ قبل أكثر من (١٤٣٠) سنة حين قال: «**لم تظهرِ الفاحشةُ في قومٍ قط حتّى يُعْلِنوا بها؛ إلا فشا فيهم الطاعونُ، والأوجاعُ التي لم تكن مضتْ في أسلافهم الذين مَضَوا**»[١].

كما تعذَّر على علماء العالم شرقيهم وغربيهم، دانيهم وقاصيهم، أن يفهموا طبيعة ڤيروس الإيدز وخواصه.. وبما أنه أثناء تكاثره المذهل يغيِّر من شكله ويحوِّر صفاته وخواصه باستمرار، لذا تعذّر على العلماء تحضير لقاح ناجع ضده، وبذلك بقيت الوقاية من المرض محصورة بإرادة الله، وبتطبيق شريعته، وبالابتعاد عن الزنى والشذوذ الجنسي.

ووقف علماء الأرض مكتوفي الأيدي إزاء هذا التحدي الإلٰهي الكبير، علماً بأن الڤيروس بسيط جدّاً فيما يخص بنيانه وتركيبه، وهو أضعف وأصغر

---

(١) رواه ابن ماجه والبزار والبيهقي.

من كافة الڤيروسات والجراثيم وكافة العوامل المُمرضة المعروفة التي تمكّن العلماء من السيطرة عليها.

وبما أن المرض قد بقي من دون علاج، وسقط بسببه ملايين المارقين، لذا أضحى الإيدز طاعون العصر، تماماً كما ورد في الحديث النبوي الشريف..

أمّا **الطاعون في اللغة**: فهو المرض الوبيل القاتل الذي لا دواء له، وبذلك صدق سيد الأنام عليه أفضل الصلاة والسلام عندما أخبرنا بما ستؤول إليه الحال بعد أكثر من (١٤٠٠) سنة، وهذا لعمري إعجاز عظيم.

لقد أعلنوا الفاحشة ومارسوها في الطرقات والحانات، وفي الحدائق والغابات كالحيوانات، كما أعلنوها وعرضوها ودون أدنى خجل أو حياء في محطّاتهم التلفزيونية الفضائية، وشكلوا لها قنوات خاصة بثّوها إلى كافة أنحاء الأرض ليعم الفساد والبلاء.

إن ورود الحديث النبوي الشريف على هذا النحو المذهل: «**حتى يعلنوا بها**» هو كشف جليٌّ لحجاب الغيب المستقبلي، وإعجاز إلٰهي يؤكد أن كل ما كان يقوله رسول الله ﷺ لم يكن إلا وحياً أوحي إليه من لدن العليم الخبير، عالم الغيب والشهادة الذي قال في محكم كتابه: ﴿وَأَتْبَعْنَٰهُمْ فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ هُم مِّنَ ٱلْمَقْبُوحِينَ﴾ [القصص: ٤٢].

أمّا اللعنة فهي تقليد هؤلاء للبهائم، وكذلك طاعون الإيدز الذي يجلب للمصابين به العديد من الأمراض المضنية كالسرطانات والسل والالتهابات الوخيمة والآلام المبرحة التي تلازمهم سنين عديدة قبل أن تفارق أرواحهم الفاسقة أجسادهم المثقلة بالخطايا.

لقد زلزل الإيدز أركان حضارتهم وأخذ يهدِّد وجودهم: ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هُمْ أَشَدُّ مِنْهُم بَطْشًا فَنَقَّبُوا۟ فِى ٱلْبِلَٰدِ هَلْ مِن مَّحِيصٍ ﴿٣٦﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ

﴿لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ [قٓ: ٣٦ ـ ٣٧]. صدق الله العظيم وصدق رسوله الكريم.

● بعد وفاة هوليوك ترأَّس **براد لاف** الجمعية العلمانية الإنكليزية التي كان قد بلغ عدد مراكزها وفروعها المئة.. ثم خلفه جورج وليم فوت الذي ترك الجحود بالله جانباً، وركَّز اهتمامه ونشاطه على ترسيخ الفكر العلماني الاشتراكي، ففقدت بذلك حركته بريقها السابق.. ولتدارك الأمر سارع إلى التهجُّم على الله وعلى شرائع السماء، فوصف الرحمن الرحيم ﷻ بالوحشية والاستبداد! وقال: إنه متعطِّش للدماء..

قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ مَبْلَغُهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱهْتَدَىٰ﴾ [النجم: ٣٠].

وعندما أُلقي القبض على هذا المارق قال في المحكمة وبوقاحة لا تعدلها وقاحة: «لماذا تحاسبون الملحدين على تجديفهم ولا تحاسبون المؤمنين على استهزائهم بالملحدين؟!».. إنه تهتّك روحيّ وأخلاقيّ ودنس فكريّ وعقائديّ أودى به وبأمثاله إلى أسفل سافلين: ﴿بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ﴾ [صٓ: ٢].

لقد تكبَّر هذا الملحد وفَجَرَ، ونسي أو تناسى بأن العلي الكبير قد خلقه من ماء مهين، وغذّاه بلبن أخرجه من بين فرث ودم نجسين ليذكِّره على الدوام بمدى حقارته وهوانه وضعفه أمام عظمة الله وجبروته، ثم بعد ذلك يتنطّع ويتشدَّق على خالقه وبارئه!.. ﴿أَوَلَمْ يَرَ ٱلْإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ﴾ [يسٓ: ٧٧].. وهل يخاصم اللهَ إلا غافل جاهل أو شيطان مارق؟! ومتى كان للعبد أن يتطاول على سيده أو على ملكه؟! فكيف تتجاسر يا هذا ومَنْ هم على شاكلتك على ملك الملوك وربّ الأرباب؟!.

مِن كلِّ شيء إذا ضيَّعْتَه عِوَضٌ ... وما مِنَ الله إن ضيَّعْتَهُ عِوَضُ

في هؤلاء قال خالق السموات والأرض وصاحب الملكوت العظيم: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ﴿١٠٣﴾ الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا ﴿١٠٥﴾ ذَٰلِكَ جَزَاؤُهُمْ جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُوا وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَرُسُلِي هُزُوًا﴾ [الكهف: ١٠٣ ـ ١٠٦].

حادي عشر: نظرية النشوء والارتقاء الذاتي لداروين:

في خضمِّ تيارات القرن التاسع عشر الفكرية، ظهرت عام (١٨٥٩م) نظرية أصل الأنواع والنشوء الذاتي لـ **شارلس داروين**، الذي درس العلوم الحيوية واللاهوت، فقال: إن ذرات الهيدروجين التي انتشرت في الفضاء الفسيح المترامي الأطراف إثر الانفجار الكبير (Big Bang) الذي حدث قبل (١٢ ـ ١٥) بليون سنة، راحت تتَّحد ببعضها بعضاً بفعل الطاقة الهيدروجينية الهائلة التي انطلقت في الفضاء، فتشكل من هذا الاتحاد عناصر جديدة مغايرة لصفات الهيدروجين، ثم اتحدت هذه العناصر ببعضها، وامتزجت بمياه الأمطار وبالتربة، فتشكَّل منها بطريق المصادفة مركب كيميائي عضوي بسيط ذو نشاط حيوي ضعيف، ثم راح هذا المركب يتطوّر فأنتج الجراثيم والڤيروسات والطحالب والفطريات!.

وباتحاد هذه الكائنات الدنيا وحيدة الخلية بعضها مع بعض نجم عنها كتلة خلوية حيَّة متناهية في الصغر.. لقد تطورت هذه الكتلة عبر ملايين السنين فأعطت جميع الحيوانات التي تدبّ الآن على سطح الأرض، والتي منها القردة التي ارتقت أعلى درجات التطور والنمو والاصطفاء الطبيعي، فأنتجت الإنسان دون تدخّل يد الله وقدرته وإبداعه في هذا النشوء الذاتي والتطور الذي وصفه بأنه عشوائي.

تجاهل الطبيعي الملحد داروين قدرة الله ووجوده، واستبدل كلمة الخلق والإبداع والتصوير بالنشوء الذاتي والتطور العشوائي، ومن ثَمّ الاصطفاء

الطبيعي الذي أثَّرت فيه الطبيعة بتخبّطها الهائج وبالظروف البيئية التي أحاطت بكل جنس وصنف من الحيوانات.

لهذا المارق أقول: كيف تمكَّنَتْ ذرات الهيدروجين من تكوين ذرات وعناصر أخرى بشكل فوضوي؟! وكيف اتَّحدت هذه العناصر ببعضها لتعطي عناصر أخرى مغايرة في شكلها وطبيعتها وفي خواصها الفيزيائية والكيميائية؟! وكيف اتَّحدت هذه العناصر ببعضها لتعطي مركباً عضويّاً معقَّداً؟! وهل لهذه العناصر وللعنصر الأم عقل مدبّر يسيِّر أمورها ويوجِّهها؟! وهل بإمكان الجماد أن يشكِّل مركباً عضويّاً حيّاً؟!..

فإن كان هذا حقّاً، فإننا نتوقع أن نرى في كل يوم وفي كل ساعة انبثاقاً جديداً لمخلوق أو لكائن حيٍّ جديد، ولكن شيئاً من هذا لا يحدث!.

وإذا كان بإمكان مركب عضوي أن يتحوَّل تلقائيّاً إلى خلية حية كالفيروس أو الجرثوم أو غيرهما، فلماذا لا يتكرَّر الأمر في هذه الأيام؟!..

وهل يصدِّق رجل حصيف يتمتّع بالحكمة والمنطق أن الخلية الحية ذات البنيان الهندسي البالغ التعقيد، الذي يفوق تركيبه أعظم الكومبيوترات قد تشكلت من الجماد وبشكل عفوي دون خالق قادر بالغ الحكمة وواسع العلم؟!.. فإن كانت المصادفة وراء هذا الخلق، فهل يمكن لمصادفة أخرى أن تشكل لنا نواة خلية لا يزيد قطرها على (٢ ـ ٣) ميكرونات، علماً بأن الميكرون يعادل واحد من ألف من الميلي متر، وتحتوي في داخلها (٤٦) كروموسوماً طول كل منها متران، ويحمل كل واحد منها (٥٠,٠٠٠) جيناً مركبة من أعداد هائلة من جزيئات الدنا (DNA) الذي يتركَّب بدوره من ملايين الجزيئات العضوية الدقيقة، التي يتركب الواحد منها من عناصر معدنية لا يمكن حصر عددها في الجين الواحد؟!.

وهل بإمكان مصادفة بلهاء أن تضع شيفرة الخلق في هذه الجينات بحيث

يلتزم بها الكائن الحي طيلة حياته؟! علماً بأن شيفرة الخلق هذه تحدِّد وظائف الأعضاء كلها وأسلوب عملها! كما تحدد صفات الكائن الحي وطوله ولونه وحجمه ولون عينيه؛ وهل سيدبّ على أربع أم أنه سينصب قامته ويمشي على رجلين؟ وهل سيكون ذكيّاً كالإنسان أم دونه في ذلك؟.. فهل بإمكان مركب عضوي بسيط أن يشكِّل ومن تلقاء نفسه هذه العضوية المذهلة؟! علماً بأن في الجسم البشري (١٠٠) تريليون خلية؛ كل منها آية في الإعجاز وفي دقّة الصنع التي لا تجاريها عشرات الكومبيوترات!.

وكان حظّ داروين عاثراً لأنه لم يكن يعرف لا هو ولا من عاصروه شيئاً عن الهندسة الوراثية التي ظهرت وتطورت وازدهرت في نهاية القرن العشرين، أي بعد (١٥٠) سنة من شطحاته التي لم تبلغ درجة النظرية ولا حتى الفرضية.

لقد أثبت هذا العلمُ الجديدُ بما لا يدع مجالاً للشك أن شيفرة الخلق التي تحملها الجينات تحافظ على صفات الكائن عبر مليارات السنين، ولا تسمح له بأي تطوّر أو انحراف أو شذوذ.. كما بيَّن هذا العلم أن أيّ شذوذ في تركيب الجينات أو في أحد أجنَّة الإنسان أو الحيوان سيتمخَّض عنه وليد مشوَّه وضعيف، وهو إما أن يموت أو يكون عقيماً فلا يكرِّر نفسه، أي: لا يمكن نقل صفته الشاذة إلى الأجيال التالية ـ إن كان له نسل ـ، ولمزيد من التفاصيل عن هذا الموضوع الدقيق الذي دحض افتراءات داروين ما عليك عزيزي القارئ إلا أن تعود إلى كتابي: (الإعجاز الإلٰهي في خلق الإنسان وتفنيد نظرية داروين)[1].

كما أنكر علماء القرن العشرين نظريات داروين وحنَّطوها في متحف الخزعبلات والترَّهات العلمية إلى الأبد.

قال العالم الطبيعي **بونر (J. T. Bonner)** في كتابه (أفكار علم الأحياء:

(١) صدر عن دار القلم بدمشق، ١٤٢٨هـ ـ ٢٠٠٧م.

Ideas of Biology): «يتعذَّر على أي عاقل أن يصدِّق تحوّل الجماد إلى خلية حية بشكل عفوي أو بمحض الصدفة!.. لقد كانت نتيجة الدراسات التي قام بها علماء القرن العشرين في هذا المجال أن وضعوا نظرية النشوء الذاتي والتطور في خزانة الشطحات والظنون العلمية».

وحتى داروين نفسه لم يكن مقتنعاً بصحة نظرياته بشكل أكيد، وهذا ما ستجده يا أخي بنفسك عندما تقرأ كتابه: (أصل الأنواع) الذي طُبع عام (١٨٥٩م).. لقد ورد في الفصل السادس منه: «إني لا أشك بأن اعتراضات كثيرة قد خطرت ببال القارئ قبل أن يصل إلى هذا الفصل من كتابي.. إن بعض الاعتراضات خطيرة لدرجة أنني حتى اليوم أضطرب وتعتريني هزَّة وقشعريرة كلما فكرت فيها».

إنها هزَّة الضمير، هزّة وجدانه وعقله اللذين رفضا افتراءاته على الله واعتراضه، وادعاءه بأن الطبيعة هي التي أوجدت كافة المخلوقات!..

قال تعالى: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ﴾ [يوسف: ١٠٦].

من أقوال داروين التي ناقض فيها نفسه بنفسه: «إنني لم أجد سلسلة تطورية في مستحاثات الأرض تربط بين الحيوانات البدائية التي لم يكن لها عيون تُبصر وبين الحيوانات الحديثة ذات العيون المبصرة.. وأنا لا أعتقد أن العين بتركيبها المعقَّد قد تطوَّرت بشكل عفوي من خلايا بدائية كانت تسكن الأرض قبل مليارات السنين».

أمّا العالم الطبيعي **كلوتز**، وهو بروفسور في الجامعات الأمريكية؛ فقد قال: «يحتاج الاعتقاد بالنشوء الذاتي والتطور إلى كثير من السذاجة والسطحية في التفكير»..

قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُحَآجُّونَ فِي ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مَا ٱسْتُجِيبَ لَهُۥ حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ﴾ [الشورى: ١٦].

وبما أنني أفردتُ بحثاً في نهاية هذا الكتاب رددتُ فيه على افتراءات الطبيعيين ورائدهم الملحد داروين، لذا سأترك هذا الموضوع لأعود إلى ملاحدة العصر.

ثاني عشر: فلسفة الصهيونية العالمية:

في بداية القرن التاسع عشر ظهرت نبتة خبيثة أخرى من مستنقع الحقد والمكر والفساد الصهيوني الذي توارثه اليهود عن أجدادهم الضالين، الذين ناصبوا أنبياءهم العداء، وأذاقوهم أشدَّ العذاب.. لقد ظهر **موريس هيس** عام (١٨٤١م) وراح ينادي بتوحيد شمل اليهود الذين تشتَّتوا في الأرض قبل آلاف السنين، ودعا إلى تشكيل دولة لهم في المنفى، ومن ثَمَّ ذكر أرض فلسطين وبلاد أخرى، وقد كانوا يفكرون بادئ ذي بدء بالنيجر.

وكان موريس هيس زعيم الفلسفة الصهيونية الروحي والحاخام الأول وأستاذ **هرتزل** الذي أسَّس فيما بعد الصهيونية العالمية، كما تتلمذ عند موريس هيس **كارل ماركس** فيلسوف ورائد الشيوعية الأول؛ وهو يهودي أيضاً، وهو حفيد الحاخام اليهودي **مردخاي ماركس** الذي لعب دوراً كبيراً في صياغة الفكر الصهيوني الذي تبَنَّته الحركة الصهيونية العالمية فيما بعد.

● لقد قامت الصهيونية العالمية بتأسيس الفلسفة الشيوعية والرأسمالية الليبرالية؛ لتتمكن من خلال هذين النظامين العالميين من السيطرة على العالم اقتصاديّاً وسياسيّاً وفكريّاً.. بعد أن يتم لهم ذلك سيتمكنون من الغلوّ والاستعلاء على كافة شعوب الأرض، فيقودونهم ويسخِّرونهم ليحقِّقوا غاياتهم وطموحاتهم التي لخَّصها حكماؤهم بعبارة صغيرة مفادها: «على اليهود أن يسودوا العالم، وأن يسخِّروا شعوب الأرض، وأن يركبوهم كالحمير حتى يصلوا إلى غايتهم، وحتى يصبحوا شعب الله المختار».

وبعد أن استتبَّ لهم الأمر وأمسكوا بزمام الأمور في أمريكا، وهي أعظم

دولة على سطح الأرض، صار ذهبها واقتصادها ومعاملها وكافة مقدّراتها واتخاذ القرارات فيها في أيديهم، وبعد أن أضحى رؤساؤها وساستها طوع أمرهم خطَّطوا للحركة البلشفية الروسية، ثم رعوها وقاموا بتنفيذها بقيادة اليهود من الروس حتى تمَّ لهم ما أرادوا.. ولولا الصهيونية العالمية وأموالها الطائلة التي أنفقتها لتجهيز وإنجاح الثورة لما تمكَّن البلشفيون من السيطرة على روسية ولا من القضاء على حكم القياصرة فيها.

بعد أن أضحت روسية في قبضتهم نصَّبوا اليهودي **كارمينيف** رئيساً عليها، كما نصّبوا **لينين** رئيساً لحكومتها، وأعطوا كرسي وزارة الخارجية للصهيوني **وتردتسكي**.

لقد تولَّى رئاسة الجمهورية بعد لينين **زينوفييف** ثم **كامينيف** ثم **تروتسكي** ثم **باكوف سفردلوف**، وهم برمّتهم يهود متعصِّبون للصهيونية العالمية.

● كما ظنَّ اليهود أنهم من خلال فلسفاتهم وحركاتهم المختلفة كالشيوعية والماسونية والعلمانية وغيرها سيتمكّنون من الوصول إلى كل بيت، وإفساد كل عقل على وجه الأرض، وبذلك سيتمكنون من خلال هذا الغزو الفكري من السيطرة على كافة الشعوب وصهرها في بوتقة الصهيونية العالمية، ومن ثَمّ تسخيرها لخدمة شعب الله المختار ـ كما يزعمون ويتوهمون ـ الذي اختاره الله ـ كما تقول كتبهم المحرّفة ـ ليقود العالم وليكون خليفته على الأرض.

لقد حقَّقوا من خلال المكر والتدليس الكثير الكثير مما يصبون إليه، وانضوت تحت جناحهم جموع غفيرة ممن لم يكونوا في الأساس من معتنقي الدين اليهودي، كفقراء روسية الذين عانوا الأمرّين من الشيوعية، ففرّوا بكرامتهم إلى الأرض الجديدة إسرائيل بحثاً عن لقمة العيش، وكذلك الأفارقة الجياع الذين فرّوا من البؤس والشقاء متطلِّعين إلى حياة أفضل تحت راية الصهيونية.. فاليهود الحقيقيون قلَّة ضعفاء جبناء أذلاء ومشتّتون في الأرض،

ولولا الفكر الصهيوني الخبيث لما قامت لهم قائمة اليوم، ولولا الدعم الغربي لما تمكنت دولتهم من الاستمرار.

● وتمخّضت اجتماعات حكماء صهيون عن بروتوكولات كانت سلسلة من اللاأخلاقية والإباحية والقتل والسلب والغش والتدليس.. لقد شكلوا برلماناً صهيونيّاً في المنفى ربطهم ببعضهم على اختلاف ألوانهم وأجناسهم وألسنتهم وانتماءاتهم القومية وعقائدهم الفاسدة وأفكارهم الهدّامة اللاإنسانية.

فقد جاء في البروتوكول الأول: «الغاية تبرِّر الوسيلة».. وقالوا: «علينا أن لا نلتفت إلى ما هو أخلاقي وخيِّر، وعلينا أن نهتم بما هو ضروري ومفيد لنا، ولذلك يجب ألّا نتردَّد لحظة واحدة في اللجوء إلى الرشوة والغش والخيانة والخديعة والتدليس وكل ما هو لا أخلاقي ومُنافٍ للديانات السماوية طالما أنه يخدم مصالحنا»!.. فكانوا بذلك من مؤسسي الفكر الميكياڤيلي.

فكان هذا البروتوكول عنوان الفلسفة الصهيونية، ثم أصبح فيما بعد العمود الفقري والأساس الذي ارتكزت عليه الشيوعية الحمراء.

أما البروتوكول الخامس فقد كان أنكى وأكثر سخفاً وحمقاً مما سبقه، فقد جاء فيه: «تقرُّ الأديان السماوية جمعاء بأننا شعب الله المختار، وأننا وُهبنا العبقرية والذكاء الذي يؤهِّلنا لقيادة العالم، لذا علينا لكي نحقِّق هذه الغاية أن نجعل أيادينا ومخالبنا طويلة صلبة وقاتلة، وإلا فإننا لن نتمكّن من إخضاع كافة شعوب الأرض لسيطرتنا».

وبالفعل فقد عمدوا إلى السلاح، وإلى القوة والعنف، وإلى سفك دماء الفلسطينيين ليخرجوهم من ديارهم وأراضيهم، وليسلبوهم وطنهم وممتلكاتهم، ولا زالوا يمارسون العنف والإرهاب ضدهم إلى يومنا هذا.

لقد لجؤوا إلى الدول العظمى وإلى بريطانيا بشكل خاص لتكونَ لهم عوناً على ذبح الشعب الفقير الأعزل المسالم الخالي الوفاض، فذبحوهم وأطفالهم

ونساءهم وشيوخهم بلا رحمة ذبح الخراف، ففروا مذعورين هاربين في كلِّ اتجاه.

● لقد كانوا شعب الله المختار أيام نبيِّهم موسى عليه السلام؛ لأنهم كانوا الموحدين الوحيدين على وجه الأرض آنذاك، ولكن ولكفرهم وغيِّهم ولقتلهم أنبياء الله بغير حق، وتطاولهم على الله، وتكذيب رسله الكرام وتحريف كلام الله، لعنهم الله وطردهم من رحمته، وجعل منهم القردة والخنازير، وضرب عليهم الذلَّة والمسكنة والشتات إلى يوم الدين..

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلَّذِينَ ٱعْتَدَوْا۟ مِنكُمْ فِى ٱلسَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا۟ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ﴾ [البقرة: ٦٥].

وقال: ﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ ٱللَّهِ ۚ مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ ٱلْقِرَدَةَ وَٱلْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ ٱلطَّٰغُوتَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ﴾ [المائدة: ٦٠].

فهل يُبقي الله على قوم ويجعلهم شعبه المختار بعد أن لعن من لعن منهم، وبعد أن مسخ من مسخ منهم قردة وخنازير؟! وهل يختار الله شعباً ويقرِّبه منه وهو يكذِّب به وبكتبه ورسله؟! وهل يجعلهم خلفاءه في الأرض بعدما قالوا: ﴿قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ﴾ [البقرة: ٨٨]، وبعدما غضب عليهم وقال فيهم: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ﴾ [المائدة: ٦٠]؟!.

لا وألف لا، لقد جاء حكمه عليهم جليّاً بيِّناً في الآية (٦١) من سورة البقرة؛ حيث قال سبحانه: ﴿وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ وَٱلْمَسْكَنَةُ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ ۗ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ۗ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ﴾ [البقرة: ٦١]، وهذا ما كان.

لقد استكبروا في أنفسهم رغم الشتات الذي ضُرب عليهم، وعلوا في الأرض علوّاً كبيراً.. من أجل ذلك كرهتهم شعوب الأرض، وامتهنت

كرامتهم، وسخَّرتهم كما تسخر البهائم، وكانوا لا يأخذون منهم ولا يعطونهم لئلا تمسَّ يد الغربي يد واحد منهم، اشمئزازاً منهم وتجنباً للقذارة والدنس والنجس التي تجسَّدت فيهم وفي أفعالهم وأنفسهم وأفكارهم.

كانوا في الماضي السحيق شعب الله المختار، ولكن وبعد نزول لعنة الله عليهم أضحوا كالأنعام بل هم أذلُّ وأحقر.

● كما قام الصهاينة الروس بدعم من الصهيونية العالمية وبإشراف زعيم وكاهن الحركة الشيوعية **لينين** بتأسيس الحزب الاشتراكي الثوري الإرهابي بقيادة اليهودي **غرشوفي** الذي قاد جيشه اليهودي وضرب بيد من حديد وأخرى من نار من خلال ثورته البلشفية عام (١٩١٧م)، فقضى على القيصر وعلى كافة أفراد الأُسرة الحاكمة، حتى الرضيع قتلوه، والجنين من بطن أمه أخرجوه، لقد ذبحوهم عن آخرهم لئلا تقوم لهم بعد ذلك قائمة.

فالصهيونية والشيوعية وجهان لشيطان واحد، وهذا ما جاء في المجلة الصهيونية الأمريكية (أفريقان هيبرو) في عدد (١٠ أيلول/ سبتمبر ١٩٢٠م): «لقد كانت الثورة الشيوعية ـ البلشفية في روسية من تصميم وتدبير وتنفيذ اليهود، والصهيونية والشيوعية وجهان لعملة واحدة.. لقد كان غرض اليهود من السيطرة على روسية ومن وضع الفلسفة الشيوعية خلق نظام عالمي جديد يسيطرون من خلاله على العالم الشرقي كما سيطروا من قبل على العالم الغربي».

إنهم يقصدون من وراء هذا الكلام تبعيَّة كافة الشيوعيين في العالم، غربيين كانوا أم شرقيين، فرنسيين أم أمريكيين؛ لروسيا عاصمة الشيوعية ومركز حزبهم العالمي.

وكان انتماء هؤلاء الشيوعيين لروسية أقوى وأجلَّ من انتمائهم لأوطانهم، لذا كانوا يخونون أهلهم وعشيرتهم وديارهم لإسداء المعروف

لروسيا، ولتقديم كافة الخدمات والأعمال التي تخدم مصالحها ومصالح الشيوعية الحمراء.

فقد تجسَّس هؤلاء الشيوعيون على بلادهم لمصلحة روسيا، وقدّموا لها على مدى عشرات السنين كل ما حصلوا عليه من أسرار عسكرية واستراتيجية وعلمية.

هذه هي الأمميَّة (التبعيّة) التي جعلت الشيوعي يبيع ضميره وأهله ووطنه وكرامته لقاء عَرَضٍ زائل أو خدمة يسديها لأسياده الروس، ناسين أو متناسين قول الله تعالى: ﴿وَلَا تَرْكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنْ أَوْلِيَآءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ﴾ [هود: ١١٣].

● استطاعت الصهيونية العالمية أن تسيطر على أحد أكبر دول العالم بمساحتها وتعداد سكانها ومواردها واقتصادها وقوتها، ورسّخوا فيها دعائم الشيوعية والصهيونية، وأحكموا قبضتهم على الاقتصاد الأمريكي بأسلوب آخر مغاير للشيوعية والأمميّة، فأمسكوا بذلك بزمام الأمور في أكبر دولتين في العالم.

ورضخ لسياستهم كافة رؤساء أمريكا وشيوخها وسيناتوراتها.

لقد قادوهم طائعين صاغرين مذلولين حتى بدوا كالأنعام بل أذلّ وأخضع.

وتمكنت الصهيونية العالمية من خلال سيطرتها على هاتين الدولتين العظيمتين من التحكّم بمصير العالم أجمع، وهذا واقع نلمسه ونراه كل يوم وكل لحظة، حتى بدت إسرائيل وكأنها عاصمة العالم والعقل المحرِّك له.

● انظر يا أخي إلى العقلانية والعلمانية كيف انتشرتا بين شعوب الأرض حتى تبنَّتهما معظم حكومات العالم!.. فإذا علمت أن هذين الاسمين مرادفان للشيوعية، فإنك سترى مدى ما حقّقته الحركة والفلسفة الصهيونية الدموية من

نجاح في تنفيذ بنود مخططها الذي رسمه حكماء صهيون في مدينة (بال) في نهاية القرن التاسع عشر!.

ثالث عشر: من مبادئ الشيوعية:

لا يهمنا في هذا الكتاب التعرّض لجميع مبادئ الشيوعية، ولكن الذي يهمنا جانبها الروحي والديني، لذا سلّطت بعض الضوء عليه:

● لقد قلب حَبْرُ الشيوعية وكاهنها الأكبر اليهودي الألماني **كارل ماركس** (١٨١٨ ـ ١٨٨٣م) عبارة التوحيد الخالدة (لا إلٰه إلا الله) إلى عبارة شيوعية هزيلة (لا إلٰه والحياة مادة).

أما **لينين** فقد قال: «الله فكرة خرافية، ولا يوجد إلٰه مسيِّر للكون، لقد اختلق الإنسان هذه الأوهام ليبرِّر عجزه، لذا فإن كل من يدافع عن فكرة وجود الله هو إنسان عاجز وجاهل».

وجاء في المؤتمر الدولي السادس للشيوعيين الذي انعقد عام (١٩٢٨م) ما يلي: «الدين أفيون الشعوب، والحرب ضدّه هدف أساسي من أهداف ثورتنا الثقافية.. علينا أن نغذِّي هذه الحرب، وأن نستمر عليها بإصرار وعناد كبيرين».

وحضَّ لينين على الإلحاد وعلى نكران الذات الإلٰهية، وقال: إن الماركسية هي المادِّية، ومن ثَمَّ فهي معادية للأديان السماوية.

وجاء في رسالة من **لينين** إلى الكاتب الروسي **مكسيم جوركي**: «إن البحث عن الله أمر لا فائدة منه، كما أن من العبث أن نبحث عن شيء لا نلمسه ولا يمكننا أن نخبئه، والآلهة شيء لا يمكننا البحث عنه بل خلقه، وبما أننا لم نخلق الآلهة بعد، فهي إذن غير موجودة»!.. ذلك مبلغهم من العلم! قاتلهم الله أنَّى يؤفكون.

يردف لينين فيقول: «إن الاعتقاد بوجود الله تراث موروث من الأجداد الذين اتّسموا بالبساطة وبالجهل والتخلُّف.. إن النفس التي تفكّر بوجود الله دنيئة وذميمة».. ﴿زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ فَوْقَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾ [البقرة: ٢١٢].

وحذَّر لينين أتباعه من مغبّة التفكّر في ملكوت الله، ومن التبصُّر في عظيم شأنه وقدره وقدراته ﷻ، يريد بذلك أن يلجم ألسنتهم، وأن يطمس على عقولهم، وأن يحجب عنها نور الهداية والحق!.. ﴿بَل هُمْ فِى شَكٍّ مِّن ذِكْرِى بَل لَّمَّا يَذُوقُوا۟ عَذَابِ﴾ [صٓ: ٨]..

لقد تناسوا ﴿بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ ٱلْبَـٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ﴾ [لقمان: ٣٠]، فقال فيهم سبحانه: ﴿وَمَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِى مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا ﴿٢٨﴾ فَأَعْرِضْ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿٢٩﴾ ذَٰلِكَ مَبْلَغُهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱهْتَدَىٰ﴾ [النجم: ٢٨ ـ ٣٠].

لقد قال لينين على الله الكذب، وهو يعلم علم اليقين أنه ﷻ موجود، وكان يخشى أن يتفكَّر أتباعه في عظمة الله وفي آلائه وقدراته لئلا تخشع قلوبهم فينصهروا في بوتقة الإيمان والتوحيد.. لقد كابر وركب رأسه ودعا إلى الإباحية والإلحاد، وإلى كل ما يفسد النفس البشرية والفطرة الإلٰهية؛ لينفِّذ المخطَّط الصهيوني الذي رسمه هو وزملاؤه من حكماء صهيون ودوَّنوه في بروتوكولاتهم..

قال تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [آل عمران: ٧٥].. قاتلهم الله أنَّى يؤفكون.

● من تعاليم الشيوعية الأخرى ما جاء في أحد بياناتهم: «من أهداف الشيوعية إلغاء الملكية الخاصة للأفراد، واقتصار الملكيات على الدولة،

ومحاربة نظام الأُسرة؛ الذي اعتبروه ضرباً من البرجوازية وعبودية للمرأة، كما ألغوا الديانات، ودعوا إلى محو الأخلاق الموروثة السائدة؛ لأنها من مخلّفات الماضي الجاهل».

ودعت جريدة سوفتسكيا براقدا عام (١٩٥٨م) الشيوعيين إلى تنظيم حملة لمكافحة العقائد المغايرة للشيوعية، والقضاء على الأديان السماوية وكل مخلفاتها، وقالت: إن كافة الديانات متشابهة في كونها باطلة، ولولا ذلك لما استتبَّ لهم الأمر، ولو أن الله موجود لما سمح لهم بمعادات الدين ونبذه وقتل ملايين المؤمنين به.

لقد هدَّمت الحكومة الروسية الغالبية العظمى من المساجد والكنائس، وحوَّلت عدداً كبيراً منها إلى مسارح وحانات للّهو، وإلى بيوت للدعارة وممارسة الشذوذ، وإلى إسطبلات لحيواناتهم، ومراكز ترفيهية لعناصر حزبهم، كما أبقوا على بعضها لتكون متحفاً محنَّطاً ورمزاً للرجعية البائدة ـ حسب فكرهم الجاهلي..

قال تعالى: ﴿وَلَا يَزِيدُ ٱلْكَٰفِرِينَ كُفْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ إِلَّا مَقْتًا وَلَا يَزِيدُ ٱلْكَٰفِرِينَ كُفْرُهُمْ إِلَّا خَسَارًا﴾ [فاطر: ٣٩].

لقد عادوا كافة الديانات عدا اليهودية لأنها محرَّفة مئة بالمئة، فبدت حركتهم كالماسونية السوداء التي تعتبر ومعها العلمانية والداروينية والمادية الجدلية أغصان متفرعة من جذع شيطاني واحد.

● ولكي يقضوا على الإسلام في روسية قتلوا ملايين المسلمين، ونفوا من تبقَّى منهم إلى سيبيرية، فأذاقوهم جميع ألوان التنكيل والتعذيب، ثم تركوهم يتضوَّرون من الجوع حتى نهش الطوى والبرد أجسامهم!.. كما اضطهدوا من أسعَفَهُ حظُّه فنجا من الذبح ومن النفي، ومنعوه من جميع حقوقه المدنية ومن العمل، ومنعوا عنه الطعام والكساء والشراب، إلا أن يعترف بأنه

قد نبذ الإسلام، أو أن يوقِّع صك الإلحاد الذي دوّنوا فيه عبارة: (لا إلٰه ولا دين ولا أي شيء غير ستالين)!..

وقدَّرت الحكومة الروسية عدد ضحايا المسلمين أثناء الثورة البلشفية عام (١٩١٧م) بـ (٨٠٠) ألف مواطن، ولكن العدد تفاقم بعد أن استتبّ لهم الأمر.. لقد راحوا يذبحون المسلمين دون ذنب اقترفته أيديهم، فانخفض عددهم خلال السنوات الثلاث الأولى من الحكم الشيوعي من (٤٥) مليوناً إلى (٢٢) مليوناً فقط!.. إنها مذبحة لم يسبق لها مثيل في التاريخ!.. ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ﴾ [المائدة: ٨٢]..

وفي القرن العشرين وعندما ازداد عدد المسلمين في الشيشان وفي دول القوقاز وازداد خطرهم الروحي على الكيان الشيوعي الملحد، ولئلا يستتبّ لهم الأمر، ولكي لا يعود مجد الإسلام إلى هذه الربوع المغتصبة، أغار الجيش الروسي الغاشم بوحشية الحيوانات الضارية على مسلمي الشيشان، وقتلوا الشيوخ والأطفال والنساء، وهتكوا الأعراض ونهبوا الممتلكات وحوّلوا الديار إلى أنقاض.

وعبَّر الدمار الشامل الذي أحدثوه في مدن المسلمين عن مدى حقدهم المرير الدفين ضد الإسلام والمسلمين.

وإمعاناً منهم في النيل من المسلمين راحوا ينهبون أعضاءهم وأعضاء أطفالهم ويزرعونها في أجسام أنصارهم، دون أن تأخذهم بهم رأفة ولا رحمة، ودون أن تثنيهم دموع الأطفال الجائعين البائسين عن غيِّهم وصلفهم وتعنُّتهم ووحشيتهم!.. إنها تجسيد حيٌّ لهمجية الشيوعية الحمراء التي كشَّرت عن أنيابها، وراحت تذبح النساء والأطفال والشيوخ ذبح النعاج، ثم وارتهم التراب في قبور جماعية اكتنفت مئات الشهداء الذين كان جلّ ذنبهم أنهم قالوا: لا إلٰه إلا الله.

وبما أن الدماء مسلمة، لذا لم تحرِّك أمريكا وفرنسا وإنكلترا ساكناً، ولم

تنادِ بحقوق الإنسان كعادتها، والأنكى من ذلك الأمم المتحدة التي بدت وكأنها في سبات عميق أشبه ما يكون بالموت.

لقد سفك أحفاد لينين وستالين دماء المسلمين تطبيقاً لنظريتهم الجائرة التي تسمح بقتل وإهلاك ثلاثة أرباع العالم على أن يصبح ربعه الرابع شيوعيّاً مواليا.

● وزعم الشيوعيون بأن القرآن الكريم لم يكن موجوداً أثناء حياة الرسول عليه أفضل الصلاة والتسليم، وأنه قد تمَّ وضعه أيام عثمان بن عفان ﷺ، ثم تتالى عليه التحريف والتغيير.

لقد ردَّ الله كيد هؤلاء الملحدين إلى نحورهم عندما أكَّد لهم أن القرآن من عنده، وأنه سيحفظه من التحريف والتغيير ومن كل ما يسيء إليه؛ فقال سبحانه: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ [الحجر: ٩]، وقوله الحق سبحانه.

يقول المستشرق الفرنسي البروفسور **مارديش** في كتابه: (ترجمة معاني القرآن) الذي طُبع عام (١٩٢٦م): «أما أسلوب القرآن فإنه أسلوب الخالق جلّ وعلا، والأسلوب ينطوي على كُنه الكائن الذي صدر عنه هذا الأسلوب، وهذا الأسلوب لا يمكن أن يكون إلا إلٰهيّاً، والحق والواقع أن أكثر الكتّاب ارتياباً وشكّاً خضعوا لسلطان وتأثير القرآن وأسلوبه وفصاحته».

نعم إن أسلوب القرآن وفصاحته فوق أسلوب الإنس والجن وفصاحتهم: ﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ [الإسراء: ٨٨].

لقد حرّموا على الناس ممارسة شعائر دينهم حتى وإن كان ذلك في الخفاء، وهدَّدوا من وجدوا القرآن الكريم في بيته بالسجن لمدة سنة، وبتجريده من حقوقه المدنية وطرده من عمله، وهذا يعني إذلاله وقتله وأسرته جوعاً، لأن

العمل في نظامهم الشيوعي بيد السلطة والحزب، والذي لا يعمل لا يحصل على حاجته من المأكل واللباس والمأوى.. لذا اضطر الناس أن يتخلّوا عن عقيدتهم والانخراط في بوتقة النظام حفاظاً على قوتهم وقوت أطفالهم، وصوناً لكرامتهم ومستقبلهم ومستقبل أولادهم..

قال تعالى: ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [الصف: ٨].

● أمّا الجانب الأخلاقي للشيوعية الحمراء فلم يكن أفضل من جانبها الروحي، لأنهم دعوا إلى اللاأخلاقية، وقالوا: إن الغاية تبرِّر الوسيلة، فأباحوا بذلك لأنفسهم اجتراح الموبقات والغش والرشوة والتدليس والكذب والتحايل، وإنكار حقوق الغير، وممارسة الشذوذ الجنسي وكافة ألوان الجنس المحرَّم، كما دعوا إلى الإباحية وإلى شيوع الجنس.

وورد في أحد بياناتهم: «على المناضل الشيوعي أن يتمرّس على شتّى ضروب الغش والخداع والتضليل، لأن الكفاح من أجل الشيوعية يبارك كل وسيلة تحقِّق له مآربه النبيلة، حتى وإن كانت الوسائل غير نبيلة ومناهضة للأخلاق»!.. ولكن الحقيقة أنَّ كل مآربهم غير نبيلة ولا أخلاقية.

فأنكروا الزواج ونظام الأُسرة الموروث، ودعوا إلى ممارسة الجنس بطريق السفاح، واعتبروا الزواج من عادات وتقاليد الماضي الرجعي التي لم تعد تتمشَّى مع تقدّميتهم وأفكارهم وعصرهم، أو بعبارة أخرى: جاهليتهم وضياعهم وفسوقهم وإلحادهم، التي جعلتهم كالأنعام بل أضلّ وأقذر وأحطّ قدراً.

لقد تبنَّى الشيوعيون كل ما جاء في البروتوكول الأول لحكماء صهيون، الذي جاء فيه: «نحن اليهود لسنا سوى سادة العالم ومفسديه ومحرِّكي الفتن بين أفراده وجلاديه، ومحرِّريه من أخلاقه وعاداته ومُثُله».. ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ

﴿ٱشْتَرَوُا۟ ٱلضَّلَـٰلَةَ بِٱلْهُدَىٰ﴾ [البقرة: ١٦]، الذين قال فيهم مالك السموات والأرض: ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّآ أَضَآءَتْ مَا حَوْلَهُۥ ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِى ظُلُمَـٰتٍ لَّا يُبْصِرُونَ ﴿١٧﴾ صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾ [البقرة: ١٧ ـ ١٨].

● لا أريد أن أسترسل أكثر في كشف جرائم الشيوعية ربيبة الصهيونية العالمية لئلا يصبح الكلام مكرراً ومملاً، خاصة وأن الغالبية العظمى من الناس عاصروا أو سمعوا عن مذابح الشيوعية في المجر وتشيكوسلوفاكية ويوغوسلافية والبوسنة والهرسك وفي كوسوفه وفي أفغانستان وبخارى وسمرقند وفي ديار الشركس وفي الشيشان المسلمة، وهي مطابقة لما فعله ويفعله اليهود في فلسطين الأبية.

● **وأخيراً**: لقد رميتُ من وراء كل ما ذكرت أن أبيِّن أسلوب الحركات الملحدة وفلسفاتها وما اعتمدوه لإغواء الناس وإيقاعهم في براثن الغدر والجريمة، وليبعدوهم عن دينهم وفطرتهم، وليستغلوا قدراتهم وثرواتهم وثروات بلادهم، وليزلزلوا أركان دينهم المنيع، فيغتصبوا بعد ذلك أوطانهم، ويستعبدوا أمتهم، ويسخِّروا شعوبهم لخدمتهم ولتحقيق مآربهم وتأمين مصالحهم.

لم تكن الشيوعية والصهيونية والماسونية وحدها المسؤولة عن إغراق الناس في جاهلية القرن العشرين، بل تكاتفت على ذلك مجموعة أخرى من الحركات الهدّامة التي رمت إلى نزع الإسلام من ديار المسلمين، واستبداله بفلسفات موضوعة ملحدة، كانت آخرها العولمة.

وجنَّدت هذه الحركات جهابذة مفكريها وحاخاماتها وفلاسفتها، ودرَّبتهم وسلَّحتهم بكل وسائل المكر والتدليس، وعلَّمتهم لغتنا وديننا، وأطلعتهم على عاداتنا وتقاليدنا وتراثنا وثقافتنا؛ ليتمكَّنوا من اكتشاف ثغرات أو ليعملوا لهم ثغرات فيها لينفذوا من خلالها إلى ألبابنا ومجتمعاتنا، فيوسوسوا ويزرعوا بذور الشكِّ ضد الإيمان بالله والدين، هادفين من وراء ذلك إلى زلزلة ديننا الحنيف

الذي وقف سدًّا منيعاً أمام زحفهم الاستعماري والاقتصادي والفكري على شعوب الشرق الأوسط والعالم الإسلامي بأكمله.

في هذا الشأن قال المفكر البريطاني **لورانس براون**: «يكمن الخطر في الإسلام في نظامه القوي المتماسك، وفي قدرته العجيبة على التوسُّع والإخضاع، كما يكمن الخطر في حيويته الدائمة المتجدِّدة.. إنه الجدار المنيع الوحيد الذي يقف في وجه المدِّ الاستعماري الأوروبي، وسيبقى هذا الجدار صامداً ما دام هذا الدين في أعماقهم.. وإذا اتّحد المسلمون في إمبراطورية واحدة فإنهم سيصبحون لعنة على العالم الغربي، لذا كان لا بد من تشتيت شملهم وإضعافهم ونزع روح الإيمان من قلوبهم».

ينفث تصريح لورانس حقداً دفيناً في قلبه وقلوب الأوروبيين ضد الإسلام والمسلمين، ويكشف مخاوفهم والذعر الكامن بين حناياهم وفي أعماقهم وأعماق مفكريهم وساساتهم الذين جنَّدوا أنفسهم لمحاربة ديننا الحنيف؛ تارة باسم الاستشراق، وأخرى تحت راية التبشير، وباسم الشيوعية والمادية تارات أخرى، وتحت لواء الماسونية والبابية والبهائية والقاديانية والداروينية والصهيونية والتحديث والتغريب والعلمانية في أحيان كثيرة أخرى، وكل أملهم وغاية سعيهم أن يزلزلوا أركان هذا الدين العظيم، وأن يحدّوا من المدِّ الإسلامي الكبير.

ولكي نكون على بيِّنة من أمر هذه الحركات الهدّامة، رأيت أن أعرضها بشكل مختصر، وأن أبيِّن للقارئ الكريم أساليب دهاتها وساستها ومكرهم ومخططاتهم ومؤامراتهم، لكي نتمكن من درء الخطر الذي يتهدّد أمتنا وديننا، وعزّتنا وكرامتنا، وأعراضنا وتراثنا، واقتصاد بلادنا ومقدّراتها، ومستقبل الأجيال فيها.

❊ ❊ ❊

الفصل



٢ التغريب وتحديث الفكر الإسلامي(١)

أولاً: الحروب الصليبية:

باسم الدين، وتحت راية الصليب، وبحجة حماية المقدّسات المسيحية في فلسطين، زحفت جحافل الغرب الأوروبي إلى بلادنا عام (١٠٩٥م)؛ واضعة نصب أعينها تقويض عرش الإسلام ومحوه من الوجود إلى الأبد.. زحفوا إلينا غازين معتدين بسبعة جيوش جرارة تمثِّل أقوى الدول الأوروبية بقيادة ملك بريطانيا **ريتشارد قلب الأسد**، الذي عُرف بالشجاعة والحنكة العسكرية وشدة البأس.

وجهّزوا جيوشهم كأحسن ما يكون التجهيز، وزودوها بالعتاد والعُدَد وبجميع أنواع الأسلحة، وكان بحوزتهم أبراج خشبية مطلية بمواد تحول دون احتراقها.. ومكّنتهم هذه الأبراج المتحرِّكة من تسلّق قلاع المسلمين وأسوار مدنهم، فكان أن سقطت أمام عظمتهم وقوتهم وفنونهم القتالية بضع مدن عربية، ثم احتلوا القدس، ودنّسوها ما ينوف على ثمانين سنة.. ولشدة حقدهم ذبحوا يوم احتلالهم للقدس (٧٠,٠٠٠) مسلم ذبح الخراف.

لقد عزَّ الخطب على **السلطان المسلم صلاح الدين**، فكرّس حياته ونذر روحه لتحرير المقدسات.. وكانت إمكانات المسلمين الحربية متواضعة، ولكن

---

(١) المقصود من **التغريب**: تحوير وتعديل شريعة الإسلام لتصبح غربيَّة الطابع والمضمون، وبالمفهوم الغربي الملحد تعني تحديث الفكر الإسلامي ليصبح متمدّناً ومتحضّراً كالفكر الغربي.

إيمانهم بالله وبنصره كان قوياً وأمضى من سلاح الصليبيين ومن جبروتهم. . ﴿إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ [محمد: ٧].

نعم، هكذا كان صلاح الدين، وهكذا كان أبطال وشهداء حطين الذين اشتروا الآخرة بالدنيا، وجنة الخلد بعرض الحياة الزائل، فكانت تجارتهم مع الله رابحة.

فاستطاع قاهر الصليبيين بذكائه وفطنته جرَّهم إلى ملحمة عظيمة فاصلة بعيداً عن المدن والقلاع والأسوار. . وهناك انقضَّت الأسود المسلمة مزمجرة هادرة، فأعملوا سيوفهم ورماحهم في جموع الصليبيين، فقطَّعوا أوصالهم وشتَّتوا شملهم، فخرجوا من ساحة الوغى مذعورين مشدوهين، وكأنهم حمرٌ مستنفرة فرَّت من قسورة. . بعد أن سوَّل لهم غرورهم حين ظنوا أنهم قادمون إلى نزهة صغيرة ومعركة سريعة فاصلة وغير متكافئة، وأنهم سيقضون على الدين الجديد إلى الأبد!. .

بعدما ادلهمَّ عليهم الخطب وحصرت الصدور ونفدت الحيلة؛ عادوا إلى بلادهم عام (١٢٩١م) منكَّسي الرؤوس واجمي الوجوه، يجرّون وراءهم أذيالاً طويلة من الذل والخيبة والهوان، وفي صدورهم جرح بليغ وحقد كبير وعداء مرير وعزم أكيد على النيل من الإسلام والمسلمين، واستئصال شأفتهم وكسر شوكتهم.

ثانياً: الحقد الصليبي:

والذي زاد حنق الصليبيين وغيظهم امتداد الفتح الإسلامي ليشمل ربوع بلادهم، وارتفاع راية التوحيد فوق هاماتهم ما يزيد عن (٧٨١) سنة. . ونسوا أو تناسوا أن علومنا وحضارتنا وكتبنا التي نقلوها إلى لغاتهم ودرَّسوها في جامعاتهم حتى القرن التاسع عشر كانت أساس نهضتهم وحضارتهم المعاصرة[١].

---

(١) انظر كتاب: شمس العرب تسطع على الغرب، للمستشرقة الألمانية زيغريد هونكه.

كما نسوا أو تناسوا كيف كان طلاب العلم يفدون من جميع دول أوروبة إلى الجامعات الإسلامية في غرناطة وفي قرطبة بشكل خاص؛ لينهلوا من علومنا وثقافاتنا أيام كنا في أوج حضارتنا وازدهارنا.. وتجاهلوا الفضل العظيم والتراث العريق والحضارة الشامخة التي خلّفناها في بلادهم.. وعوضاً عن إجلال العرب والمسلمين وشكرهم؛ راحوا يذبحونهم ويذبحون علماءهم ونساءهم وأطفالهم عندما انتابهم الوهن والتشتُّت!.. لقد حصل هذا عندما تفاقمت النزاعات والفتن بين أمراء المسلمين، فتفككت دولتهم العظيمة إلى إمارات صغيرة، فصار من اليسير على جيوش الغرب التي اتَّحدت وتضافرت أن تجليهم عن ديارهم الواحدة تلو الأخرى.

وكانت غرناطة ـ عاصمة الأندلس ـ آخر معاقلهم التي جلوا عنها عام (١٤٩٢م).

لقد خلّفوا وراءهم ثروة هائلة من الأدب والفكر والعلوم والفنون والعمران، بينما خلّف الاستعمار الأوروبي في كلِّ أرض حلَّ بها الفقر والجهل والتخلّف والدمار تماماً كالذي حصل في فيتنام وكوريا وأفغانستان والعراق.

ثالثاً: حربهم ضد القرآن الكريم والإسلام عموماً:

من خلال المدِّ الإسلامي اختلط المسلمون وعلماؤهم بعلماء الغرب ومفكريه، ومن خلال دراسة هؤلاء لديننا العظيم، أدركوا أن عزتنا ومنعتنا وقوتنا نابعة من تمسّكنا بتعاليم ديننا الحنيف، وبقرآننا المجيد الذي حفظه العلي القدير من العبث والتحريف.

في هذا الشأن قال وزير خارجية بريطانيا الأسبق **غلادستون** مؤسس الاستعمار البريطاني الحديث في الشرق الأوسط: «ما دام القرآن موجوداً في ديار المسلمين فلن تتمكن أوروبة من السيطرة على الشرق الأوسط ولا على مسلمي العالم، بل لن تكون بريطانيا ولا أوروبة في مأمن من خطر هذا الدين ومن قوة ومنعة أتباعه ما دام هذا القرآن في صدورهم».

أمّا القس المبشِّر **صموئيل زويمر** فقد نصح المبشرين أن يسعوا دائبين حتى يُخرجوا المسلمين من الإسلام، وأن يبعدوهم عن الله؛ لأنهم بذلك سيتجرَّدون من مكارم الأخلاق ومن مُثلهم العليا التي رفعت من شأنهم، والتي كانت دائماً وأبداً ركائز ازدهار الأمم ورقيِّها ونموّها وتطورها.

ينفث هذا التصريح بعضاً من وقدة الحقد في قلوبهم، وشيئاً من الغيظ الكامن في صدورهم، وكما قال الشاعر:

وإنما الأمم الأخلاق ما بقيتْ   فإن هُمُ ذهبتْ أخلاقُهم ذهبوا

وبما أن الأخلاق من الدين، والدين عماد الأخلاق، فإن ذهاب الأخلاق مذهبة للدين، وذهاب الدين مذهبة للأخلاق ومن ثم الأمم والحضارات.

في هذا الشأن صرّح اللورد المتعصِّب **كرزون** عمّا يعتمل في صدره من مكر وحقد ضد ديننا الحنيف؛ فقال: «تصطدم أمواج التبشير بسدٍّ منيع من صخور إسلامية صلدة، وهي تحاول عبثاً تفتيتها وهدمها، ولكنها لن تحقِّق غايتها طالما بقي القرآن وبقيت الشعوب المسلمة منقادة لتعاليم هذا الكتاب، وإذا اتَّحد المسلمون في إمبراطورية واحدة؛ فإنهم سيكونون لعنة على الغرب».

رابعاً: إضعاف روح الإسلام وتجريده من جوهره:

تكاتفت دول الغرب، والتقت شياطينهم ومستشرقوهم ودهاتهم وجهابذة الفكر والفلسفة والسياسة لديهم مدعومين من حكوماتهم ومؤسساتهم المتخصصة للنيل من الإسلام، والحد من مدِّه ومن صحوته المعاصرة.. واجتمعوا ليقوموا بما يمكنهم القيام به لنزع فتيل الخطر الذي يتهددهم، فوجدوا أن أفضل وسيلة هي إضعاف روح الإسلام، وتشويهه وتجريده من مضمونه وجوهره، وإدخال الفكر العلماني إليه، ثم تركه كصورة أو هيكل ظاهره إسلامي وباطنه خالٍ من الروحانية والتشريع، أي كالتلمود، وعندما يتم

لهم ذلك سيقومون بخطوتهم التالية، فيقوِّضوا بنيان الإسلام الشامخ من خلال زرع الريبة والشك في نفوس أتباعه حتى يبتعدوا عن دينهم وفطرتهم وبارئهم.

وأنشؤوا لهذا الغرض جمعيات كثيرة لتدريب جندهم على المكر والدهاء والتدليس والتدنيس والنيل من الإسلام والمسلمين.. وانتشرت هذه المحافل في كثير من دول العرب والمسلمين، وجنَّدوا لها شخصيات عربية مسلمة مرتدة؛ ليكون لعملهم وقع أكبر وتقبُّل أكثر من البسطاء ومن عامة الشعب، كان من هؤلاء الكثير من المفكرين المشهورين، والأسماء اللامعة من أصحاب المكر والألسنة الزلقة والكلام المعسول.

فحاول هؤلاء تشويه صورة الإسلام ونبي الإسلام، واتهموه بافتراء القرآن، كما تطاولوا على الكبير المتعال، ودعوا إلى تحديث الدين الإسلامي والأزهر الشريف من خلال الحداثة والتغريب!.. لقد حاولوا تسريب الفكر العلماني إلى مناهجنا في المدارس والجامعات، وفي الأزهر الشريف بشكل خاص!.. لقد غزوا عالمنا الإسلامي من كل حدب وصوب، فتمكنوا من ردِّ ما يزيد عن عشرة ملايين مسلم عن دينهم في أندونيسيا، كما ارتدَّ الشعب الفيليبيني ولم يبق منه تحت راية التوحيد سوى ثمانية ملايين من أصل (٨٠) مليوناً.. كما تمكنوا من أخذ مقاليد الأمور من المسلمين في الهند بعدما اتَّبعت شريعة الإسلام ما يزيد عن (١١٠٠) سنة، وحوَّلوا إفريقية من قارة مسلمة إلى قارة علمانية ووثنية صليبية.

خامساً: الدعوة إلى التغريب وتطوير الفكر الإسلامي:

لقد دعا فلاسفة الغرب إلى ضرورة تطوير الفكر الإسلامي لكي يجاري الفكر الغربي والغرب المتمدِّن (الحداثة أو التحديث)، ودعوا إلى تطبيع المسلمين ليكتسبوا سمات الغربيين في أفكارهم ومعتقداتهم وسلوكهم وتحضرهم (التغريب)، وقالوا بأن هذا سيوطد العلاقات بيننا وبين الغرب المتحضِّر.

وجاءت الحداثة بأفكار جديدة على الدين وعلى عادات وتقاليد وأعراف الأولين، وقال أتباعها: إن الحداثة ضرب من الإبداع.. ولكنها في واقع الأمر بعيدة كل البعد عنه، وليس فيها إلا التقليد الأعمى ونقل عادات وقيم الغرب المتفسِّخ الملحد اللاأخلاقية إلى شعوبنا.. لقد أرادوا من وراء ذلك نسف قيمنا وأخلاقنا واستبدالها بأخرى شيطانية؛ تناسب أهواء واضعيها وتحقِّق لهم مآربهم.

وسلكوا كل السبل لتحقيق غاياتهم، ولكن إرادة الله كانت ولا زالت فوق إرادتهم، وكلمته فوق كلماتهم، فبقي الإسلام نقيّاً نضراً شفافاً، وبقيت مراجل الحقد والغيظ تعتمل في صدورهم مئات السنين، والبراكين تهمد وتثور من حين لآخر.. لقد ثارت ثائرة الرئيس الأمريكي **جورج بوش الابن** على المسلمين بعد الهجوم الذي تعرَّضت له نيويورك وواشنطن في (١١ سبتمبر/ أيلول ٢٠٠١م)، وخلال الساعة الأولى من الهجوم، وقبل أن تتبلور الحقائق ودون تحقيقات وجَّه جورج بوش الابن إصبع الاتهام إلى الإسلام والمسلمين؛ مَثَلُهُ في ذلك مَثَلُ **شارون** ورؤساء وزراء إسرائيل السابقين، الأعداء التقليديين للمسلمين، ثم أعلن عن نيّته بإضرام نيران حرب صليبية جديدة يقتِّل فيها المسلمين بحجة مكافحة الإرهاب والتطرّف، ولكنه سرعان ما شمل في جدوله كافة الحركات الوطنية والمجاهدين المناهضين للاحتلال الإسرائيلي في فلسطين، ثم أتبع ذلك أوامره إلى الدول الإسلامية لتقلِّل من حصص الدين في المدارس والجامعات، كما أمرهم أن يغيِّروا مناهجها لتواكب إلحادهم وعلمانيتهم وماديِّتهم وشذوذهم وإباحيتهم.. واستخدم صيغة الأمر ظانّاً نفسه ولي أمر شعوب الأرض وحكوماتهم! لقد أراد لنا التحديث بالقسر والقوة والإكراه وبتهديد السلاح الذي لا يضاهيه فيه أحد على وجه الأرض (فسلَّح بذلك العولمة).

● أمّا من الناحية الشرعية فالحداثة بدعة وفيها شبهة، وهي ضلالة وتؤدي

إلى غضب الله وإلى السعير المقيم، قال رسول الله ﷺ: «**إياكم ومحدثات الأمور، فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار**»[١].

● إنهم أرادوا من خلال الحداثة استبدال إرادة الله بإرادة فلاسفتهم، يريدون بذلك أن يطفئوا نور الله بأفواههم، وأن يجحدوا وجوده وقدراته سبحانه.

كما درسوا لغتنا وديننا ليتمكنوا من العبث بشريعتنا، وبسُنَّة رسولنا ﷺ؛ لذا تعرَّضوا للحدود الخمسة، ولتعدُّد الزوجات، وشكَّكوا بوجود الله، وعارضوا القرآن وانتقدوا آياته، واتهموه بالافتراء من لدن سيد الأنام ﷺ تارة، ومن جبريل عليه السلام ومن الصحابة ومن الجن تارات أخرى.

سادساً: نماذج من المستغربين العرب والمسلمين:

لقد خاض في هذه الأمور المستغرب المصري **منصور فهمي** (١٨٨٦ ـ ١٩٥٩م) الذي هاجم نظام وشريعة الإسلام، وانتقد وضع المرأة المسلمة في رسالته التي أعدَّها لنيل الدكتوراه (حالة المرأة في التقاليد الإسلامية وتطوراتها)، فنال رضاء أسياده والمشرف على بحثه الأستاذ اليهودي **ليڤي بريل** وحصل على الدكتوراه، ولكنه باء بغضب الله والعياذ بالله؛ عندما وهن عظم هذا البائس الضال، وعندما اشتعل رأسه شيباً، خُذل أمام تقريع ضميره، فأسلم، وعاد إلى محراب الإيمان، ثم راح ينتقد حركة التغريب (الحداثة) وفضح نهجها وغاياتها وأسلوب دهاتها القائمين على نشاطاتها من غربيين وعرب أمثال: طه حسين، ومحمد حسين هيكل، وزكي مبارك وغيرهم.

كان **محمد حسين هيكل** رئيس تحرير جريدة السياسة، وكان ينكر الإسراء والمعراج بالجسد، وكان ينظر إلى الأمر من منظار ماديٍّ بحت[٢]..

---

(١) رواه ابن ماجه.

(٢) انظر كتاب: حياة محمد، لمحمد حسين هيكل.

كما روَّج **طه حسين** لحركتي التغريب والعلمانية في مؤلفاته: (الفتنة الكبرى) و(الشعر الجاهلي) و(حديث الأربعاء) و(مستقبل الثقافة في مصر). ومما قاله طه حسين: «**كانت قريش في القرن السابع الميلادي في حالة من الضعف والتخلّف؛ بحيث تتقبّل أسطورة الدعوة الإسلامية**»، كما نفى نَسَبَ سيد المرسلين عليه أفضل الصلاة والتسليم إلى أشراف قريش، ليشكِّكَ بنبوته، لأن نسبه القرشي الرفيع دليل من دلائل نبوته، وقد ورد في التوراة والإنجيل.

فكما ترى عزيزي القارئ لم يكن **سلمان رشدي** المارق الوحيد، ولا الأول ولا الأخير الذي تعرَّض لنبي الإسلام والمسلمين، ولم يكن أول ولا آخر من افترى وسيفتري الأقاويل والأراجيف على سيد الخلق أجمعين.. وكلما أراد كاتب مغمور أن يقطع درب الشهرة في وقت قصير يعمد إلى التعرّض لديننا الحنيف.

وأحاط المستشرقون والعلمانيون طه حسين وكتاباته وافتراءاته بالرعاية والتشجيع، واصطنعوا حولها الصخب وسلّطوا عليها الأضواء ليلفتوا إليها أنظار الناس، وليشدّوهم إلى أقواله وفلسفته، وأحاطوا كتاب (الآيات الشيطانية) لسلمان رشدي بنفس الصخب والأضواء؛ ليحولوا دون انتشار هذا الدين العظيم، ودون دخول المزيد من الأوروبيين والأمريكيين في رحاب هذا الدين.

● لقد نصَّب عملاء الغرب وأعوانه أتباعهم في مراكز تدريسية وإعلامية حسّاسة ليتمكنوا من خلالها من تعكير صفو وشفافية وروحانية الدين الذي بات يقضّ مضاجعهم، كما أرادوا من خلال أفكارهم المضلِّلة زرع الشك والهواجس في عقول الأجيال القادمة، علَّهم يقتلعون هذا الدين من أعماقها، وبذلك سيسهل عليهم في المستقبل نشر أفكارهم وفلسفاتهم الملحدة في مجتمعنا الإسلامي الملتزم، فيكون هذا خطوة تسبق نسف هذا الدين وأركانه.

كما أفهم الغربيون أولئك الذين انخدعوا ببريق حضارتهم أن معتقدات الغرب المادية العلمانية مَعْلَمٌ من معالم حضارتهم، وأساس لا بد منه لكل من أراد أن يجاريهم في فكرهم وتمدّنهم، فوقع خلق كثير أسرى لهذه التبعية ولهذا الفكر الماكر والنظام الملحد.

● ولكي يتمكنوا من تحقيق مآربهم ونشر أفكارهم وضلالاتهم في ربوع المسلمين، كان لا بد لهم من مجندين يعملون لحسابهم ويخلصون الولاء لهم، وينتمون في الوقت ذاته لبلاد المسلمين؛ ليكون لهم ولأقوالهم وقع أكبر في نفوس الناس أجمعين.

لأجل ذلك عمد الغرب إلى إغراء المسلمين بالمنح الدراسية المجانية في بلادهم وجامعاتهم ولا زال، فانجذب إليهم عدد كبير من علمائنا وأدبائنا ومفكرينا وطلابنا الذين خضعوا ـ دون أن يدروا ـ لعمليات غسيل أدمغتهم بأسلوب ذكي ماكر، فتحولوا إلى جنود مجنَّدة لنشر سموم الغرب العلماني الملحد في جامعاتنا ومدارسنا وفي كافة مؤسساتنا التربوية والإعلامية.

فكانت حركة التغريب قوية ومنظمة، وقد خصَّصت لها الدول العظمى أموالاً طائلة مكَّنتها من إنشاء مدارس وجامعات ومراكز علمانية في بلاد المسلمين، ثم وضعتها تحت إشراف بعثات تبشيرية وأساتذة غربيين ملحدين وعلماء علمانيين ومستغربين ماكرين آثمين.

فتمكَّن هؤلاء من توثيق عرى الصداقة والمحبة مع طلابهم الوافدين من عرب ومسلمين، كما توطدت الرابطة بين الطلبة المسلمين ومَنْ أشرفوا على تعليمهم في المراكز التبشيرية، حتى انتموا فكرياً وثقافياً لفكر الغرب وثقافته.. واكتسبوا عاداته ومُثُله اللاأخلاقية، فأصبحوا علمانيين ماجنين وملحدين مستهترين، كما أضحى عدد كبير منهم عملاء تابعين للمستعمر البغيض، ومنهم من يشعر في قرارة نفسه أنه فرنسي أكثر من الفرنسيين، أو أمريكي أكثر من الأمريكيين!.. لقد أخلصوا للغرب أكثر من أبنائه الأصليين، وأكثر من

إخلاصهم وولائهم لأهليهم وأوطانهم ودينهم، ومنهم من تخلَّى عن عروبته كما تخلّى عن دينه، فأصبحوا آفة الآفات ومرض المجتمعات وعبيد الغرب، عبيدهم لأنهم امتثلوا لأوامرهم وفكرهم دون رويَّة ولا تفكير.

كان من أبرز المارقين على الوطن والدين: **طه حسين**، **ومنصور فهمي**، **وأحمد لطفي السيد**؛ الذي شارك في تأسيس حزب الأحرار في مصر، وتولى شؤون الجامعة المصرية من عام (١٩١٦م) وحتى (١٩٤١م).

وشبلي شميل (١٨٦٠ ـ ١٩١٧م) الذي قاد الدعوة إلى العلمانية، وهاجم قيم وأخلاق المسلمين، وتعرض للإسلام ولكافة الديانات السماوية.

ومصطفى أتاتورك الذي ألغى الخلافة العثمانية الإسلامية، وألغى الكتابة بالأحرف العربية، ودعا إلى العلمانية والتغريب، وطبَّقها في بلاده بيد من نار وأخرى من حديد.

وعلي عبد الرازق (١٩٢٥م) الذي نشر كتاب: (الإسلام وأصول الحكم) الذي تعرَّض فيه للإسلام وشريعة الإسلام، فأدانته هيئة الأزهر الشريف في (١٢/ ٨/ ١٩٢٥م) وطردته من زمرة العلماء والمدرسين.

كما ظهر **ناصيف اليازجي** (١٨٠٠ ـ ١٨٧١م) وابنه **إبراهيم** (١٨٤٧ ـ ١٩٠٦م)، وشارك الابن وأبوه الإرساليات الإنكليزية والأمريكية في نشر العلمانية والتغريب.

وبطرس البستاني (١٨١٩ ـ ١٨٨٣م)، **وجرجي زيدان** (١٨٦١ ـ ١٩١٤م) وهو صاحب مجلة الهلال في مصر.

وسليم تقلا الذي أسس صحيفة الأهرام والذي تتلمذ في لبنان على يد المبشِّر الأمريكي **فانديك**.

وسليم النقاش صاحب جريدة المقتطف في مصر ولبنان.

ثم جاء **قاسم أمين** (١٨٦٥ ـ ١٩٠٨م) الذي تتلمذ على يد **محمد عبده**، الذي كان بدوره تلميذاً لـ **جمال الدين الأفغاني**.

فقد دعا قاسم أمين إلى تحرير المرأة وإلى التفسّخ والانحلال، وإلى ترك البيت والتمرّد والخروج عن طاعة الزوج ودخول معترك الحياة، والمشاركة في كافة مجالات العمل جنباً إلى جنب مع الرجال.. وبفساد الأسرة ـ لبنة المجتمع ـ سينهار المجتمع المسلم وسيلحق بالمجتمع الغربي في فساده وتفسّخه وإلحاده.

واعتقد هؤلاء بوحدة الوجود، وآمنوا بالنشوء الذاتي وبالاصطفاء الطبيعي وبقاء الأصلح، كما آمنوا بالتطور من كائنات دنيا إلى أخرى أفضل منها وأرقى، حتى انتهى الأمر بظهور الإنسان على أعلى درجات التطور.. كما أنكروا قدرة الله على الخلق والإبداع، وطالبوا بإعادة النظر في التشريع الإسلامي، وتحديثه وتحديث الأزهر الشريف وعلومه، وإدخال العلوم العصرية والفكر الغربي الملحد إلى مناهجه ـ أي: جعله علمانيّاً ملحداً ـ استجابة لرغبة أسيادهم المستشرقين والماسونيين، وفي مقدمتهم **اللورد كرومر والمستر بلانت**، وهما مستشرقان بريطانيان ملحدان نشرا الكثير من الكتب والمقالات التي تزخر بالتأويل والتضليل والتشكيك بالإسلام الحنيف.

● كما تأثرت طوائف قليلة من المجتمعات الإسلامية بهذا النظام الجديد الذي بهر أعينهم وناسب أهواءهم، فراحوا يتفاخرون ويتسابقون في إبداء ما اكتسبوه من عادات وأفعال أوروبية تنمُّ عن تحرّرهم وتمدّنهم، كما راحوا يتباهون بتسيّبهم الديني ودنسهم الخلقي والنفسي!.. لقد ظنّوا أنهم ارتقوا إلى طبقة المتحضِّرين التقدميين، ولكنهم ودون أن يدروا انزلقوا في جاهلية القرن العشرين، التي أجمع المفكرون على أنها أخسُّ وأقذر من الجاهليات الغابرة، لأن الجاهليين الأوائل آمنوا بالله الواحد الأحد، ولكنهم أشركوا معه آلهة أخرى علّها تقربهم من الله زلفى.. أما جاهليّو القرن العشرين والقرن الواحد

والعشرين فقد أنكروا وجود الخالق وجحدوا قدراته، كما أنكروا البعث والحساب!..

وفي الجاهلية الأولى حرص الناس على أعراضهم وأوطانهم، وتمسّكوا بقيمهم وبمثلهم التي ورثوها عن آبائهم وأجدادهم، كما تمسكوا بتراثهم ودينهم.. أمّا في جاهلية القرن العشرين وما بعده فقد أضاع الإنسان كل شيء؛ وطنه ودينه وعرضه وتراثه وحَسَبَه ونَسَبَه؛ بعَرَضٍ من الدنيا قليل وزائل، فصار كالأنعام بل أضلّ وأذلّ!..

وقد زاد الطينة بِلَّة العولمة التي استشرت في العقود الأخيرة وانتشرت.

لقد ظنوا أنهم معجزون في الأرض، وأنهم من خلال جنودهم المجنَّدة كطه حسين وسلمان رشدي وقاسم أمين واليازجي وجرجي زيدان وغيرهم سيمحقون هذا الدين الحنيف، وأنهم سيطفئون نور العلي القدير، وأنهم بدهائهم الكبير وكلامهم المعسول سيمسكون بمقاليد الأمور في ديار المسلمين فيطبّعوها حسب أهوائهم ومخططاتهم، ويعيثون فيها فساداً، وينشرون فيها الرّذيلة والإباحية والإلحاد.. ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔوا نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [الصف: ٨].

ولكن الله أبى إلا أن يتم نوره رغم أنوف هؤلاء المستغربين، فذهبوا وذهب كل أثر لهم، وبقي الإسلام أبيّاً شامخاً نضراً يشع بالنور والهداية: ﴿وَيُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُحِقَّ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ وَيَقْطَعَ دَابِرَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [الأنفال: ٧]، ﴿وَقَطَعْنَا دَابِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا بِـَٔايَٰتِنَا ۖ وَمَا كَانُوا مُؤْمِنِينَ﴾ [الأعراف: ٧٢].

● بعد أن ثابوا إلى رشدهم عاد كثيرون من هؤلاء المفتونين إلى رحاب الدين، وأعلنوا إسلامهم قبل أن تنطفئ ذبالة قلوبهم، وقبل أن تغرغر الروح في حلاقيمهم.. من هؤلاء كان **طه حسين** الذي سحب كافة مؤلفاته من الأسواق وأمر بحرقها ومنع طباعتها من جديد.. لهؤلاء قال الكبير المتعال: ﴿وَمَآ أَنتُم

بِمُعْجِزِينَ فِي ٱلْأَرْضِ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ [الشورى: ٣١].

لا يغرنّك يا أخي تقلّب هؤلاء في البلاد، متاعهم قليل، ثم مأواهم جهنم وبئس المهاد..

قال تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ [إبراهيم: ٤٢].

واعلم بأنهم على الباطل وأنهم: ﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهْوَى ٱلْأَنفُسُ﴾ [النجم: ٢٣].

كما حذَّرنا الكبير المتعال: ﴿فَأَعْرِضْ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿٢٩﴾ ذَٰلِكَ مَبْلَغُهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱهْتَدَىٰ﴾ [النجم: ٢٩ ـ ٣٠].

وفي هذا الصدد قال الكبير المتعال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تُطِيعُوا۟ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يَرُدُّوكُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ فَتَنقَلِبُوا۟ خَٰسِرِينَ ﴿١٤٩﴾ بَلِ ٱللَّهُ مَوْلَىٰكُمْ وَهُوَ خَيْرُ ٱلنَّٰصِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٩ ـ ١٥٠].

ابتعد عنهم عزيزي القارئ لأنهم جند الشيطان، وحذار من مخالطتهم ومجالستهم، خاصة إذا ما خاضوا في الحديث عن الله وكتابه ورسله، واعلم أن من حام حول الحمى يوشك أن يقع فيه..

قال تعالى: ﴿بَشِّرِ ٱلْمُنَٰفِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٣٨﴾ ٱلَّذِينَ يَتَّخِذُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ ٱلْعِزَّةَ فَإِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴿١٣٩﴾ وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلْكِتَٰبِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا۟ مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِۦٓ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ جَامِعُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْكَٰفِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا﴾ [النساء: ١٣٨ ـ ١٤٠].

وعلينا أن نعادي أفكارهم وفلسفاتهم، وأن نحاربها ونحارب كتبهم المعادية لله ورسوله ﷺ.. وعلى الحكومات الإسلامية أن تمنع هؤلاء

المستغربين وأسيادهم الغربيين من عقد المؤتمرات وبث الأفكار المدسوسة حماية لديننا ومجتمعنا من مكرهم وإلحادهم.

● **وفي الختام**: لا يسعني إلا أن أقول لأصحاب فكرة تجديد أو تحديث الفكر الإسلامي ومؤيديهم بأن المُراد بعبارة (التجديد) تقوية ديننا الحنيف، والمجاهدة لتنقيته وتخليصه من البدع والشوائب والأباطيل والضلالات، وإعادته إلى ما كان عليه من نضارة وصفاء، وشفافية وروحانية أيام النبي العظيم ﷺ والصحابة الأجلاء والسلف الصالح..

كما نفهم من (التجديد) تخليص الدين من الخَبَث، ومما دخل عليه من أفكار شيطانية ومبادئ وفلسفات علمانية ومادية وتغريبية باسم الحداثة والعولمة وتطوير الفكر الإسلامي، وبمعنى آخر فإن التجديد يعني إحياء علوم الدين.

وبما أن الإسلام آخر الديانات السماوية، لذا شاءت حكمته ﷻ أن يحفظه من التحريف والتغيير والتقويض، فقيَّض له من يقوم بتجديده على مرِّ السنين.. روى أبو داود والبيهقي والحاكم عن أبي هريرة ﷺ: أن رسول الله ﷺ قال: «**إن الله تعالى يبعث لهذه الأمة على رأس كل مئة سنة من يجدِّد لها أمر دينها**».

في هذا الشأن الكبير قال الحبيب المصطفى ﷺ: «**من أحيا سنة أُميتت من بعدي، فله أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة من غير أن ينقص ذلك من أجورهم شيئاً**»[١].

هذا هو التحديث الحق في الإسلام، ومن أراد غير ذلك فهو ضالٌّ مضِلٌّ.. وفي هؤلاء قال رسول الهداية ﷺ: «**من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد**»[٢].

---

(١) رواه مسلم في صحيحه، وأحمد في مسنده.

(٢) رواه مسلم في صحيحه.

وقال عليه أفضل الصلاة والسلام: «**كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار**»[١].

لذا كان على من يبتغي تجديد الدين أن يكون متفقِّهاً ومتمكِّناً، وإلا فإنه سينحرف عن جادة الحق، خاصة إذا سبق له أن خالَطَ العلمانيين، أو تتملذ على أيديهم ونهل من علومهم.

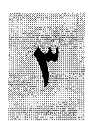
على عامة المسلمين وخاصتهم وعلمائهم ومفكريهم أن يعلموا علم اليقين بأن ديننا من عند الله، والشريعة شريعته، لذا فإنه أسمى وأكبر وأعظم من أن يحتاج لمن يطوِّره من أيٍّ من عباد الله: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣].

هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى: فهل يصدِّق عاقل على وجه الأرض أن الغرب يسعى إلى التحديث حرصاً منه على أمتنا وعلى ديننا الحنيف؟!..

* * *

(١) رواه ابن ماجه.

الفصل



❁ الاستشراق (Orientalism)

أولاً: تعريف الاستشراق ونشأته:

الاستشراق: تيار فكري اهتم بدراسة الإسلام وحضارته، وشريعته وآدابه، ولغته وثقافته، وثقافة متَّبعيه وأسلوب معاشهم وتفكيرهم، ومن ثَمَّ التصدِّي له والإساءة إليه.

وقد بُني الاستشراق على أنقاض الصليبيين المخذولين، وموَّلته ورعتْهُ دولهم وحكوماتهم الحاقدة على الإسلام والمسلمين.

وجنّدوا لهذه الحركة الهدّامة جهابذة علمائهم ومفكريهم، وأكابر مجرميهم ورجال دينهم وملحديهم كاليهودي المجري **غولدزيهر (Goldizher)** الذي ألَّف العديد من الكتب ضد الإسلام، كان من أخسِّها (تاريخ مذاهب التفسير الإسلامي)، والمستشرق المبشِّر **زويمر (Zweimer)** وهو أمريكي ومتعصِّب للإلحاد؛ ناصب زويمر الإسلام ألدَّ العداء، وألّف مجلة لهذا الغرض باسم (العالم الإسلامي)، كما أصدر كتاب: (الإسلام تحدٍّ لعقيدة).. أمّا المبشِّر الفرنسي **لوي ماسينيون**، الذي كان مستشار وزارة المستعمرات الفرنسية لشمال إفريقية؛ فقد كان حاقداً على أمة الإسلام وسعى إلى كسر شوكتها.

وبلغ عدد المبشرين في إفريقية وحدها (١٥٠٠٠)، وكانوا مجهّزين بأحدث وسائل النقل الجوي والبري؛ ليتمكنوا من بلوغ أي مكان في القارة مهما كان صغيراً أو نائياً!.. لقد فتحوا المدارس والكنائس والمستشفيات،

وأنفقوا ما يزيد على ثلاثة آلاف مليون دولار سنويّاً لشدِّ السكان إلى نظرياتهم الوثنية، وإلى فكرهم الملحد باسم التمدُّن والتحضُّر.

ثانياً: أهداف الاستشراق:

لقد كان هدفهم تشكيك الناس ـ والمسلمين بشكل خاص ـ في صحة الرسالة الإسلامية، وطعنوا بالقرآن الكريم، ونفوا عنه صفة التنزيل!.. كما خاضوا ـ قاتلهم الله ـ في جلال قدره وعظمته ﷻ، وأوَّلوا آيات القرآن بما يناسب أهواءهم وأفكارهم الملحدة، خاصة الآيات المتشابهات، ليعبثوا بعقيدة المسلمين، وليزلزلوا أركان هذا الدين العظيم.

كما زعم جند الشيطان بأن الأحاديث النبوية الشريفة لم تكن لسيد الأنام، وقالوا بأنها من وضع الصحابة الكرام ومن تبعهم في القرون الثلاثة الأولى بعد انتقاله عليه أفضل الصلاة والسلام إلى الرفيق الأعلى.

وحاولوا تشويه الفقه الإسلامي، واعتبروه منقولاً عن الحضارة الرومانية تارة، وعن الحضارة البيزنطية تارة أخرى، وقالوا بأن علوم القرآن مستمدة من الإنجيل والتوراة!..

كما حاولوا النفوذ والنخر في كيان الإسلام من خلال الأحاديث الضعيفة والموضوعة؛ لينالوا من خلالها من عظمة الإسلام ورسوله عليه أفضل الصلاة والسلام.

وسعوا دائبين إلى تغيير وتشويه صورة الإسلام في مجتمعاتهم الغربية وفي ديار المسلمين وفي المجتمعات المتاخمة لأمة الإسلام؛ ليحاصروهم ويحدّوا من نشاطهم ومن المدِّ الإسلامي المتزايد.

ثالثاً: أساليب الاستشراق:

● شيَّدت الحكومات الغربية مراكز كثيرة في كثير من دول العالم، وأقاموا عليها جهابذة علمائهم ودهاتهم وأمكر شياطينهم.. وتدارسوا ما

يعتمل في أفئدتهم من حقد وضغينة ضد الإسلام، وتعاونوا على النيل من المسلمين.

● كما درسوا لغتنا وديننا وآدابنا ليسهل عليهم التحريف والتدليس والوسوسة والتخريب، فكتبوا فينا خلال عقود عدّة (٦٠) ألف كتاب.

● كان أول مؤتمراتهم عام (١٨٧٣م) في باريس، ثم تتالت بعده اللقاءات التي استمرت طيلة القرن العشرين، ولا زالوا على ذلك حتى يومنا هذا.

فالتقى في أحد مؤتمراتهم ـ مؤتمر أكسفورد للمستشرقين ـ (١٩٠٠) عالم، جاؤوا من (٢٥) دولة و(٨٠) جامعة و(٦٩) جمعية علمانية ـ استشراقية.

● كان من أبرز جمعياتهم: الجمعية الآسيوية في باريس التي تأسست عام (١٨٢٣م)، والجمعية الشرقية الأمريكية التي تأسست عام (١٨٤٢م)، والجمعية الألمانية الشرقية (١٨٤٥م).

● وأصدروا ما يزيد عن (١٠٠) مليون نسخة لـ (٣٠٠) مجلة ودورية ترجموها إلى (٩٥) لغة، كان من أبرز هذه الإصدارات: مجلة العالم الإسلامي التي تبنتها إنكلترا، ومجلة اليقظة، ومجلة ينابيع الشرق التي تولّت أمرها النمسا، ومجلة الإسلام التي قامت عليها حكومة باريس، ومجلة الإسلام الألمانية... وغيرها من المجلات التي خدمت الاستعمار وزرعت بذور الفتنة بين المسلمين بطوائفهم المختلفة وقومياتهم المتباينة؛ ليسهل على المستعمرين تفتيت شملهم، ومن ثم السيطرة عليهم ومحو الإيمان من قلوبهم وصهرهم في بوتقة الغرب الملحد وثقافته وعاداته وأسلوب حياته.

● كما أصدروا الكثير من الكتب الخبيثة الملحدة، وترجموها إلى كافة لغات المسلمين ولغات الشعوب الآسيوية والإفريقية، ثم وزّعوها بالمجان إمّا باليد أو بالبريد أو من خلال مراكزهم وإرسالياتهم.. كانت غاية غايات

هذه المنشورات تشتيت شمل المسلمين، وتقويض إمبراطوريتهم التي طالما أرَّقتهم وأقضَّت مضاجعهم.

في هذا الشأن قال وزير المستعمرات البريطاني **أومسبي غو** في (٩ يناير/ كانون الثاني عام ١٩٣٨م) في مجلة العالم الإسلامي ما مفاده: «لقد علَّمتنا الحرب أن الوحدة الإسلامية هي الخطر الكبير الذي ينبغي على الإمبراطورية البريطانية أن تحذره وتحاربه، ولحسن حظِّنا وفرحتنا أن ذهبت الخلافة بين المسلمين، وأتمنّى أن يكون ذهابها دون رجعة».

كان من أخسِّ وأقذر كتبهم التي كُرِّست لمحاربة الإسلام كتاب (ترجمة معاني القرآن) الذي ألّفه **جورج سيل (G. Sale)** عام (١٧٣٦م)؛ الذي جاء فيه بأن القرآن من تأليف محمد ﷺ، وأكَّد على ذلك وقال: إن هذا الرأي لا يقبل الجدل!.. لقد مارس علينا دور المدّعي والقاضي بآن واحد، ورفض أيَّ دفاع، ليثبت للملأ أنه مهووس أحمق وملتاث في عقله وأخرق.

ومن الكتب الخسيسة الأخرى كان كتاب (الإسلام) للمستشرق الإنكليزي المتعصِّب **ألفريد غيوم (A. Geom)**، وكتاب (أصول الفقه الإسلامي) للألماني **جوزيف شاخت (J. Schacht)** الذي جاهر ـ وبوقاحة ـ عداءه اللدود للإسلام ولنبي الإسلام، وكتاب (متصوِّفو الإسلام) (١٩١٠م)، وكتاب (التاريخ الأدبي للعرب) (١٩٣٠م) الذي نَعَتَ الإسلام بقوله: إنه ـ أي الإسلام ـ مادي وغير روحي، وإنه لا يسمو بالنفس البشرية كما تسمو بها باقي الديانات السماوية.

كما ألَّف المستشرق البريطاني **جيب (H. Gibb)** ـ (١٩٦٥م) كتاب (المذهب المحمدّي) عام (١٩٤٧م)، وكتاب (الاتجاهات الحديثة في الإسلام) عام (١٩٤٧م).

كما جاء البريطاني **أربري (A. J. Arberry)** بكتاب (الإسلام اليوم) عام (١٩٤٣م) وكتاب (التصوّف) عام (١٩٥٠م)، الذي أظهر فيهما مدى حقده

وتعصّبه وعدائه للإسلام والمسلمين، ولنبي الهداية والرحمة والسلام عليه أفضل الصلاة والسلام.

أمّا المستشرق العلماني الإنكليزي **مارغوليوث (D. S. Margoliouth)** الذي كان أحد أساتذة طه حسين وأحمد أمين؛ فقد أصدر العديد من المؤلفات التي طعنت بكل قيم الدين الإسلامي، ثم حاول تشويه روح الإسلام وتشكيك الناس بهذه الشريعة السماوية.. ومن أخسِّ مؤلّفاته كان (محمد ومطلع الإسلام) (١٩٠٥م)، وكتاب (الجامعة الإسلامية) (١٩١٢م)، وكتاب (التطورات المبكرة في الإسلام) (١٩١٣م).

كما أصدر الألماني الملحد **فينسينك (A. Wensink)** كتاب (عقيدة الإسلام) (١٩٥٤م)؛ تعرَّض فيه لله ورسوله وللإسلام..

كما كتب العلماني **كينيث كراغ (K. Gragg)** مؤلَّفه (دعوة ومئذنة) عام (١٩٥٦م) الذي تعرَّض فيه بضراوة وخسّة ما بعدها خسَّة للإسلام ولنبي الإسلام وللمسلمين أجمعين.. وعكس هذا المستشرق الأمريكي مدى حقد دولته ومفكريها وساساتها على شعوبنا الآمنة المسالمة.

إنهم أرادوا من هذه المؤلفات الدسَّ والتضليل والتدليس، يريدون بذلك أن يزلزلوا أركان ديننا السماوي العظيم ومحوه من عالم الوجود.

رابعاً: خدمة المستشرقين للصهيونية العالمية والاستعمار الصليبي:

وعن سابق قصد وتخطيط خدموا الصهيونية العالمية وإسرائيل، تماماً كما فعل **جورج بوش الابن** في بداية القرن الحادي والعشرين؛ عندما شنَّ حرباً أمريكية ضروساً ضد المسلمين بحجة مكافحة الإرهاب؛ ليبدِّد القوى والحركات الوطنية المناهضة للاحتلال والاغتصاب الإسرائيليين، آملاً من وراء ذلك إرضاء أسياده اليهود الذين قالوها وبوقاحة وعجرفة على لسان رئيس وزرائهم **شارون** بأنهم ومن إسرائيل يسيِّرون دفَّة الحكم في البيت الأبيض؛

لتحقيق غاياتهم ومصالحهم، لذا جاء الانحياز الأمريكي سافراً مقرفاً ومجحفاً بالعرب وبالفلسطينيين بشكل خاص.

كما مهَّد المبشرون السبيل للاستعمار الصليبي الحديث من خلال إضعاف الصف الإسلامي وتشتيت الأمة الإسلامية؛ من خلال إثارة الفتن والمذابح والحروب بين طوائفها ومذاهبها المختلفة.. بعد ذلك جاء الاستعمار فسارع إلى تقسيم ديارنا وربوعنا إلى دويلات صغيرة مستضعفة، مسلوبة الثروات، خائرة القوى، ينهشها الفقر والجوع، ويسود فيها التخلُّف بشتَّى أشكاله وألوانه، ثم اغتصبوا بقعة من أرضنا ووهبوها لليهود، ثم راحوا يمدونهم بالتكنولوجيا، ويُغدقون عليهم بالمال والسلاح، حتى أضحت إسرائيل دولة نووية تهدد العالم الإسلامي برمَّته!.. وفي الوقت نفسه حاصروا العرب والمسلمين ومنعوهم من مجاراة إسرائيل عسكريّاً وتقنيّاً؛ بحجة مكافحة الإرهاب بأسلوبهم العسكري الإرهابي الجائر، فأضحت إسرائيل مصدر خطر دائم يهدد دول الجوار على الدوام.

وبأسلوبهم الإرهابي الخبيث أحكموا قبضتهم علينا وعلى مقدَّراتنا وكنوز بلادنا.

خامساً: أهم شبهات وافتراءات المستشرقين:

ومن أهم الشبهات والافتراءات التي جاءت في كتب المستشرقين المارقين:

١ - اعتبارهم سيدنا محمداً ﷺ تلميذاً لدى الراهب بَحيرا الذي عاش في بصرى الشام، وقولهم بأن بَحيرا هذا قد لقّنه القرآن وشريعة الإسلام.

٢ - افتراؤهم على سيد الأنام بأنه استمد القرآن من الإنجيل والتوراة، ومن كتب وحضارة الرومان والبيزنطيين والفرس والأتراك.

٣ - ادِّعاؤهم بأن جبراً الرومي وورقة بن نوفل وسلمان الفارسي وزيد بن

حارثة ومارية القبطية وأم المؤمنين خديجة قد لقنوه علوم الدين، وأنهم من أسس حضارة الإسلام السامية.

٤ ـ قالوا بأنه ﷺ كان عبقريّاً، فابتدع القرآن وادّعى النبوة، وتناسوا ما يزخر به القرآن من أسرار وغيبيات عن أمور حدثت في الماضي البعيد، وأخرى ستحدث في المستقبل القريب والبعيد، أي: إنه كشف حجاب الغيب عن أمور لم تكن معروفة لدى الشعوب المعاصرة ولا أسلافهم.

٥ ـ حاولوا إخماد نور الإسلام، وبذلوا قصارى جهدهم ليحولوا دون ازدهاره وتسلّمه مقاليد أمور العالم من جديد.. واستعانوا على ذلك بأخسّ الوسائل وأدنسها، كما لجؤوا إلى الميكياڤيلية في القرون السابقة (الغاية تبرِّر الوسيلة)، ثم تطور إرهابهم في القرن الحادي والعشرين فأصبح على شكل حملات عسكرية هائلة مدعَّمة بالصواريخ الذكية وبالقاذفات الكبيرة (B-52) التي تمطر المدن والشعوب بآلاف الأطنان من القنابل من شتى الأشكال والألوان، وما فعلوه في أفغانستان والعراق كان تجسيداً حيّاً لحقدهم وإرهابهم.

٦ ـ نسبوا للإسلام تخلّف ورجعية بعض شعوب العالم الثالث، وقالوا: إن الإسلام يقتل روح الإبداع عند الناس.

٧ ـ ومع مطلع القرن الحادي والعشرين راحوا يعزفون على وترٍ جديد؛ لقد جعلوا الكفاح الفلسطيني إرهاباً، ونعتوا الجهاد بالتطرف والأصولية، ثم اعتبروا كافة المسلمين إرهابيين، وقالوا: إن الإسلام دين إرهابي!.. وقالوا: إن عرفات زعيم للمافية (الانتفاضة الفلسطينية).. والأنكى من هذا أن تصريحاً تافهاً على هذا النحو لـ **بوش وشارون** أضحى بمفهوم أمريكا وإسرائيل سبباً كافياً يبرِّر إرهابهم ضد حماس وضد أطفال الحجارة، الذين يبذلون أموالهم ودماءهم وأرواحهم كي يستردوا أرضهم المغتصبة وكرامتهم المهدورة.

٨ ـ بحثوا دائبين وراء الآيات المتشابهات في القرآن الكريم، وتناسوا الآيات المحكمات (وهنَّ أمُّ الكتاب)، فأخذوا المتشابه منها ليفسدوا في الأرض وليؤوِّلوا معانيها بما يتناسب وأهواءهم وأهدافهم ووساوس شياطينهم..

قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ مِنْهُ ءَايَـٰتٌ مُّحْكَمَـٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَـٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَـٰبِهَـٰتٌ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَـٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ﴾ [آل عمران: ٧].

٩ ـ تعرَّضوا لكرامة رسول المحبة والسلام ﷺ، ولأمهات المؤمنين، وللصحابة الأجلاء ﷺ.

١٠ ـ اتّهموا القرآن بتناقض آياته، وقالوا: إن هذا التناقض ينفي عنه صفة التنزيل، واتهموا سيدنا ونبينا محمداً ﷺ بافترائه، وقالوا بأنه ناسوتي، أي لم يكن إلٰهاً كالمسيح عليه السلام (حسب ادِّعائهم وحسب عقيدتهم الوثنية)، وبما أنه ﷺ إنسان فإنه معرّض للخطأ والنسيان كباقي بني آدم، ولذا جاءت هذه التناقضات في القرآن الكريم.. قاتلهم الله وأعمى أبصارهم وبصيرتهم وشتَّت شملهم.

١١ ـ تعرَّضوا للحدود الخمسة في الإسلام، وانتقدوها بشدة وسخروا منها.

١٢ ـ منهم من قال بأن الإسلام يبعث على الجهل والكسل، وأنه يؤدي إلى الفقر والتخلّف.. وضربوا شعوب إفريقية الفقيرة المتخلفة أمثلة على ذلك، وقالوا: إنها شعوب مسلمة، وقالوا: إن ما أصابهم لم يكن ليصيبهم لولا اتِّباعهم لهذا الدين الذي يُهمل رعاياه!.. ثم راحوا يغدقون على هؤلاء الجياع بالمال والطعام والكساء، وقدَّموا لهم رعاية صحية لم تكن معهودة لديهم من قبل.. لقد فتحت لهم الحملات التبشيرية مدارس علَّموهم فيها بعض أمور الدنيا، ولقَّنوهم دينهم الوثني المحرَّف، وغرسوا في نفوسهم أفكارهم وثقافتهم، وختموا عليها بمُثُلِهم وعاداتهم، فارتبطوا

بهم وجدانيّاً وعاطفيّاً حتى أضحوا من أتباعهم وأتباع دينهم وإلحادهم بعدما كان بعضهم موحدين مؤمنين.

كما عمدوا لإغواء هؤلاء الفقراء البائسين إلى إنتاج أفلام سينمائية مزيَّفة عن شعوب متخلِّفة، وأظهروا المآسي ومدى الشقاء والضعف والمرض التي يعانون منها، وأدخلوا في هذه الأفلام صوراً لمساجد المسلمين ومآذنهم وصلواتهم ليؤكدوا لهم صحة دعواهم ضد الإسلام والمسلمين.

إنه تزييف وتدليس نشروه في وسائل إعلامهم وفي الدول المتاخمة لبلاد المسلمين لينفِّروهم من هذا الدين الحنيف، وليحدّوا من انتشاره وعظمته.

١٣ ـ حوَّلوا مزايا هذا الدين إلى عيوب بغرض الإساءة والتجريح، وضربوا على ذلك أمثلة من واقع حياتنا وديننا؛ كتحليل الطلاق وتعدّد الزوجات وغير ذلك من تشريعات.

لن أسترسل عزيزي القارئ في الردِّ على هذه الافتراءات؛ لأنني أفردتُ لها بحثاً خاصّاً في نهاية الكتاب..

لقد ظن هؤلاء الملحدون المستشرقون أنهم معجزون في الأرض، وأنهم سيطفئوا نور الله، وأنهم سيقضون على الدين الإلٰهي الوحيد الذي سَلِمَ من التحريف والتغيير ومن عبث العابثين.

سادساً: عداؤهم القديم الجديد للإسلام ونبيِّ الإسلام:

توالى ظهور هؤلاء الملاحدة المناهضون لكلمة الحقِّ والدين مذ أن رسّخ نبينا العظيم عليه أفضل الصلاة والتسليم دعائم هذا الدين الحنيف.

ثم كان يهود ألمانية أول المناهضين، ثم لحق بهم الوثنيون من النصارى الضالين، ثم سار على نهجهم ملحدو أوروبة وفلاسفتها، وكذلك مستشرقوهم

والطبيعيون والداروينيون، والذين لحقوا بالماسونية والشيوعية واتّخذوهما عقيدة ومذهباً.

وظهر من هؤلاء أناس حاقدون وآخرون نفعيون وغيرهم مقلِّدون.. وكانوا يظهرون لبعض الوقت فيعبثون ويفسدون، ثم يخنسون، ثم يطويهم الزمان، ليصبحوا في خبر كان.. لقد أرادوا تغيير إرادة الله وإطفاء نور مالك السموات والأرض، وتعكير صفو وشفافية وروحانية الإسلام، وتشويه تعاليم السماء، وإنكار وجود الكبير المتعال... ولكنهم عبثاً يحاولون.

كما نفث فلاسفة الإلحاد ما يتفاعل في جوفهم من أحقاد وضغينة، فذهب حقدهم أدراج الرياح، وطوى الزمان ذكرهم بعد الممات، وبقي الإسلام شامخاً نضراً معافى ينبض بالحيوية ويشع بالهداية، وسيبقى على ذلك إلى يوم الدين، تماماً كما أراد الله له أن يكون: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَـٰفِرُونَ﴾ [التوبة: ٣٢].

أتظنون أنفسكم معجزين في الأرض يا فلاسفة الإلحاد؟ أم تظنون أن كيدكم عظيم وأنكم قادرون على محو دين الله؟ أم تظنون أنكم بتطاولكم على الكبير المتعال ستطفئون نور ملك السموات السبع؟ أم ماذا تظنون بأنفسكم؟ اعلموا أن سعيكم سيبور وأنكم الأخسرون في الدنيا والآخرة..

قال تعالى: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَـٰلًا ﴿١٠٣﴾ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِمْ وَلِقَآئِهِۦ فَحَبِطَتْ أَعْمَـٰلُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَزْنًا ﴿١٠٥﴾ ذَٰلِكَ جَزَآؤُهُمْ جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُوا۟ وَٱتَّخَذُوٓا۟ ءَايَـٰتِى وَرُسُلِى هُزُوًا﴾ [الكهف: ١٠٣ ـ ١٠٦].

واعلموا أنكم لستم بمعجزين في الأرض، وأنكم لا تعدلون عند الله جناح بعوضة: ﴿وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ [الشورى: ٣١].

سابعاً: المستشرقون المنصفون المهتدون:

تعلَّمنا من الإسلام ومن نبيِّ الإسلام أن نُنصف الناس، وأن نعطي كل ذي حق حقَّه؛ لذا وقبل أن أنهي حديثي عن المستشرقين الذين جُندوا للكيد للإسلام والمسلمين، أحبّ أن أقول: إن كثيرين منهم أدركوا حقيقة هذا الدين، وأنه سماويٌّ أصيل ولم تصله يد التحريف، كما أيقنوا بأن القرآن من كلام الله من أسلوبه وبلاغته، فآمنوا بالإسلام واتَّبعوا النور الذي رأوه بعدما تأكد لهم بأنه الدين السماوي الوحيد الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.

لقد كان إيمانهم مبنيّاً على دراسة وتمحيص، لذا جاء قويّاً ثابتاً يقينيّاً ومحصَّناً من أفكار الملحدين والماديين، وممنَّعاً ضد وساوس الشياطين وتهتّك المتهتكين.

ليس هذا وحسب، بل راح كثيرون منهم ينشرون هذا الدين الحنيف، ودعوا له في أوطانهم، ودرّسوه في جامعاتهم لأبنائهم ولأبنائنا المبتعثين إليهم.

● وكان من أبرز هؤلاء المستشرقين المهتدين البروفسور **هارديان رولاند** (**Hardian Roland**) الذي درّس اللغات الشرقية وعلَّم الدين في جامعة أوترشت بهولندا، وألَّف كتاب (الديانة المحمدية).

وبما أنه قد نافح عن الإسلام ونبي الإسلام، وراح يدعو لهذا الدين السماوي العظيم؛ عارضته الكنيسة وسعت جاهدة لمنع كتابه من التداول، ولم تسمح له بحرية الإبداع والتفكير كما سمحت للملحد سلمان رشدي!.

● ومن الهداة المهديين من موكب المستشرقين كان البروفسور الألماني **يوهان رايسكه** (**J. Reiske**) الذي درَّس ديننا الحنيف في الجامعات الألمانية، فخدم من خلال مهنته الإسلام والمسلمين على مدى عشرات السنين، ولصدقه

وأمانته وحرصه على دينه الجديد وغيرته عليه والتزامه بكافة تعاليمه اتهمته الكنيسة بالزندقة، وحاربته وضيَّقت الحصار عليه حتى فقد ماله ووظيفته وكل أصدقائه، فأمضى بقية عمره بائساً فقيراً صابراً ومحتسباً، ثم مات متأثراً بالسلِّ الذي أضناه وأوهن قواه.

لقد آثر هذا البروفسور المؤمن الفقر والجوع والهوان والمرض على أن يترك هذا الدين.. وهلك دون دينه وهو الذي جنّدته الكنيسة ومؤسسات الاستشراق للنيل من هذا الدين الحنيف.

كما كان لهذا البروفسور العظيم دور كبير في إدخال الدراسات العربية والإسلامية إلى الجامعات الألمانية التي لا زالت قائمة حتى يومنا هذا.

● ثم ظهر المستشرق الفرنسي البروفسور **سلفستر دي ساسي** (**Selvestor de Sacy**) (١٨٣٨م) الذي أدخل الدراسات الإسلامية والأدب العربي إلى الجامعات الفرنسية، ودعا إلى الإسلام، وقاوم تيار الإلحاد، وتصدّى للعداء الفكري ضد هذا الدين.

● أمّا المستشرق الإنكليزي الفاضل **توماس أرنولد** (١٨٦٤ ـ ١٩٣٠م) فقد برز في نشاط الدعوة للإسلام، وألَّف لهذا الغرض كتابه الشهير (الدعوة إلى الإسلام).. ولروعة هذا الكتاب ولصدق أحاسيس صاحبه تُرجم إلى اللغة العربية والتركية والأردية، وذاع اسمه ولقي الترحاب والرواج في أوروبة وفي دول الإسلام كافة.

● ومن المفكرين الآخرين الذين جُنِّدوا لمحاربة الإسلام فدخل هذا الدين إلى صدورهم ولامس الإيمان شغاف قلوبهم؛ كانت الأستاذة **زيغريد هونكه** الألمانية الجنسية، التي أبلت بلاءً حسناً في دفاعها عن الإسلام ونبي الإسلام، وألَّفت في ذلك كتابها الشهير (شمس الله تسطع على الغرب).

كان عدد هؤلاء المستشرقين الذين خرجوا من صفوف الملحدين وانضووا

تحت لواء المسلمين كبيراً وكبيراً جدّاً، ولكني سأذكر أبرزهم وأكثرهم شهرة: **جاك بيرك، آنا ماري شمل، كارلايل، رينيه جينو، دكتور جرينيه**، وعبقري الأدب واللغة الألمانية **غوتيه**..

قال تعالى: ﴿وَيَرَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ ٱلْحَقَّ وَيَهْدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ﴾ [سبأ: ٦].

وفيهم قال الكبير المتعال: ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِي ٱلْآفَاقِ وَفِيٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ﴾ [فصلت: ٥٣].

وقال سبحانه: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ﴾ [فاطر: ٢٨].

أما مكر الملحدين من المستشرقين فقد ذهب مع الريح، ولم يظفروا إلا بالخيبة وبغضب الله ولعنته ومقته..

قال تعالى: ﴿وَلَا يَزِيدُ ٱلْكَٰفِرِينَ كُفْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ إِلَّا مَقْتًا وَلَا يَزِيدُ ٱلْكَٰفِرِينَ كُفْرُهُمْ إِلَّا خَسَارًا﴾ [فاطر: ٣٩].

وقال سبحانه: ﴿وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ﴾ [فاطر: ٤٣] صدق الله العظيم.

* * *

الفصل

٤

التبشير والتنصير

أولاً: نشوء فكرة التبشير وأهدافه:

بعد فشل الحروب الصليبية (١٠٩٩ ـ ١٢٩١م) في السيطرة على بلاد المسلمين وعلى الشرق العربي الإسلامي، تبلورت في أذهان الغربيين فكرة التنصير (التبشير) الذي يرمي ظاهره إلى نشر الدين المسيحي في ديار المسلمين واستبدال الإسلام بالمسيحية، وهذا ما صرَّح به البابا **يوحنا بولس الثاني** خلال رحلته إلى إفريقية عام (١٩٨٥م) فقال: «إن هدف الكنيسة من التنصير إيقاف المدِّ الإسلامي في إفريقية، وإنشاء منظمات اقتصادية فيها على غرار البنوك الإسلامية لمواجهة هذا المدِّ الإسلامي الكبير»(١).

لقد كان هذا ظاهر الأمر، أما جوهره فقد كان يهدف إلى إذلال المسلمين وكسر شوكتهم، وإخضاعهم لسيطرة الغرب الملحد واستعمار بلادهم.

وابتدأ نشاط هذه الحركة الخبيثة بإرسال مفكرهم **ريمون لول** إلى بلاد الشام، فأقام فيها وتعلَّم لغة أهلها وتقرَّب من علمائها، ثم راح يناقشهم في معتقداتهم وأمور دينهم.

بعد ذلك عاد هذا الداهية إلى بلاده محمّلاً بالأفكار والمعلومات عن الإسلام والمسلمين، فروَّجها بين الذين جُنِّدوا للنيل من هذا الدين الحنيف.

---

(١) جريدة الأخبار، ١٩/٨/١٩٨٥م.

بعد ذلك دخل المبشرون الكاثوليك إلى الدول الإفريقية المسلمة التي كانت تعاني من الفقر والجهل والجوع والمرض، فاكتنفوهم برعايتهم، وقدَّموا لهم الغذاء والكساء والمال، وعالجوهم من أمراضهم، وتودَّدوا إليهم وأغدقوا عليهم بإحسانهم ولطفهم وخبثهم، وغرسوا فيهم تعاليم دينهم، وحذَّروهم من مغبَّة اعتناق الإسلام، وأفهموهم بأسلوبهم الماكر أن الإسلام هو المسؤول عن تخلّفهم وفقرهم وتشرّدهم.

بهذا الأسلوب الذي رسمه الڤاتيكان وموَّلته حكومات الغرب، ودعمته الماسونية والشيوعية والوجودية، وسهَّلت تطبيقه الحركة التبشيرية ومن والاها من مستشرقين؛ تمكَّن مفكرو الغرب ورجالات دينهم الذين تجاوزوا المليون في عددهم من نشر المسيحية في الهند والباكستان وبنغلاديش وأندونيسيا والفلبين وفي كافة أرجاء القارة السوداء.

لقد بلغ عدد الكنائس التي افتتحوها في نيجيرية (٣٠٠٠)، وأفهموا سكانها بأنهم لن يصبحوا متمدِّنين كالأوروبيين إلا إذا تخلّوا عن الإسلام واتّبعوا الدين النصراني، فاستجاب لهم الفولانيون، كما استجاب لهم واتَّبع دينهم المحرَّف (١٥) مليون أندونيسي، والغالبية العظمى من الفيليبنيين الذين كانوا مسلمين.

كل هذا والعرب والمسلمون غارقون في سبات عميق، أشبه ما يكون بسبات الموت.

ثانياً: تخاذل المسلمين سبب في انتشار التبشير:

لقد ركن المسلمون إلى حياة الترف والرفاه والرخاء، وتخاذلوا عن الدعوة وعن الجهاد والتطور والبناء، واقتصروا ومعهم علماؤهم على تعليم الناس أصول دينهم؛ كيف يصلّون، وكيف يصومون، وكيف يحجّون. . . وتناسوا، بل وأغمضوا عيونهم عن واجبهم الأول تجاه الله ورسوله، كما

تناسوا أن (١٠,٠٠٠) صحابي من أصل (١٠٠,٠٠٠) صحابي قد دفنوا في المدينة المنوَّرة، بينما انتشر الباقون وعددهم (٩٠,٠٠٠) في مشارق الأرض ومغاربها، وعبروا الصحارى والقفار، ولم يكن لديهم سيارات ولا طائرات، ونشروا دين الله، وزرعوا الإيمان في القلوب، وصقلوا عقول الناس وأخذوا بأيديهم إلى دار النعيم وإلى جنة الخلد، وماتوا على ذلك ودفنوا برمّتهم في ديار الغربة في سبيل إعلاء كلمة الحق والدين.

ثالثاً: من خطط وأساليب المبشرين وأهدافهم:

• عندما أسَّس زعيم المنصِّرين **زويمر** أول مركز تبشيري في الخليج العربي عام (١٨٩٤م) قال: «يبدأ الطريق إلى مكة من الخليج، ونجاحنا في دول الخليج سيفتح لنا آفاقاً جديدة».. لقد خطط هذا المأفون لبلوغ مكة التي حرَّمها الله على الكافرين النجسين..

ثم أنشئت بعد ذلك إرسالية الكويت عام (١٩١٠م)، ثم افتتحوا مدرسة الراهب الصالح عام (١٩١٨م) ومركزاً آخر في مسقط، ثم تتالت المراكز والمدارس والجامعات وغيرها من بؤر الكفر والإلحاد التي مكَّنتهم من التقرُّب من المسلمين والاحتكاك بهم والتغلغل في أعماقهم، فدغدغوا وجدانهم وغرسوا في نفوسهم أفكار وتعاليم دينهم المحرَّف، ثم راحوا يرعون هذه الغراس باللطف والمكر والمُراءات تارة، وبالتحبُّب والتودُّد تارة أخرى، وبالترغيب والإغراء والجنس والإباحية تارات أخرى، وبالمعونات المادية والبعثات التعليمية تارات كثيرة.

• كما تتالت إرسالياتهم الطبية حتى انتشرت في كل مكان.. وكرَّسوا لها أطباء وممرضات مدرّبين على فنون التبشير والتنصير والتدليس، فانبهر بهم ضعفاء القلوب والشباب المتقلِّب الذي يسهل انقياده وغسل دماغه وإخضاعه لسلطانهم وإغراءاتهم.

كان من أبرز هؤلاء المبشرين الطبيب **بول هاريسون** الذي قال في كتابه: (الطبيب في بلاد العرب): «لقد وُجدنا في بلاد العرب لنجعل رجالها ونساءها نصارى، ولنخرج نساءها من خدورهن، ونطلقهنّ في مراتع الإباحية باسم التحرُّر والتمدّن والتنصير».

● أما المبشر **مستر بلاس** فقد قال: «الدين الإسلامي هو العقبة الوحيدة في طريق التبشير في إفريقية والدول العربية».. ومما قاله هذا المأفون: «لقد انتشر الإسلام بحدِّ السيف، ولولا ذلك لما خضعت له شعوب آسية وإفريقية»!.. يحاول هذا المارق اللئيم أن يبرِّر عداءه للإسلام والمسلمين وتصدِّيه لديننا الحنيف من خلال التبشير بأسلوبه المبتذل الخسيس.

أما المبشر الأمريكي **هنري جيسوب (H. Jesup)** فقد قال: «المسلمون لا يفهمون الأديان ولا يقدرونها حقَّ قدرها، إنهم لصوص وقتلة ومتخلفون، ولذلك جئنا إليهم بالتبشير لنعمل على تمدينهم».

إنهم يعيبون علينا تمسّكنا بديننا، ويقذفوننا بعدم فهم الأديان؛ لأن كتابنا الذي نتمسَّك به وبقوة ونحفظه في قلوبنا ونصونه في صدورنا هو الكتاب السماوي الوحيد الذي حفظه الله من التحريف والتغيير: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ [الحجر: ٩]، أمّا هم فإنهم عباقرة، ولشدّة عبقريتهم ألّفَ الكاثوليكيون منهم (٧٣) إنجيلاً، أما البروتستانت فقد كانوا أقلّ منهم بقليل في ذكائهم وعبقريتهم لأنهم لم يؤلفوا سوى (٦٦) إنجيلاً؛ كل منها مختلف عن الآخر تمام الاختلاف، أما اليهود فقد كانوا شديدي الغباء لأنهم لم يؤلِّفوا إلا تلموداً واحداً، وكان ذلك بعد (٢٠٠٠) سنة من انتقال موسى عليه السلام إلى جوار ربه، أما التوراة فليس لها أثر ولا وجود!..

● ومن تهريفاتهم المكرَّرة ما قاله المبشر **أديسون**: «لم يستطع محمد فهم النصرانية حقَّ الفهم، لذا لم يكن في خياله إلا صورة مشوَّهة بنى عليها دينه الذي جاء به».. وقال: «المرأة مستعبدة في دين الإسلام الناقص»!.. إنها في

نظرهم مستعبدة لأن الإسلام صان عرضها وكرامتها ولم يسخِّرها لتكون مرتعاً لكل راتع، ولا مكاناً مشاعاً يفرِّغ فيه الرجال شهواتهم وماءهم كما يفرِّغون مخلَّفات جسدهم في دورات المياه العامة المباحة لمن شاء.

• أما المبشِّر **جون تاكلي** فقد قال: «يجب أن نُري المسلمين أن الصحيح في القرآن ليس جديداً ـ أي: منقولاً عن النصرانية ـ وأن الجديد فيه ليس صحيحاً».

ظن هذا المارق المتعجرف أن الأناجيل التي ابتدعوها ويتداولونها صحيحة ولم تعبث بها يد التحريف والتغيير والتزوير، وتجاهل أن الإنجيل المنزَّل من السماء واحد وليس مئة، كما جهل أو تجاهل أن الله والمسيح بريئان من كتبهم التي ألبسوها رداء القداسة.

• كما حثَّ القس المبشر **صموئيل زويمر** على نشر المسيحية بين المسلمين، ودعا المبشرين إلى الاستمرار على ذلك مهما بدا الأمر عسيراً، وقال: «ينبغي على المبشرين أن لا يقنطوا إذا وجدوا أن نتيجة تبشيرهم ضعيفة، لأن هذا متوقع، ولكن لا بد وأن ينمو فيهم الميل إلى الغرب وإلى علومه وثقافته.. وإباحيته وتحرُّر نسائه وشذوذ رجاله وتفسخهم... وغير ذلك من أفكار التبشير، وبالاستمرار دون كلل ولا ملل سيحصل التغيير لا محالة، إن لم يكن عاجلاً فآجلاً»..

قال تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ يَئِسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِ﴾ [المائدة: ٣].

مما قاله هذا الداهية الحاقد في مؤتمر القدس التنصيري الذي عُقد عام (١٩٣٥م) وحضره حشد غفير من المبشرين: «إن مهمة التبشير التي ندبتكم لها الدول المسيحية في البلاد الإسلامية ليست لإدخال المسلمين في المسيحية، لأن في ذلك هداية لهم وتكريماً لا يستحقونه، ولكن مهمتكم إخراج هؤلاء عن

دينهم لتبعدوهم عن الله، وبذلك سيتجرَّدون من مكارم الأخلاق ومن مثلهم العليا التي رفعت من شأنهم، والتي تعتبر أساس ازدهار ورقيِّ الأمم». . **هذا هو هدفهم وغاية غاياتهم الخبيثة من كافة تحركاتهم وتكتلاتهم ومكرهم وعدائهم لنا ولديننا الحنيف.**

يتابع هذا المأفون اللعين حديثه فيقول: «إنكم أعددتم نشئاً لا يعرف الصلة بالله ولا يريد أن يعرفها، وأخرجتم المسلم من الإسلام ولم تدخلوه في المسيحية، وبالتالي فقد جاء النشء طبقاً لما أراده الاستعمار لا يهتم بعظائم الأمور ويميل إلى الكسل والراحة، وإذا تعلَّم تعلَّم لأجل الشهرة، وإذا تبوّأ مركزاً فإنه لا يفكِّر إلا بالشهرة، وفي سبيل الشهرة يجود بكل شيء».

انظر يا أخي إلى السموم التي ينفثها هذا المبشر وإلى مراجل الحقد التي تغلي في أعماقه ضد إسلامنا الحنيف: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ﴾ [البقرة: ١٠٩].

وفيهم قال رب الأرباب الكبير المتعال: ﴿وَدَّت طَّآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يُضِلُّونَكُمْ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ [آل عمران: ٦٩]، وهذا ما كان، إذ بقي الإسلام صامداً نضراً يسطع بنور الحق والهداية.

● أما القس المبشِّر **سيمون** فقد قال: «تَجمَعُ الوحدة الإسلامية آمال الشعوب المسلمة، وتساعدهم على التخلُّص من السيطرة الأوروبية: أما التبشير فإنه يكسر شوكتهم ويحيد بهم عن مسار دينهم».

فإذا علمت عزيزي القارئ أن هذا القس من مؤسِّسي حركة التبشير وأحد أركانها ودهاتها؛ لتبيَّن لك مدى حقدهم علينا، وأنهم يلبسون الحقَّ بالباطل ويدلِّسون على الناس ليجرِّدوهم من هويتهم، ولينزعوا عنهم فطرتهم التي سمت بهم وبروحهم وبأخلاقهم التي كانت وراء ازدهار حضارتهم وشموخها.

● أمّا **لورانس براون** فقد قال: «إذا اتَّحد المسلمون في إمبراطورية واحدة؛ فإنهم سيصبحون لعنة على العالم، أمّا إذا بقوا متفرقين؛ فإنهم سيظلون بلا وزن ولا تأثير». .

قال تعالى: ﴿قَدْ بَدَتِ ٱلْبَغْضَآءُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ وَمَا تُخْفِى صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ﴾ [آل عمران: ١١٨]. .

لذلك قاموا بتقسيم بلادنا في سايكس بيكو، ويحاولون زيادة التشتيت في بداية القرن الواحد والعشرين؛ فابتدعوا الشرق الأوسط الجديد وغيره.

● أمّا اليسوعي المبشر **ميبز** فقد قال: «لا زالت الحروب الصليبية الهادئة التي بدأها مبشرونا في القرن السابع عشر مستمرة حتى أواخر القرن العشرين، وإلى يومنا هذا لا زال عدد كبير من الرهبان والراهبات الفرنسيين يعملون بنشاط كبير في الشرق الأوسط، وهم ينفِّذون المهام الموكلة إليهم بدقة ونجاح بالغين».

لذلك حاذر يا أخي أن تكون ظهيراً لهؤلاء المستشرقين الكافرين، ولا يصدَّنَّك عن الله أمثال هؤلاء الشياطين المدلِّسين.

● يقول المستشرق الألماني **بيكر** في هذا الصدد: «العداء بين النصرانية والإسلام قائم منذ قرون وسيظل. . لقد كان سبب هذا العداء انتشار الإسلام في العصور الوسطى في أماكن كثيرة وواسعة كانت تحت سيطرة الكنيسة، كما أن انتشار الإسلام السريع يشكل عائقاً كبيراً وسدّاً منيعاً في وجه الاستعمار والنصرانية. . إن الهدف الرئيس للتنصير والتبشير هو تمكين الغرب النصراني من البلاد الإسلامية كمقدمة لاستعمارها وإذلالها وإضعاف أهلها ونزع الإسلام منها».

لقد كشَّر هذا المستشرق الألماني عن أنيابه، وكشف خطط أسياده ونوايا الدول التي ترعاهم وتوجههم، واعتبر حركاتهم امتداداً للحروب الصليبية،

ولكنها كانت ولا زالت حرباً باردة يديرونها بالمكر والخداع وبالدهاء والتدليس والتدنيس، حتى جاء **جورج بوش الابن** واللعين **شارون** وخلفاؤه فأعلنوها حرباً ضروساً ضد الإسلام والمسلمين بحجة أنهم أصوليون وإرهابيون.

● كما أنشؤوا في بلادنا مدارس ومعاهد عليا وكليات وجامعات تبشيرية ودوراً كثيرة لحضانة الأطفال ومراكز للشباب يرتادها من شاء متى شاء ويقيم فيها بالمجان.

وزوَّدوا هذه البيوتات والأندية بوسائل ترفيهية ومكتبات ودور سينما تعرض ما يهواه الشباب وينجذبون إليه.. ودعوا الشباب والفتيات للالتقاء في هذه المراكز، وسهّلوا لهم السبل لذلك، ليمارسوا فيها ما يمارسه الغربيون المتحضرون!..

وأفاضوا على الشباب بمحبتهم الزائفة، ففتنوهم بلسانهم المعسول، فحبّبوهم بمسيحيتهم المحرَّفة التي تناسب أصحاب الأهواء، وتحقق لهم كل الرغبات، وتطلق العنان للحريات وللحرية الجنسية على رأس هذه الحريات، التي مهّدوا لها السبيل والمكان..

● كما سيطروا على وسائل الإعلام في كثير من بلاد المسلمين، وأقاموا فيها إذاعات وصحف وكنائس ومدارس تبشيرية؛ فعبثوا بأفكار الطلاب والأطفال، فشبُّوا منحرفين في تفكيرهم وعقيدتهم وسلوكهم وخلقهم، كما جاء انتماؤهم لدينهم ووطنهم ضعيفاً متذبذباً، وصار البعض منهم فرنسيّاً أكثر من الفرنسيين في تفكيره وثقافته وفي انتمائه لفرنسا، ومنهم من لازمه انتماؤه لأمريكا أو إنكلترا أو ألمانيا طيلة حياته، ومنهم من مارس دور أسياده على أبنائه فشبّوا بلا عقيدة ولا دين ودون أدنى التزام وطني أو قومي، وهم ينفرون من عادات شعوبهم وتقاليدها، ونفضوا عنهم مُثُلها العليا واعتبروها رجعية وتخلفاً، ويتعاملون مع أبناء جلدتهم بفوقية وكِبر، كما تجاهلوا الخالق

سبحانه، وسخروا من الملتزمين بالدين فمارسوا بذلك دور الشيطان الرجيم، فأضحوا لعنة على الشعب والوطن والدين.. وبما أنهم خالو الوفاض، وفكرة الوطنية منزوعة من روحهم؛ فإنهم يبيعون ما لا يملكون لأول مستعمر غاشم ولأول مساوم من أسيادهم الحاقدين.

● لقد جنَّد الغرب المستعمر لهذا الغرض ما يزيد عن (٢٢٠) ألف مبشِّر، منهم (١٣٨٠٠) كاثوليكي، و(٨٢٠٠٠) بروتستانتي.. كما بلغت تكاليف نشاطاتهم ما يزيد عن بليوني دولار أمريكي سنويّاً.

وتمكَّنوا من تنصير عشرة ملايين مسلم في أندونيسيا، وشيَّدوا لهم (١٠) آلاف كنيسة، وجنَّدوا لرعايتهم وغسل أدمغتهم (٨٠٠٠) قسيس منحرف.. كما حوَّلوا إفريقية من قارة مسلمة إلى أخرى وثنية ـ نصرانية.. وكذلك الحال في الفيليبين التي اعتنقت الإسلام، ثم وبعد دخول المستعمر الأوروبي إليها لم يبق على دين الإسلام إلا قليلون، ولقد أضحوا الآن (١٠) ملايين من أصل (٨٠) مليون نسمة وهم في ازدياد مستمر بعد الصحوة الإسلامية الأخيرة.. أمَّا في الهند فقد حكم المسلمون ما يزيد عن (١١٠٠) سنة، حتى جاء المستعمر الإنكليزي فأقصى المسلمين عن الحكم بالحديد والنار، وحوَّل الغالبية العظمى من الشعب إلى نصارى وثنيين وهندوس وبوذيين وغير ذلك، ولكن عدد المسلمين هناك في ازدياد مستمر. لقد بلغ تعدادهم في نهاية القرن العشرين أكثر من (٢٠٠) مليون مسلم.

● ولكي يضعف المستشرقون الصف العربي والإسلامي أيقظوا القوميات المندثرة؛ كالفرعونية في مصر، والفينيقية في بلاد الشام، والآشورية في العراق، والبربرية في شمال إفريقية، وذلك كتمهيد لتقسيم بلادهم ولاحتلال أراضيهم واستنزاف طاقاتهم ونهب ثرواتهم.

● كما أثاروا الفتن بين الشعوب والطوائف المختلفة، وأوقدوا بينهم

الحروب حتى تشتَّت الصف العربي، فتكالبت علينا الأمم الصليبية المستعمرة وأصبحنا كغثاء السيل في ضعفه وهوانه..

عن أبي هريرة رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: «**يوشك أن تداعى عليكم الأمم من كل أفق كما تداعى الأكلة إلى قصعتها**، قيل: يا رسول الله! أمن قلة نحن يومئذٍ؟ قال: **لا، ولكنكم غثاء كغثاء السيل، يُجعل الوهن في قلوبكم، ويُنزع الرعب من قلوب عدوكم؛ لحبّكم الدنيا وكراهيتكم الموت**»(١).

صدقت يا رسول الله، وصدقت نبوءتك عمّا سيؤول إليه حال المسلمين؛ فبعد أن فتحنا مشارق الأرض ومغاربها، عدمنا الحيلة والإرادة واكتفينا بالتصدِّي لهذا المدِّ الاستعماري بإصدار بعض الكتب التي لم تُقدِّم ولم تُؤخِّر، وبقيت السيوف في أغمادها حتى صدئت واهترأت!..

من هذه الكتب اشتهر كتاب (معاول الهدم والتخريب في النصرانية والتبشير) لإبراهيم سليمان الجبهان، وكتاب (قادة الغرب يقولون: أبيدوا الإسلام ودمروا أهله) لجلال العالم، وكتاب (التبشير والاستعمار) للدكتور مصطفى الخالدي والدكتور عمر فروخ، وكتاب (التبشير والتنصير والاستعمار) للمستشار محمد عزت إسماعيل الطهطاوي.

رابعاً: الإسلام ملاذ كل المجتمعات:

إن تسلّط المادِّية والانحلال الخلقي واستشراء الإلحاد في الغرب الأوروبي والأمريكي جعلت سكان تلك البلاد يعانون من الضياع الروحي والنفسي، ويشعرون بضرورة الحفاظ على ما تبقّى فيهم من مُثُل وأخلاق وفطرة حميدة تصون كرامتهم وتربطهم ببارئهم؛ لذا راحوا يبحثون عن عقيدة إلٰهية سامية وصافية لتعيد تنظيم مجتمعهم المتفسِّخ، فلم يجدوا إلا الإسلام ديناً ومخلِّصاً.

---

(١) حديث صحيح عن ثوبان، الصحيحة (٩٥٦)؛ صحيح الجامع الصغير وزيادته (الفتح الكبير): ٢/١٣٥٩، رقم (٨١٨٣).

فقد وجدوا فيه ضالتهم المنشودة وفطرتهم الضائعة وتعاليم السماء الحقَّة. . وبما أنهم لم يجدوا شيئاً من هذا في دينهم المحرّف، لذا دخلوا في الإسلام طواعية دون دعاة ولا مبشرين مسلمين، دخلوه صاغرين خاشعين مستبشرين. . لقد منَّ الله عليهم أن هداهم للإيمان، فاستقرت بالإسلام أرواحهم وسكنت قلوبهم وصلح حالهم.

لقد أصيب مفكرو وساسة الغرب بصدمة كبيرة وخيبة أمل مؤلمة عندما وجدوا قومهم يدخلون في الإسلام زرافات ووحداناً، وهم الذين أنفقوا البلايين وجنَّدوا مئات الآلاف من القساوسة والمبشرين كي يزلزلوا أركان الدين الجديد، وليشوِّهوا صورته وينزعوا عنه روحانيته ونضارته وشفافيته.

بهذا الأسلوب الشيطاني المخادع ظنوا أنهم قد تمكَّنوا من الدين الحنيف، وأن شعبهم سيفكِّر مليّاً قبل أن يلتحق برحاب هذا الدين. . ولكن مكرهم وإن كان لتزول منه الجبال، إلا أنه بدا هزيلاً رثّاً واهناً أمام عظمة الله ومشيئته، فأصيب الملاحدة ومفكروهم وحكوماتهم وساساتهم ورجال الدين لديهم بخيبة أمل ما بعدها خيبة، وخذلان ليس كمثله في حدته وهوانه. .

قال تعالى: ﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ﴾ [الأنفال: ٣٠].

﴿وَمَا يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنفُسِهِمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ [الأنعام: ١٢٣].

لقد بار مكر هؤلاء وتشتَّت سعيهم وطوى الزمان ذكرهم، وبقي الإسلام كما أراد الله له أن يكون: شامخاً قويّاً نضراً شفافاً إلٰهيّاً ومحصَّناً من عبث العابثين ومكر الماكرين وحقد الحاقدين. .

قال تعالى: ﴿وَلَا يَزِيدُ ٱلْكَٰفِرِينَ كُفْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ إِلَّا مَقْتًا وَلَا يَزِيدُ ٱلْكَٰفِرِينَ كُفْرُهُمْ إِلَّا خَسَارًا﴾ [فاطر: ٣٩].

وفي هذه الطغمة الآثمة يقول الكبير المتعال: ﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ

يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾ [الفرقان: ٤٤].

ويقول ﷻ: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّن بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ﴾ [البقرة: ١٠٩].

* * *

الفصل

٥ فلسفة فرويد

أولاً: سيغموند فرويد وبعض تهريفاته:

سيغموند فرويد: هو طبيب يهودي نمساوي الأصل، ولد عام (١٨٥٦م)، ومات عام (١٩٣٨م)، تخصَّص في الطب النفسي، ثم انحرف تفكيره فراح يفسِّر الحياة ومشاكلها وكافة أمراضها تفسيرات نفسيَّة ـ جنسيَّة غريبة ومنافية للدين والأخلاق.

فألَّف العديد من الكتب التي بحثت في العلاقة بين الجنس وحياة الناس وتأثير الجنس على سلوكهم وعلى فسيولوجية أعضائهم وحتى على معتقداتهم الدينية!.

وباقتضاب شديد سأذكر بعض تهريفاته، خاصة منها التي تعرّضت لأخلاق الناس وعلاقتهم بخالقهم:

● لقد قال، وقوله باطل، بأنّ الطاقة الجنسية أعظم الطاقات الكامنة في الجسم البشري، واعتبر الجنس المسيطر الوحيد المسؤول عن سلوكيات الناس، وأنه وحده الذي يسيطر على وظائف الأعضاء وطاقاتها ويوجِّهها ويحفِّزها.

● واعتقد بأن الطفل يولد ولديه طاقة جنسيّة، وقال: إن هذه الطاقة تسيطر عليه جملة وتفصيلاً منذ ولادته، وهو عندما يأخذ ثدي أمِّه فإنه يفعل ذلك بدافع اللَّذة الجنسية ليس إلَّا!.

تصوَّر فرويد أن مصّ حلمة الثدي عمل جنسي يقوم به الوليد مع أمّه، ويتجاهل الثدي كمصدر لغذائه ونموِّه وقوته وعنفوانه!.

● وبرأي فرويد، يتلذَّذ الطفل عندما يتبوّل أو يتبرّز! فإن كان هذا صحيحاً، فهل يتلذَّذ بفوطته أم بماذا؟!.

● ويقول فرويد: إن مصّ الرضيع لإبهامه ضرب من اللذة.. فإذا كان في المصّ لذّة! فهل هي لذّة جنسية كما يقول فرويد؟ أم أن اللذّات لدى الأطفال أنواع وأشكال؟!.

● وبرأي فرويد: فإنّ الطفل الذي يداعب أعضاءه التناسلية يستمتع ويتلذَّذ، وهي عنده ممارسة كالممارسة الجنسية أو العادة السرِّية.

الواقع أن الجنس عند الأطفال موجود، ولكنه جنس بريء وليس فيه ما يتصوّره فرويد.

● يُرْدِفُ فرويد فيقول: «بعد أن ينمو الطفل الذكر يزداد تعلّقه بأمه ويحسّ تجاهها بشهوة جنسية مشابهة لإحساس البنت تجاه والدها.. وبما أن الطفل ضعيف وضعيف جدّاً، لذا فإنه لن يتمكّن من الاستحواذ على أمه والانفراد بها، ولا من الحيلولة دون اقتراب أبيه منها؛ لذا فإنه سيكره أباه، ولكنه في الوقت ذاته يُكنُّ له المحبة والولاء لكونه أباه.. من أجل ذلك ستصطرع الكراهية مع الحب في رأس العاشق الصغير، وبما أنه لا حول له ولا قوة، وأعجز من أن يفاتح أباه بشعوره تجاه عشيقته، لذا سيكبت كرهه لأبيه في اللاشعور.

وبما أن هذا الحب وتلك الكراهية سيلازمانه طيلة طفولته، وقد تستقرّ في نفسه طيلة حياته، لذا فإنه سيعاني من اضطرابات نفسية ومن كبت قد يلازمانه العمر كله، وهذه ستؤدي بدورها إلى إحداث تغيّرات سلبية في سلوكه دون وعي منه ولا إدراك.

سيُظهر الطفل ما لديه من حب ويُبقي الكره مكتوماً (مكبوتاً) في أعماقه بعيداً عن السطح لئلا يتعرَّض لانتقاد المجتمع والأسرة، لذا سيشعر الطفل بأنه ينافق ويرائي في تعامله مع والديه وبالتالي مع الناس لاحقاً.

وبتفاقم هذا الكبت الجنسي لدى الطفل فإنه سيعتاد أن يكبت نفسه، وأن ينهاها عندما تبغي عمل شيء ما، تماماً كما نهره أبوه وكبته من قبل، وبذلك سينشأ لدى الإنسان ومنذ نعومة أظافره الإحساس بالأمر والنهي اللّذين سيولِّدان لديه الضمير والسلوك الإنساني الأخلاقي المزيَّف الذي يمثِّله الإنسان أمام المجتمع، ويتعامل معه من خلاله ليرضيه وليرضي نفسه ويريحها».

بهذا الأسلوب الماكر أنكر اليهودي فرويد دور الدين والشرائع السماوية في تنظيم حياة الناس وسلوكهم وفي وضع أسس الأخلاق وتعامل الناس بعضهم بالبعض الآخر وارتباطهم الروحي ببارئهم.

لقد نفى وجود الفطرة الإلٰهية وتجاهلها تماماً، واستبدلها بالضمير الذي يتولّد وينمو من خلال الاحتكاك مع الآخرين في مجتمع الأسرة الذي يحب الخير ويكره الشر، ويأمر بالمعروف وينهى عن الشرِّ والمنكر.

● أغرب ما جاء في فلسفة فرويد الشاذَّة اعتباره الجنس وعقدة أوديب التي تصيب الطفل في بداية حياته والتي تنجم عن الكبت الجنسي سبب ظهور ما نسمّيه بالضمير في أعماق النفس البشرية!.. يقول هذا المتفلسف بأن عقدة أوديب لدى الذكور سيقابلها عقدة مماثلة لدى الإناث، وقد سمّاها بعقدة إليكترا، وقال: إن القيم الأخلاقية العليا والتي سمّاها الناس فيما بعد بالدين أو العادات والتقاليد نجمت عن هاتين العقدتين.

إنه ينفي الديانات السماوية ويعتبرها عادات مكتسبة من البيئة والوسط ومن خلال الكبت الجنسي، كما أنكر فطرة الله التي فطر الناس عليها.

حسب هذه النظرية المقرفة يصبح كل إنسان على وجه الأرض مريضاً

ويعاني من عقدة أوديب، إلا إذا واقع أمه وهو طفل صغير فاستثني بذلك من هذا المرض النفسي.

ثانياً: النفس البشرية عند فرويد:

من خلال تصوّر فرويد الغريب أو الفريد من نوعه في عالم الفلسفة والطب النفسي تصبح النفس البشرية مركبة من ثلاث طبقات:

١ ـ الطبقة السفلية:

وهي التي تسيطر عليها شهوة الإنسان الجنسية، وهي التي توجِّهه وتوجه أحاسيسه وتصرفاته، وهي حسب رأيه طبقة لا شعورية ومجردة من الوعي، وهي مرتبطة بالطبقتين الأخريين.

٢ ـ الطبقة الوسطى:

تمثل هذه الطبقة الوعي والإدراك والذات البشرية، وهي التي تضبط شهواته ولذّاته، وهي مصدر كافة حركاته وسكناته الواعية، أي الإرادية.

٣ ـ الطبقة العليا:

وهي مصدر الكبت المكتسب من الدين والعقيدة والأخلاق والتقاليد، وهي طبقة لا شعورية (لا إرادية) مهمتها كبت الطبقة السفلية الشهوانية.

حسب تصورات فرويد الغريبة؛ تقوم الذات البشرية ـ أي: الطبقة الوسطى ـ بأمر من الطبقة العلوية بالتحايل على الطبقة السفلية كي تكبت شهواتها ولذّاتها الجنسية، وهي تناور مناورة السياسي البارع ليرضي الحكومة والشعب في آنٍ واحد.

لاحظ عزيزي القارئ تفسير فرويد للنفس البشرية! لقد اعتبرها شيئاً مادِّياً، وأنكر الرابطة الروحية بين الإنسان وبارئه، وهي التي تسيطر على سلوكه وتصرفاته.

ثالثاً: الدين والأخلاق والتقاليد عند فرويد:

من خلال كتابه: (الطواطم والمحرّمات: Totem and Taboo) تحدّث فرويد عن الدين والأخلاق والتقاليد، فقال: «لقد شعر الأبناء برغبة جنسية تجاه أمهم الأولى ـ حواء ـ فوجدوا أباهم سدّاً يحول بينها وبينهم، لذا قتلوه لتخلو لهم أمهم!.. لقد كانت هذه أول جريمة ارتكبها الإنسان في هذا الوجود، ولم تكن قتل هابيل لأخيه قابيل».. وهذا بالطبع مخالف لما ورد في الكتب السماوية: ﴿وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ ٱبۡنَيۡ ءَادَمَ بِٱلۡحَقِّ إِذۡ قَرَّبَا قُرۡبَانٗا فَتُقُبِّلَ مِنۡ أَحَدِهِمَا وَلَمۡ يُتَقَبَّلۡ مِنَ ٱلۡأٓخَرِ قَالَ لَأَقۡتُلَنَّكَۖ﴾ [المائدة: ٢٧].

بعد أن فرَّط الأولاد بأبيهم آدم ـ حسب زعمه ـ تألّموا وحزنوا على قتله وندموا، لذا راحوا يُحيُون ذكراه حتى قدَّسوه ومن ثَمَّ عبدوه.. فالعبادة في رأي فرويد كانت للأب وليست لله، وهذه كانت بداية ظهور فكرة الدين.

إكراماً وتقديساً لمعبودهم أعرض الأبناء عن مواقعة زوجته (أمهم)، وبذلك نشأت فكرة تحريم الأم، التي كانت أول تحريم جنسي.

لقد تجاهل فرويد تحريم الاتصال بالأم بأمر الله ﷻ، ذلك التحريم الذي ورد في كافة الديانات السماوية..

قال تعالى: ﴿حُرِّمَتۡ عَلَيۡكُمۡ أُمَّهَٰتُكُمۡ وَبَنَاتُكُمۡ وَأَخَوَٰتُكُمۡ وَعَمَّٰتُكُمۡ وَخَٰلَٰتُكُمۡ وَبَنَاتُ ٱلۡأَخِ وَبَنَاتُ ٱلۡأُخۡتِ وَأُمَّهَٰتُكُمُ ٱلَّٰتِيٓ أَرۡضَعۡنَكُمۡ وَأَخَوَٰتُكُم مِّنَ ٱلرَّضَٰعَةِ وَأُمَّهَٰتُ نِسَآئِكُمۡ وَرَبَٰٓئِبُكُمُ ٱلَّٰتِي فِي حُجُورِكُم مِّن نِّسَآئِكُمُ ٱلَّٰتِي دَخَلۡتُم بِهِنَّ فَإِن لَّمۡ تَكُونُواْ دَخَلۡتُم بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡكُمۡ وَحَلَٰٓئِلُ أَبۡنَآئِكُمُ ٱلَّذِينَ مِنۡ أَصۡلَٰبِكُمۡ وَأَن تَجۡمَعُواْ بَيۡنَ ٱلۡأُخۡتَيۡنِ إِلَّا مَا قَدۡ سَلَفَۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورٗا رَّحِيمٗا﴾ [النساء: ٢٣].

يُردف هذا المارق فيقول: «لقد تمخَّضت حادثة قتل الأولاد لأبيهم آدم عن تشريعات أخرى غير تحريم مواقعة أمهم، شكَّلت في جملتها أساس

الديانات التي تتالت». أي: إن الديانات والشرائع كلها كانت وضعيَّة وأنها ليست من عند الله! والعياذ بالله..

قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ مَبْلَغُهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱهْتَدَىٰ﴾ [النجم: ٣٠].

لقد كان الإنسان الأول بدائيّاً وهمجيّاً، ورغم ذلك لم يلمس أمه كما تفعل الحيوانات.. لقد التزم بالفطرة التي فطره الله عليها منذ بداية وجوده على سطح الأرض.. لقد أمرهم أبوهم بوحي من الله أن يزوج الولد أخته من بطن (حمل) آخر، وكانت تلد حواء في كل حمل ولداً وبنتاً، لقد استمر الأمر على هذا النحو بعض الوقت حتى صار عدد الفتيات من أبناء العمومة تكفي لاستمرار البشرية من خلال التزاوج على سُنَّة الله ورسله.

أمَّا الملحد فرويد، وبعد أكثر من (٧٠٠٠) سنة من وجود الإنسان على سطح الأرض، راح يضرب مثلاً للناس بالبقرة تنجب عدداً من الثيران التي لا تلبث أن يشتدّ عودها فتواقع أمها، وقال: إن الإنسان حيوان، وإنه كالبقر وكباقي الحيوانات التي تدبُّ على سطح الأرض قد ظهر إلى الوجود نتيجة النشوء الذاتي ومن ثَمَّ التطور واصطفاء الطبيعة للأفضل وانقراض ما دون ذلك.

● أراد هذا اليهودي الملحد أن يقول: إن الإنسان كباقي الحيوانات لم يكن من خلق الله وإبداعه، وهو ينفي وجود الله والبعث والحساب، وبما أن الأمر كذلك فإن الإنسان حسب رأي فرويد غير مكلَّف بشيء، تماماً كباقي الحيوانات، وبما أنه لا يوجد خالق، فبالتالي ليس هناك بعث ولا حساب، لذا على الإنسان أن يتحرَّر من هذا الوهم، وأن يفعل ما يشاء، ويواقع من شاء من النساء ولو كنَّ من محارمه ليبلغ غاية ما يتمناه من المُتع واللذائذ.

أراد هذا اليهودي الملحد أن يقوم البشر بما تقوم به البقر، واعتبر

الإعراض عن ذلك كبتاً منافياً لمنطق الطبيعة وللطاقة والرغبات الجنسية، واعتبر ذلك قسوة لا يجوز فرضها على الإنسان الذي ارتقى أعلى درجات التطوّر فتميَّز بذلك عن كافة الحيوانات.. فإذا ارتقى الإنسان فوق الحيوان، فلماذا يطلب منه فرويد أن ينهج نهج الحيوانات!.. لم تكن أفكار فرويد فلسفة، بل كانت انزلاقاً وانحداراً عميقاً ينتهي في جاهلية حمقاء مظلمة ونتنة.

استكبر هذا الملحد في نفسه وعتا عتوّاً كبيراً.. وسعى كما سعى غيره من الملحدين المتخبطين إلى إبعاد الناس عن بارئهم، وإلى إغراقهم في مستنقع الفساد والانحلال والإباحية، وأفهمهم بأسلوب ماكر صورة مزيَّفة عن الدين ونشأته، فانقاد له البسطاء من سواد الناس ومَنْ في قلبه مرض وفي نفسه استعداد للفجور والمجون والإلحاد..

قال تعالى: ﴿بَلْ يُرِيدُ ٱلْإِنسَٰنُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُۥ﴾ [القيامة: ٥].

وتمادى هذا الشيطان المارق في فُحشه عندما قال في كتابه (ثلاث مآثر جنسية: Three Contributions to Sexual Theory): إن الإعراض الجنسي عن الأم وتحريمها على الأولاد ليس إلا شذوذاً يتنافى والمنطق.. قاتله الله وقاتل جميع أتباعه من إباحيين وملحدين ووجوديين.

انظر يا أخي كيف دسَّ فرويد أفكاره وسمومه وعداءه لله والدين، وكيف نفى فكرة الخلق وربانية الديانات، وانظر إلى أسلوبه الماكر ودهائه الكبير، وكيف يدخل كالشياطين إلى أعماق النفس البشرية فيعيث فيها فساداً، ويزرع فيها الشكّ والهواجس تجاه جوهر الأمور وتجاه الكبير المتعال وتجاه شرائع السماء.

فإذا قارنت أخي الكريم بين دهاء ومكر المارق فرويد في القرن التاسع عشر مع ما جاء به فلاسفة الإلحاد في القرن العشرين، لوجدتهم تافهين في

مستوى تفكيرهم وفي تنطُّعهم على الله وعلى الإسلام والمسلمين وعلى سيد الخلق أجمعين..

قال تعالى: ﴿وَقَدْ مَكَرَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلِلَّهِ ٱلْمَكْرُ جَمِيعًا ۖ يَعْلَمُ مَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ ۗ وَسَيَعْلَمُ ٱلْكُفَّٰرُ لِمَنْ عُقْبَى ٱلدَّارِ﴾ [الرعد: ٤٢].

رابعاً: الحب والكراهية عند فرويد:

يستغرق فرويد في أوهامه وخيالاته وخيلائه فيعتبر الحب والكراهية الناجمتين عن عقدة أوديب الجنسية سبباً في الازدواج العاطفي (Ambivilence) الذي يؤدي إلى إضفاء هذين الحسَّين أو هاتين العاطفتين على كافة الأحاسيس والعواطف البشرية.

فالولد حسب نظريته يحبّ أباه ويكرهه، ويحب أمه ويكرهها، ولذلك فإنه سيحب أخاه ويكرهه في آنٍ واحد، وكذلك الزوجة ستحب زوجها وتكرهه في الوقت ذاته!.. وما بكاء وصياح الناس على موتاهم إلا تمويه يُخفي فرحتهم بموتهم ولكنهم يُخفونها إرضاءً لمجتمعهم.

يقول فرويد: إن هذا الكره لا إرادي أو لا شعوري، ولكنه مع الكبت الجنسي سيولِّدان حالة قاهرة تجلب للإنسان عُقداً نفسية واضطرابات عصبية تُخلّ بتفكيره وتقلِّل من قدراته وإنجازاته وإنتاجه، وتجعل منه مريضاً بالهستيرية، وفي رأيه فإن البشر جميعاً مصابون بها.

خامساً: أهداف فلسفة فرويد، وعلاقتها بالصهيونية:

من هذا العرض لآراء وفلسفة فرويد نرى أنه يحاول نسف قدسية الدين، ويجحد وجود الله العليّ القدير، وينكر فكرة التنزيل، ويبغي نسف العلاقة والرابطة الإلٰهية بين الله وعباده، لأنها تسمو بالروح البشرية وتجعلها تشرق بنور الإيمان.

وبما أن الإيمان بالله يحول دون سيطرة الصهيونية والماسونية والعولمة والعلمانية على شعوب الأرض واستعبادهم وتسخيرهم لمصالحهم ونهب مقدّراتهم وكنوز أرضهم، لذا سعى هؤلاء من خلال شياطينهم إلى نزع فكرة الله والدين من قلوبهم، ثم دفعوا بهم إلى موارد الانحلال والرذيلة والإباحية والتفسُّخ والفقر والجهل والتخلّف والضياع.

في هذا الشأن قال وزير خارجية بريطانية الأسبق المستر **غلادستون**، وهو من مؤسسي الاستعمار البريطاني الحديث في الشرق العربي الإسلامي: «ما دام هذا القرآن موجوداً في ديار المسلمين؛ فلن تتمكَّن أوروبة من السيطرة على الشرق الأوسط ولا على مسلمي العالم، بل لن تكون بريطانيا ولا أوروبة في مأمن من خطر هذا الدين ومن قوة ومنعة أتباعه ما دام القرآن في قلوبهم».. ومعلوم عزيزي القارئ أن بريطانيا كانت وراء احتلال فلسطين وجلب اليهود من كل حدب وصوب، وهي التي شكلت لهم دولتهم المسخ على حساب أهلها.

أما حكماء صهيون فقد قالوا في بروتوكولهم الخامس: «تقرُّ الأديان السماوية جمعاء أننا شعب الله المختار، وأننا وُهبنا العبقرية والذكاء التي تؤهلنا لقيادة العالم؛ لذا علينا لكي نحقِّق هذه الغاية أن نجعل أيادينا ومخالبنا طويلة وقاتلة، وإلا فإننا لن نتمكَّن من إخضاع كافة شعوب الأرض لسيطرتنا».. فكيف للسفّاح أن يكون عبقريّاً؟!.

لقد كان الذي فعلوه في فلسطين تطبيقاً عمليّاً وهمجيّاً لما قالوه في بروتوكولاتهم ومخططاتهم.

يتمِّم الملحد **تولاند** سرد القصة، ودون أن يدري كشف مخطط الصهيونية: «علينا أن لا نمزِّق ثوب الأفكار والمعتقدات الدينية لدى الناس دفعة واحدة، بل نعمل فيه ثقوباً صغيرة بادئ ذي بدء، ثم نوسِّع هذه الثقوب رويداً رويداً حتى يتمزَّق الثوب كله مع الزمن».

إنه مكر شيطاني مدمِّر، وهمجية يقوم عليها وحوش ضارية منزوعة القلب والضمير، ولكنهم يدَّعون التحضّر والتقدمية، وعليهم رداء التمدُّن والعولمة.

أعود لأنقل لك عزيزي القارئ ما قاله اليهودي الماكر **فرويد** لتلميذه **يونغ** وهو يعلِّمه: «علينا أن نحطِّم كل العقائد الدينية، وأن نجعل من الجنس عقيدة وهدفاً في هذه الحياة»..

ولقد دعا إلى إتيان المحارم من النساء، وشجَّع على ممارسة الشذوذ الجنسي ليُضعف الدين وليزيل عنه قدسيته، فيسهل انتزاعه من القلوب.

كما دعا هذا الفاجر الصبية والبنات أن يلبّوا نداء الجنس أنَّى شاؤوا (أي كالحيوانات)، وأن يحطِّموا الحواجز التي وضعتها الديانات بينهم وبينه، وأن يرفعوا عنهم القيود التي كبَّلتهم ومنعتهم دونه (أي: مكارم الأخلاق وشرائع السماء)!..

وقادهم فرويد إلى الإلحاد والإباحية، ونزع عنهم فطرتهم، ثم ألقى بهم في ظلمات المجون والشذوذ والانحلال.. واعتبر الأخلاق قسوةً واضطهاداً، واعتبر التسامي بها من الشذوذ، كما اعتبر القيود المفروضة على الجنس سبباً في تمكين الكبت من النفوس، وأفهمهم أن الكبت سيورِّث الكثير من الأمراض النفسية والعقلية التي ستؤدي في النهاية إلى أمراض جسدية وعضوية وخيمة.

بهذا الأسلوب الماكر نزع هذا الشيطان المخادع الإيمان من قلوب متَّبعيه، وغلب عليهم جانبهم الحيواني، خاصة بعدما أطلق لهم العنان لارتياد كافة ألوان الفساد والفواحش والموبقات، وأفهمهم بأنه ليس هناك حساب ولا جنة ولا نار.

لقد باركت الصهيونية والماسونية العالميتين ترهات فرويد لأنها جحدت الخالق وأنكرت التنزيل والرسالات.. وأيدوه وسلطوا الأضواء على ترهاته ونظرياته، وزيّنوها للناس حتى انتشرت انتشار النار في الهشيم بين جموع

الشباب المتقلّبي الأفكار وأولئك المغلوبين على أمرهم، تهافتوا عليها تهافت الذباب على القاذورات، لا لشيء سوى لأنها ناسبت أهواءهم ونفوسهم الضعيفة، ولأنهم فهموا خطأً بأن تطبيق هذه الفلسفة سيُضفي عليهم سمة التحضّر والتمدّن.

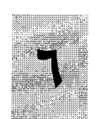
بهذا الأسلوب عمَّ البلاء وحلَّ الفساد وساد الشذوذ والبغاء حتى وقع أمر الله الذي نبَّأنا به سيد الأنام عليه أفضل الصلاة والسلام قبل ما يزيد عن (١٤٠٠) سنة: «**لم تظهر الفاحشة في قوم قط حتى يُعْلِنُوا بها؛ إلا فشا فيهم الطاعون والأوجاع التي لم تكن مضت في أسلافهم الذين مضوا**»[(١)].

أما **الطاعون** فهو في اللغة: الداء الذي لا دواء له، تماماً كالإيدز، الذي نزل بالغرب الملحد بعدما فسق وضل وأنكر وجود الله وانكبَّ على البغاء والشذوذ والفواحش وكافة القاذورات، فقتل منهم الملايين ولا زال!.. ﴿وَمَا كُنَّا مُهْلِكِى ٱلْقُرَىٰٓ إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَٰلِمُونَ﴾ [القصص: ٥٩].

* * *

(١) رواه ابن ماجه والبزَّار والبيهقي.

الفصل



الصهيونية العالمية المجرمة

أولاً: لمحة تاريخية:

منذ فجر التاريخ، وقبل ميلاد المسيح بأكثر من (٤٠٠٠) سنة، قطن شمال شبه الجزيرة العربية وبادية الشام قبائل عربية كانت تتكلم العبرية، التي كانت أيضاً لغة الكنعانيين سكان وأصحاب فلسطين وشعبها الأصيل.

لقد اشتقَّت هذه التسمية لهذه اللغة من كلمة (عبري) التي تعني ابن الصحراء الذي كان دائم التنقّل والترحال والعبور من مكان لآخر بحثاً عن الماء والغذاء والكلأ، ثم اشتقَّ من هذا الاسم كلمة الإبري أو الهيبري في اللغات المحلية كالمسمارية ـ البابلية (الآشورية)، والهيروغريفية ـ الفرعونية (العبيرو).

في هذه الحقبة من الزمن، لم يكن لليهود وجود لا في بلاد العرب ولا في أي مكان آخر، كما لم يكن لسيدنا إبراهيم عليه السلام وجود، لأنه لم يكن قد حلَّ في هذه الدنيا بعد، بينما كانت فلسطين موجودة وشعبها الكنعاني موجوداً، وكان صاحب حضارة وفكر وعلم، وقد برع في الزراعة والتجارة والصناعة بشكل عام، وفي صناعة الحديد بشكل خاص، وكان يتكلم العبرية كما أسلفنا.

وفي الماضي السحيق، وقبل أكثر من (٤٠٠٠) سنة نزحت القبائل العربية الآرامية من شبه جزيرة العرب بحثاً عن سبل أفضل للحياة، فاستقر بهم المقام

عند منابع نهر البليخ، وأنشؤوا حضارة عريقة، وكانت العبرية لغتهم.

نزحت بعض هذه القبائل فيما بعد إلى منطقة (أور) الخصبة في جنوب بابل في العراق.. من هذه القبائل، ومن بابل، وبالتحديد من منطقة حاران (حران) انحدر لاحقاً سيدنا إبراهيم عليه السلام.

وأرسل الله تعالى إبراهيم الخليل عليه السلام نبيّاً إلى قومه الذين عبدوا الأوثان وألَّهوا ملكهم النمروذ بن كنعان بن كوش بن سام بن نوح.

وأورد تعالى في كتابه الكريم الحوار الذي دار بين إبراهيم الخليل عليه السلام والنمروذ المتألِّه فقال: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِـۧمَ فِى رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ ۖ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾ [البقرة: ٢٥٨].

بعد أن حطَّم الخليل عليه السلام أصنام القوم، وبعد معارضته ونكرانه لألوهية النمروذ، أمر هذا الأخير بقذف نبي الله بالمنجنيق في نار عظيمة، فإذا بالنار بأمر الله وإرادته تصبح برداً وسلاماً على إبراهيم عليه السلام.

بعد هذه المعجزة الإلٰهية الخارقة سمح النمروذ لسيدنا إبراهيم عليه السلام أن يغادر بابل وبصحبته زوجه سارة وابن أخيه نبي الله لوط عليهما السلام اللذين كانا المؤمنين الوحيدين من كافة القوم.. لقد هاجروا إلى بلاد الشام وإلى فلسطين التي أضحت فيما بعد مهبط الرسالات: ﴿وَنَجَّيْنَـٰهُ وَلُوطًا إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَـٰرَكْنَا فِيهَا لِلْعَـٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء: ٧١].

استقر لوط عليه السلام في مدينتي عمورة وسدوم على الشاطئ الشمالي لبحر سدوم (الميت) ليردَّ سكانهما عن غيِّهم وضلالهم.. أما إبراهيم عليه السلام فقد مكث في فلسطين بعض الوقت، ثم تابع غربته وعبوره وتجواله من مكان لآخر داعياً إلى دين الله وإلى كلمة التوحيد.. حتى بلغ مصر ورسَّخ فيها عبادة الواحد

الأحد الفرد الصمد، ثم عبر سيناء قافلاً إلى جنوب فلسطين، ومكث بعض الوقت في قارس ثم في شور ثم في جرار[(١)].

ثم حاول شراء مغارة صغيرة من الحثيِّين أصحاب البلاد الأصليين ليسكن ويستقر فيها هو وزوجته المريضة سارة في منطقة حبرون، فأبوا عليه ذلك.. بعد ذلك اشترى منهم قبراً ليدفن فيه سارة التي واتتها المنية مقابل (٤٠٠) شاقل فضة.

بعد ذلك تابع خليل الرحمن عليه السلام ترحاله من مكان إلى آخر في المنطقة الممتدة بين نهري الفرات والنيل، وراح يدعو الناس إلى الدين الحق وإلى عبادة رب الأرباب ونبذ الأوثان والآلهة الأخرى.

ثانياً: مزاعم اليهود في أرض ميعادهم:

لقد جعل اليهود في العصر الحديث من هذه المنطقة أرض ميعادهم، وكأن الله سبحانه قد وهبها إياهم من دون الناس ومن دون أصحابها الأصليين! أو كأن الخليل إبراهيم عليه السلام قد امتلكها وجعلها تركة لهم دون غيرهم من أحفاده! علماً بأنه لم يمتلك من أرض الفلسطينيين سوى قبر زوجته! وإذا فرضنا أنه امتلك أرضاً صغيرة تؤويه وتؤوي أولاده من بعده، كما ادّعى البعض، فهل يعني هذا امتلاكه لفلسطين بأكملها وللفرات والنيل وما بينهما؟!.. ولو فرضنا أنه كان مَلِكاً وقاد جيشاً جراراً تغلَّب فيه على الجبابرة الأشدّاء أصحاب البلاد! فهل اليهود ورثته الوحيدون؟!..

تقول الحقيقة التاريخية: إن المسلمين من أحفاد إبراهيم يشكلون (٩٠٪) من مجموع أحفاده، بينما لا تزيد نسبة اليهود ومعهم النصارى عن (١٠٪) فقط!.. فمن أين جاؤوا بحقهم المزعوم في أرض تمتد من الفرات إلى النيل

(١) سفر التكوين: ٢٠/١.

وتشتمل على سورية والعراق والأردن وفلسطين ولبنان وسيناء ومصر والسعودية؟!.

أمّا الكبير المتعال، فقد خصَّ الأرض بعباده الصالحين، وأكّد على ذلك في الزبور والقرآن؛ حيث قال: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي ٱلزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ ٱلصَّالِحُونَ﴾ [الأنبياء: ١٠٥]؛ فالأرض للمصطفين الأخيار، واليهود هم المغضوب عليهم، والنصارى ضالون. لقد أعطاهم الخبير الحكيم هذين الوصفين لأنهم خرجوا عن طاعته، فصار منهم الكافر والملحد وعبدة الأوثان والطواغيت، ومنهم الظالمون الذين أشركوا مع الله آلهة أخرى، ونسبوا لله البنين وغير ذلك من الافتراءات.

لقد خاطب الله ﷻ خليله ﵇ فقال: ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي ٱلظَّالِمِينَ﴾ [البقرة: ١٢٤].

وبما أنه سبحانه قد غضب عليهم ولعنهم وطردهم من رحمته، فهم ليسوا المعنيين بهذا العهد وهذه الوراثة في الأرض، بل هم مَنْ قال الله فيهم: ﴿لَا يَنَالُ عَهْدِي ٱلظَّالِمِينَ﴾ [البقرة: ١٢٤].

وفي هذا الشأن قال سبحانه: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ [النور: ٥٥].

ثالثاً: يعقوب ﵇ وبنوه:

تغرَّب يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم وعاد إلى بابل مسقط رأس أبيه وجدِّه، وأقام في حران، هناك وُلد له اثنا عشر ابناً ـ الذين أضحوا فيما بعد اثني عشر سبطاً ـ هم: راؤبين، وشمعون، ولاوي، ويهوذا، وباكر، وزبولون، ودان، ونفتالي، وجاد، وأشير، ويوسف، وبنيامين[1].

(١) سفر التكوين: ٣٥/ ٢٣ ـ ٢٦.

وعاش يعقوب معظم أيام حياته خارج فلسطين، ثم عبر وأولاده نهر الفرات والشريعة، واستقر وإيّاهم في منطقة جدباء قريباً من مصر ومتاخمة للحدود الجنوبية لفلسطين.

إثر المكر الذي حاكه أبناء يعقوب ضد أفضلهم وأحبهم إلى أبيهم وأكثرهم جمالاً وخُلُقاً، تمَّ رميه في الجبِّ ليلتقطه بعض السيَّارة.. ثم أحسن هذا إليه واصطحبه معه إلى أرض الكنانة، ثم باعه بثمن بخس لعزيز مصر، الذي أحسن مثواه ورعاه وأحبّه وقرَّبه منه لما وجد فيه من خصال حميدة تنمُّ عن الأصل الطيِّب لهذا الفرع العطر، وبذلك مكَّن الله ليوسف في الأرض وجعله عزيز مصر.

بعد أن جلب يوسف أبويه وإخوته إلى مصر أثناء الحكم الهكسوسي لها (١٨٥٠ ـ ١٧٨٥ق.م)، طاب لهم العيش فيها، فاستقرّ بهم المقام، وتزاوجوا وتكاثروا حتى شكَّلوا اثني عشر سبطاً (فريقاً أو قبيلة)، وكانوا من بين الذين اتّبعوا موسى فيما بعد عندما أرسله ربّ العالمين لإصلاح مَنْ فسد من أحفادهم وخرج عن طاعة الله وعن كلمة التوحيد، كما أرسل الله ﷻ موسى إلى فرعون الذي طغا في الأرض وأعلن ألوهيته بوقاحة واستهتار كبيرين.

أطلق المصريون القدامى على الأسباط اسم الهابيرو، التي كانت تعني بلغتهم الفرعونية: اللصوص، لأنهم كانوا عصابات تمرّست على السطو والنهب والقتل والتخريب والدعارة؛ لذلك اضطهدوهم وذبَّحوا رجالهم وأولادهم، وسبوا نساءهم واستعبدوهنّ وسخَّروهن للخدمة في قصورهم ومعابدهم وأراضيهم.

قبل هجرة سيدنا يعقوب عليه السلام وأبناؤه إلى مصر عام (١٧٨٥ق.م) لم يكن لليهود ذكر ولا وجود لا في مصر ولا في فلسطين ولا في أي بقعة من بقاع الأرض، وهذا ما أكّدته اللوحات الهيروغريفية التي خلَّفها الفراعنة من جملة ما خلفوه من تراث عظيم وحضارة شامخة.. في هذا الشأن قال المؤرِّخ **جواد**

رفعت أتلخان في كتابه (تاريخ العالم): إن العبريين ليسوا سوى رحَّل عاشوا في الصحارى حياة متنقلة أو غير مستقرة، شأنهم في ذلك شأن كافة القبائل التي قطنت ولا تزال تقطن الصحراء في تلك البقعة من الأرض.

لذا فالعبرانيون قوم رحّل جاؤوا من الجزيرة العربية، وكانوا يتكلمون العبرانية، وهم أقلّة ولم يكن لهم وزن ولا أرض خاصة بهم، وكانوا يعبرون نهر الفرات إلى سورية تارة، ونهر الأردن إلى فلسطين تارة أخرى.. كما كانوا يعبرون سيناء إلى مصر، لذا أُطلق عليهم اسم العبرانيين، وعلى لغتهم العبرية. هذا هو الأصل التاريخي ـ الأنثروبولوجي ـ للعبرانيين.. وكما يقول المؤرخون: لم يجتمع اليهود قط تحت راية دولة واحدة، وكانوا دائماً منقسمين إلى اثني عشر سبطاً، وظلوا أسباطاً (قبائلَ) رُحّلاً حتى عهد سليمان عليه السلام.

وبعد انتقال سليمان إلى جوار ربه تشتَّتوا من جديد في أنحاء الأرض، وكانوا أينما حلّوا أذلاء مستضعفين قذرين منفِّرين منبوذين ومقزِّزين بسبب فسوقهم وعدوانهم وانحلالهم الأخلاقي والروحي، وبسبب عدائهم المرير لله ولرسل الله عليهم السلام، ولذلك غضب الله عليهم ولعنهم.

في هذا الشأن قال عنهم المؤرخ **روبرت كوتنر (Robert Kutner)**: لقد نبذهم أمنحوتب الرابع فرعون مصر وسمَّاهم بالحابيري، أي: اللصوص.

وأكَّدت هذه الحقيقة عنهم النقوش الأثرية التي قالت: إن أتراك سومر قد قتلوهم ومحوا أثرهم لفسادهم وتخريبهم، ولممارستهم الدعارة والسلب والنهب والقتل في البلاد.

كما كانوا عصابات امتهنت اللصوصية وسفك الدماء، قطنوا بلاد ما بين النهرين، وكانوا يغزون شرقي الأردن وفلسطين، فيعيشون في الأرض بالفساد، وكانوا يسلبون الأموال ويخرِّبون الحقول والديار، ثم يكرّوا فارين إلى أوكارهم في العراق.

هؤلاء هم أصول الإسرائيليين، وهم كما رأينا وكما أثبت التاريخ خليط من قبائل آشورية وحرانية وأكراد وآراميين ومصريين وفلسطينيين كنعانيين.

عندما عبر الهكسوس من الشرق الآسيوي إلى الشرق الأوسط ومصر واحتلوا هذه الربوع عام (١٤٠٠ق.م)، رافقت هذه العصابات أولئك الغزاة المعتدين وتآمروا ضد أصحاب الأرض وعضُّوا اليد التي امتدت إليهم بالخير والإحسان (وهذه واحدة من سجاياهم القذرة).

واستقرَّت هذه الشراذم العبرانية في مصر أيام الاحتلال الهكسوسي، وكما سبق وأشرت راحوا يعيثون في الأرض بالفساد والتخريب، وينشرون الرذيلة، ومارسوا القتل والنهب، وامتهنوا الدعارة، وجعلوا من الدسائس أسلوباً ومنهجاً لتعاملاتهم مع المصريين أصحاب الديار.

لذا، وبعد أن حرَّر الفرعون أحمس الأول بلاده من الغزاة المحتلين، راح ينتقم من الهيبرو (العبرانيين)، فقتل رجالهم وأبناءهم وسبى نساءهم.

ثم جاء من بعده رمسيس الثاني الذي شنَّ حملة كبيرة عليهم فأذلَّهم وسامهم سوء العذاب وذبح الكثيرين منهم، وجعل الباقين خدماً في القصور والمعابد يلعقون فضلات طعامهم.

رابعاً: بنو إسرائيل مع موسى عليه السلام:

لقد أرسل الله سبحانه وتعالى موسى عليه السلام (١٣٠١ ـ ١٢٣٤ق.م) إلى فرعون وقومه؛ لأنهم طغوا في البلاد وأكثروا فيها الفساد وعبدوا فرعون وألّهوه من دون الله.. كما أرسله إلى العبرانيين لفسقهم وضلالهم وإباحيتهم وإجرامهم، وليخرج الموحِّدين منهم من الذل وليخلِّصهم من ربق العبودية..

قال تعالى: ﴿وَإِذْ نَجَّيْنَٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ وَفِى ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾ [البقرة: ٤٩]..

ولكن ورغم المعجزات الباهرات التي جعلها الله سبحانه وتعالى على يد

موسى عليه السلام، ورغم إنقاذهم من بطش فرعون وجنده، وإغراقهم على مرأى منهم، وبالرغم من تكريمهم بالمنِّ والسلوى التي نزلت عليهم من السماء في صحراء سيناء الجدباء، ورغم رفع الطور فوقهم ليقيهم حرّ الشمس، رغم ذلك كله عصوا الله ورسوله، وعبدوا العجل الذي صنعوه بأيديهم من الحليّ والذهب الذي سرقوه من المصريين ليلة رحيلهم عنها سرّاً.

لقد أمر الله بقتل عَبَدَة العجل، ثم مسخ الذين خرجوا عن طاعته قردة وخنازير، وعندما قالوا لموسى عليه السلام: لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة، فأخذتهم الصاعقة بظلمهم؛ لأجل هذا كله، ولقولهم لنبيِّهم: ﴿فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ﴾ [المائدة: ٢٤]، غضب الله عليهم وضرب عليهم التيه في سيناء القاحلة أربعين سنة، كما ضرب عليهم الذلّ والمسكنة والعذاب إلى يوم القيامة: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَن يَسُومُهُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ﴾ [الأعراف: ١٦٧]، ورغم ذلك لا زالوا يتبجّحون ويدّعون بأنهم شعب الله المختار!.

لم يكن القوم إلا شراذم عبرية قليلة، وفيهم كثير من المصريين الذين فرُّوا من بطش فرعون وجنده وجبروتهم، وكان من بينهم قبائل عربية عديدة أصولهم في شمال الجزيرة العربية ومدين والعراق (بابل) وبادية الشام. هذه كانت تركيبة العبرانيين قبل دخولهم أرض كنعان (فلسطين) عندما انتقل موسى عليه السلام إلى الرفيق الأعلى سنة (١٢٣٤ق.م).

بحكم عبور هؤلاء الشراذم من مكان لآخر، اختلطوا بالشعوب التي امتلكت وقطنت الهلال الخصيب الذي يمتد من الفرات إلى النيل، فامتزجت دماؤهم بعضها بالبعض الآخر؛ لذا لا يمكن للصهيونيين أن يكونوا دماً أو عرقاً نقيّاً، علماً بأنهم في الأساس لم يكونوا قط عرقاً مميزاً أو نقيّاً، ولم ينتموا إلى أرض واحدة أو قبيلة واحدة، وحتى يعقوب نفسه (إسرائيل) كان أخواله سوريين (آشوريين).

عندما بلغت هذه الشراذم العبرانية جنوب فلسطين، وجدوا فيها قوماً جبارين، أي: أشدَّاء وأولي بأس شديد، فخافوا وتراجعوا دون أن تطأ قدمهم فلسطين، ولا حتى قدم نبيِّهم يوشع بن نون الذي تولَّى أمرهم بعد موسى وهارون عليهما السلام.. لقد استقروا في قرية صغيرة تقع إلى الجنوب من غزة تدعى رفح، فقتلوا أهلها وسبوا نساءها ونهبوا أموالها!.. ولكن حاخامات المكر والرذيلة ادّعوا ولا زال أحفادهم يدّعون بأن يوشع بن نون قاد من معه إلى أعماق فلسطين واحتل مدنها الواحدة تلو الأخرى، وأنهم سفكوا الدماء وقتلوا الشيوخ وذبحوا النساء والأطفال ذبح الخراف، وبذلك أزاحوا السكان الأصليين عن ديارهم، ثم حكموا بالنار والحديد، حتى استولوا على فلسطين.

إنه تدليس تاريخي وافتراء مكشوف رموا من ورائه إفهام أجيالهم القادمة الأسلوب الذي يجب أن ينتهجوه ليظفروا بالقدس وبأرض الميعاد التي يزعمونها.

إنها ذريعة قومية عنصرية وصهيونية، ولكنها واهية وتكشف معتقداتهم اللاسماوية لتبرير وحشيتهم في دير ياسين وفي صبرا وشاتيلا وفي كافة أنحاء فلسطين أثناء انتفاضة القدس عام (٢٠٠٠م) والانتفاضة التي سبقتها عام (١٩٨٧م).

لقد اكتشف علماء الآثار عام (١٨٨٧م) (٤٠٠) لوحة فخارية في تل العمارنة عاصمة الفرعون أمنوفيس الرابع (أخناتون) الذي عاش في الفترة ما بين (١٣٧٥ ـ ١٣٥٨ق.م)، ذُكر فيها قصص الخلافات بين أمراء سورية وفلسطين، اللتين كانتا تحت الحكم الفرعوني، ورسائل الفرعون لهم.. لم يأتِ في أيٍّ من هذه الرسائل أي ذكر ـ لا من قريب ولا من بعيد ـ لليهود، ولا أيّ معلومة عنهم لتؤكِّد وجودهم في تلك الحقبة من الزمن.

لقد كانت فلسطين آنذاك إمارات صغيرة تابعة لمصر، فلو كان لليهود

إمارة أو وجود آنذاك لورد ذكرهم في واحدة من هذه الوثائق على أقلِّ تقدير! . .

خامساً: فلسطين ليست لليهود:

من هذا العرض السريع نجد أن العبرانيين كانوا قبائل رحَّل من أصول لا تنتمي لفلسطين أبداً، وأن أصحاب فلسطين هم الكنعانيون والفينيقيون الذين عمروها منذ أكثر من (٥٠٠٠) سنة، وهم من نسل كنعان بن نوح، وليسوا من ذرية سام التي ظهر منها الفرع اليهودي (كما يدَّعي اليهود أنفسهم).

أمّا يهود اليوم، الذين يطالبون بحقهم في مشاركة الفلسطينيين في ديارهم وأراضيهم؛ فإنهم لم يتواجدوا في فلسطين سوى (٧٣) سنة أيام داود وسليمان عليهما السلام . . لقد دخلوها من خلال غزو غاشم، ومكثوا فيها جنباً إلى جنب مع أصحابها الشرعيين، لأن داود وسليمان عليهما السلام لم يظلماهم ولم يغتصبا حقوقهم، ولم يخرجاهم من وطنهم، ولم يذبحاهم ولم يسلبا أموالهم وديارهم وحقولهم وزيتونهم، ولم يقتلعا أشجارهم.

وبما أن حكم سليمان وداود لم يدم أكثر من (٧٣) سنة، فالمملكة التي يتشدَّق بها يهود اليوم مملكة عابرة غابرة، سرعان ما انهارت وطواها الزمان والنسيان، وتشتَّت سكانها الدخلاء في أصقاع الأرض. . هذا الوجود العابر لا يعلو على ملكية الأرض (٥٠٠٠) سنة أو يزيد.

فهل يعقل أن يأتونا بعد (٣٠٠٠) سنة من الشتات ومعهم أسلحة الدمار الشامل ومئات القنابل الذرية، محمّلين على متن الطائرات والدبابات والمصفحات الإنكليزية فيسلبوا الديار المقدَّسة من شعبها الأعزل المسالم، وحجتهم وذريعتهم أنهم كانوا قد تواجدوا فيها (٧٣) سنة قبل أكثر من (٣٠٠٠) سنة؟! . . إنهم حقّاً حثالة الأرض وسخرية القدر ومصيبة العالم أجمع وسبب كوارثه كافة.

هل يقبل عقل حصيف بهكذا تهريف؟ بينما أصحاب الأرض على أرضهم

منذ فجر التاريخ! فإذا كانت الـ (٧٣) سنة مبرراً لهم لوضع أيديهم وبسط سلطانهم على فلسطين، وكسب دعم الأمريكيين والإنكليز، فالأجدر بنا نحن العرب أن نبسط أيدينا على إسبانية ومعظم أوروبة لأننا مكثنا فيهما ما يزيد عن (٧٨٠) سنة، وشيَّدنا فيهما الكثير من القصور والمساجد، وخلَّفنا حضارة عريقة فتنت عقول العلماء والمفكرين وأخذت بألبابهم، كما يصبح من حقِّ إنكلترا استرجاع مستعمراتها بما فيها أمريكا!.

لقد بنى أبونا آدم عليه السلام بيت الله الحرام بأمر من الله سبحانه، ثم شيَّد بعد ذلك بأربعين سنة بيت المقدس (وهذا ما ورد عن ابن حجر العسقلاني منقولاً عن النبي الكريم عليه أفضل الصلاة والتسليم).

وكما أخبرنا العليم الخبير في قرآنه المجيد؛ فقد أسكن الخليل إبراهيم عليه السلام زوجه هاجر وابنه الرضيع إسماعيل عند البيت الحرام: ﴿رَّبَّنَآ إِنِّيٓ أَسۡكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيۡرِ ذِي زَرۡعٍ عِندَ بَيۡتِكَ ٱلۡمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ [إبراهيم: ٣٧]، وهذا يعني أن البيت الحرام وبيت المقدس كانا موجودين قبل وجود إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب (إسرائيل) عليهم السلام، ولم يكن سيدنا إبراهيم أول من بنى البيت الحرام، ولكنه أعاد تجديد بنائه بمساعدة ابنه إسماعيل عندما شبّ واشتد عضده.

من هذا العرض نرى أن الحرمين الشريفين موجودان منذ القدم، ولو تمَّ بناء معبد يهودي على أرض بيت المقدس فإنه سيكون على أنقاضه، ولكن بيت المقدس قائم منذ فجر التاريخ، وقد أعاد تجديده العرب الفلسطينيون أيام حاكمهم الملك الصالح ملكي صادق (Malchi Sadeck) قبل (١٠٠٠) سنة من استيلاء داود على القدس، أي: إن القدس وحرمها لم يكونا أبداً ملكاً لا له ولا لشعبه (إن كان له شعب)، وهو لم يبنِ في القدس حيّاً واحداً ولا مستعمرة ولا مستوطنة، وكان اسمها آنذاك أورا سالم (أي: مدينة السلام حسب لغة الكنعانيين).

لقد جاء في (سفر حزقيال: ١٦/ ٣): «هكذا قال الرب للقدس: إن ميلادك ومهدك في أرض كنعان، وكان أبوك آموريّاً وأمّك حثيَّة» أي: إنها للفلسطينيين وإنها لم تكن في يوم من الأيام لا للعبرانيين ولا لليهود الحاليين.

لقد تأكَّد هذا الأمر وثبتت ملكية الفلسطينيين للقدس ولحرمها الشريف عندما أكَّد علماء الآثار اليهود عام (٢٠٠١م) عدم وجود آثار وأنقاض لمعبدهم المزعوم جوبتير تحت أرض الحرم القدسي الشريف.

هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى لم تكن اليهودية موجودة أيام إبراهيم الخليل ولا أيام إسماعيل ولا أيام إسحاق ولا أيام يعقوب عليهم السلام، كما لم يكن أيٌّ من هؤلاء الأنبياء موجوداً أيام الدولة الفلسطينية الأولى..

قال تعالى: ﴿أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ كَانُوا هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ قُلْ أَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللَّهُ﴾ [البقرة: ١٤٠].

تؤكد هذه الآية أن العبرانيين قوم غير اليهود، وأن اليهود غير الأسباط.. لقد كانوا جماعات من شذَّاذ الآفاق، ومن مجرمين سفاحين وآخرين منافقين مارقين، ومنهم العبيد الذين هربوا من مصر ومن إذلال فرعون والمصريين لهم.. لقد أباد الله سبحانه وتعالى الكثيرين منهم أثناء التيه في سيناء، حتى أصبحوا قلَّة مستضعفين أيام النبي يوشع بن نون الذي اتَّخذ لهم رفح موطناً.. أما رفح فهي قرية صغيرة نائية على حدود فلسطين الجنوبية مع مصر.

سادساً: بنو إسرائيل بعد موسى عليه السلام:

بعد وفاة يوشع عام (١١٥٧ق.م) حكم شراذمهم لمدة (١٤٠) سنة رجال دين فاسدون عبدوا الأوثان وأتوا الفواحش وكل ألوان الشذوذ في معابدهم وفي كل مكان، واستخدموا بنات الهوى في المعابد ليمارسوا الجنس مع الكهنة ومع مَنْ شاء من الناس، كما أباحوا الغش والخداع والتدليس، وجعلوا نقض العهود من سماتهم ومن تعاليم دينهم، فشوَّهوا صورة الدين أيَّما تشويه.

لقد أرادوا لهم ملكاً كما للفلسطينيين، فعيَّنوا شاول (صموئيل الأول)، الـذي أعدَّ العدَّة وترأَّس جيشاً وراح يقاتل به الفلسطينيين في بلادهم، فهُزم هزيمة نكراء.. ثم تتالت الغزوات التي انتهت باندحارهم وخيبة أملهم..

سابعاً: عهد داود وسليمان عليهما السلام وما بعده:

استمر بنو إسرائيل على ذلك حتى سنة (١٠٠٠ق.م)، حيث تولّى داود المُلك، فتمكَّن بما أوتي من حكمة وعلم وقوة من دخول بيت المقدس والقدس الشريفة، ولكنه لم يطرد أهلها وأصحابها الشرعيين منها، بل عاش معهم بسلام وأمان حتى وافته المنية، وخلفه ابنه سليمان عليه السلام الذي وطَّد دعائم السلام.

وبما أن مملكة داود وسليمان عليهما السلام لم تمتد لأكثر من (٧٣) سنة، وبما أن هذه الفترة قصيرة وقصيرة جدّاً بالمقارنة بعمر الدهر وعمر فلسطين والقدس، فهي لا تكفي لتشييد حضارة، ولا تؤهلهم لامتلاك البلاد ونزعها من أصحابها.

وما إن التحق سليمان بالرفيق الأعلى حتى تشتَّتَتْ دويلتهم وتناحر أناسها فيما بينهم وفيما بينهم وبين الفلسطينيين، فانقسمت دويلتهم إلى دويلتين صغيرتين: الأولى في الشمال برئاسة يربعام بن نباط، وقد أسموها إسرائيل وعاصمتها شكيم (نابلس)، والثانية في الجنوب بزعامة رحبعام بن سليمان، وهو من سبط يهوذا وبنيامين، وكانت تقتصر على القدس وحسب.

● بعد بضعة أعوام أغار فرعون مصر (شينشق) على يهود الدويلتين فمحاهنَّ عن وجه الأرض، وكانوا كلما حاولوا التكتّل والظهور جاءهم بأس السوريين والفلسطينيين فيسحقونهم وينكِّلون بهم فينقلبون خاسئين مدحورين.. لذلك بقي اليهود شراذم ضعفاء مذلولين، فاتخذوا من اللصوصية والشذوذ والدعارة مهناً لهم، كما راحوا يتطاولون على الله، وناهضوا الرسل الكرام وكذَّبوهم وقتلوا كثيرين منهم، لذا حذَّرهم النبي أرمياء قائلاً: «يا بني إسرائيل!

إن لم تعودوا عمّا أنتم فيه فسينتقم الله منكم، وسيرسل عليكم قوماً أولي بأس شديد يجوسون دياركم ويعيثون فيها فتكاً وقتلاً وتنكيلاً وتخريباً، وسيرغمون أنوفكم حتى تصبحوا حرماً مستباحاً وكلأً مباحاً، وستتشتّتون في الأرض بين قتيل وأسير».

لقد حلَّ بهم أمر الله عندما هاجمهم سرجون الثاني ملك آشور عام (٧٢١ق.م) فقتل الكثيرين منهم، وسبى نساءهم وأطفالهم، وفرَّ الناجون منهم كالحمر المستنفرة في كل اتجاه حتى تشتّتوا في البلاد ولم يبق منهم في القدس إلا النزر اليسير.

● وفي سنة (٥٨٦ق.م) شنَّ نبوخذ نصَّر ملك بابل هجوماً عنيفاً على من تبقّى منهم في القدس وباقي المدن المجاورة. فمحاهم عن بكرة أبيهم، وقتل الغالبية العظمى منهم، وأسر خلقاً كثيراً منهم وجعلهم عبيداً في قصوره وقصور أعوانه..

قال تعالى: ﴿وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ وَٱلْمَسْكَنَةُ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ ۗ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ۗ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ﴾ [البقرة: ٦١].

وفيهم قال الكبير المتعال: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَن يَسُومُهُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ ۗ﴾ [الأعراف: ١٦٧].

● بعد وفاة نبوخذ نصَّر أعاد ملك بابل الجديد قورش الأسرى والعبيد اليهود إلى فلسطين، ولكنهم ورغم كونهم قلّة ضعفاء؛ فإنهم لم يكفّوا عن مناهضة أنبياء الله، فقتلوا العديد منهم، كان آخرهم زكريا وابنه يحيى عليهما السلام، ثم تآمروا على قتل عيسى عليه السلام، ولكن الله حماه ورفعه إليه.

● لقد تمرَّدوا على الحاكم الروماني في فلسطين (هارديان)، الذي أرسل إليهم حملة كبيرة بقيادة قائد الجيش الروماني (تيتوس رفوس)، الذي هدم

معبدهم (معبد سليمان) وبنى على أطلاله معبداً لآلهة الرومان جوبيتير. . لقد أعمل الروم سيوفهم في رقاب اليهود، فلم ينجُ منهم إلا ذو حظ عظيم.

والذي يجدر ذكره في هذا المقام أن نبوخذ نصَّر قد سوّى معبدهم بالأرض، ولم يدع فيه حجراً على حجر. . وبعد عودتهم من الأسر والعبودية بنوا معبداً صغيراً على أطلال معبدهم السابق، ثم جاء الروم فهدّموا هذا المعبد المتواضع، وشيّدوا مكانه معبداً رومانيّاً (جوبيتير).

هذه حقائق تاريخية مؤكدة، ولكن الصهاينة الماكرين يدّعون بأن معبدهم موجود تحت المسجد الأقصى الشريف، ليكون هذا مبرّراً واهياً لاعتداءاتهم على مقدساتنا ومحاولة حرقها وهدمها. . قاتلهم الله وأرانا فيهم عجائب قدرته.

● وعندما غزا بطليموس فلسطين عاد معه إلى مصر البقية المتبقية من شراذم اليهود، فعاشوا في الإسكندرية، حيث طاب لهم المقام. وامتزجوا وتزاوجوا مع اليونانيين فيها.

إثر الغزو البابلي الكبير لفلسطين بقيادة نبوخذ نصر فرّ اليهود أشلاء مذعورين في كل اتجاه، واستقرّوا قلّة ضعفاء متسولين لا حول لهم ولا قوة في كل من دمشق وبيروت والقاهرة والإسكندرية وقرطبة ومراكش وبلاد الأندلس وروسيا وشمال إفريقية والمغرب واليمن والمدينة المنورة وخيبر وبعضهم من هاجر لاحقاً إلى أوروبة والصين، وبذلك انتشر الفساد في الأرض.

ثامناً: رحلة الشتات:

في الشتات اختلطوا عبر آلاف السنين بشعوب الأرض، وامتزج عرقهم بأعراق الآخرين، وجرت دماؤهم النجسة في أجسام غير اليهود، كما جرت دماء هؤلاء في عروقهم القذرة، فلم يعد بإمكانهم أن يدّعوا بأنهم عرق سامي نقي، وأنهم شعب الله المختار، علماً بأنهم لم يكونوا في يوم من الأيام عرقاً ساميّاً ولا نقيّاً، بل كانوا كما رأينا من العرض السريع لتاريخهم شراذم من

قبائل جاءت من شمال الجزيرة العربية، ومن العراق وسورية ولبنان ومصر، ومن فلسطين، كما لم يكونوا لا من نسل إبراهيم ولا من أحفاد يعقوب عليه السلام.

وفي الشتات أضاعوا الصلاة واتَّبعوا الشهوات، وأخذوا بعَرَض الحياة الدنيا، وخرجوا عن طاعة الله وأنكروا وجوده، وحرَّفوا كتبه واستبدلوها بالتلمود الذي وافق أفكارهم وشهواتهم ومجونهم ومكرهم وادِّعاءاتهم على الله، كما ناسب تفسّخهم وانحلالهم وتهتُّكهم وإلحادهم.. لقد ألقوا كتاب الله وراء ظهورهم، وجعلوا التلمود كتاب اليهودية الوحيد، وأسبغوا عليه حلَّة زائفة قالوا: إنها مقدَّسة، والقداسة منه براء.

لقد حلَّلوا في تلمودهم سفك الدماء وهتك الأعراض وإتيان الموبقات والمحرَّمات من النساء، كما حلَّلوا الشذوذ الجنسي ونقض العهود، وصار الكذب والتدليس من عاداتهم وأسلوب تعاملهم، كما أضحت السرقة والرشوة والبغاء من صفاتهم وسمة من سماتهم التي كانوا ولا زالوا يعتزّون بها ويتفاخرون..

كما تبنَّوا الميكياڤيليَّة (مبدأ الغاية تبرِّر الوسيلة) ومارسوه في جميع معاملاتهم، وكانوا ولا زالوا يعتمدون الرشوة والبغاء والقتل لتحقيق مآربهم وغاياتهم التي قد تكون تافهة ولا تستحق أو لا تستدعي الجرائم التي ارتكبت من أجل تحقيقها، والذي فعلوه في فلسطين تجسيد حيٌّ لكل ذلك.

بسبب هذا كله كرهتهم شعوب الأرض وتحاشتهم وتقزَّزت منهم، ولنفس السبب تأنَّف الأوروبيون عن التعامل معهم، وترفَّعوا عن مخالطتهم وحتى عن مصافحتهم، فإذا أراد إنسان ما أن يأخذ من يهودي شيئاً أو ثمن بضاعة باعه إيَّاها، كان يسأله أن يضع النقود أو الأشياء على طاولة أو في مكان معيَّن، ثم يأخذها دون أن تلمس يده يد ذلك اليهودي[١].

---

(١) من كتاب: الزنبقة القرمزية، للبارونة الألمانية أورتسي.

لقد ضرب الله ﷻ عليهم الذلّة والمسكنة إلى يوم الدين، لذا عاملهم الغربيون وكأنهم كلاب مسعورة أو خنازير منتنة أو حيوانات جربانة، وإذا أراد الغربي أن يشتم أيَّ إنسان كان ولا زال يقول له: (خنزير يهودي أو يهودي قذر).. وبما أنهم كانوا مدعاة قرف واشمئزاز الناس، لذا حال الغربيون دون دخولهم إلى مرافقهم العامة؛ فكتبوا على أبوابها: «ممنوع دخول اليهود والكلاب».

تاسعاً: ترهات وشطحات في كتبهم المحرَّفة:

تطاول اليهود على الله عندما قالوا في سفر التكوين المحرَّف: «إنَّ أباهم الأول يعقوب قد صارع الله ليلة كاملة، ولمَّا طلع الفجر قال الرب ليعقوب: أطلقني. فقال يعقوب: لا أطلقك حتى تباركني، فباركه الرب، وسأله: ما اسمك؟ فأجاب: يعقوب. فقال له الرب: لن يكون اسمك بعد اليوم يعقوب، بل إسرائيل، لأنك صارعت الله وقدرت عليه»(١).. هذا هو مفهومهم عن الله ﷻ.

تعني **إسرائيل** في لغتهم العبرية: مُصارع الرب، أو الذي صارع الله!.. قال له الله بعد ذلك: «أنا الله القدير أقول بأن أُثمِّر وأُكَثِّر أمة وجماعة أمم ستكون منك، وسيخرج الملوك من صلبك، وسأعطيك الأرض التي أعطيتها لإبراهيم وإسحاق، وسأعطيها لنسلك من بعدك، ثم تركه الله وصعد إلى السماء»(٢). وفي المكان المزعوم الذي تَمَّ فيه اللقاء أو الصراع المزعوم بين الله وعبده يعقوب نصب يعقوب عموداً وسماه بيت إيل.

إنه تهريف يهودي، يعقوب ﷺ بريء منه براءة الذئب من دم ابنه يوسف.

انظر عزيزي القارئ إلى الترهات والشطحات التي أدخلوها في كتابهم أو

---

(١) سفر التكوين: ٣٢/ ١٢.

(٢) سفر التكوين: ٣٥/ ٩ ـ ١٥.

كتبهم الموضوعة، وتأمّل تصوراتهم عن الله وتحدِّيهم له، يريدون أن يصوِّروا للناس أنهم دهاة وأولو بأس شديد، وأنهم تحايلوا حتى على الله وأنزلوه من عليائه ـ والعياذ بالله ـ وصارعوه وقدروا عليه! . . كما أرادوا من خلال كتاباتهم أن يفهموا العالم ومتَّبعي دينهم أن الله قد أعطاهم العهد بتمليكهم البلاد التي ملَّكها لجدهم إبراهيم ﷺ، والتي تمتد من الفرات إلى النيل، علماً بأنه لم يمتلك سوى قبر لزوجته سارة اشتراه من أصحاب البلاد بـ (٤٠٠) شاقل فضة.

وبما أنهم يعتزون ويتفاخرون بنسبهم إلى إسرائيل (يعقوب)، لذا أطلقوا هذا الاسم على دولتهم المسخ.

لقد ضربوا أمثلة كثيرة في كتبهم الموضوعة عن الإباحية والضلال والفساد، والانحلال الأخلاقي والتفسخ الجنسي والشذوذ، والخداع التي اتَّهموا بها رسل الله الكرام ليبرِّروا لأنفسهم ما يقترفونه من موبقات ومحرّمات وسفك للدماء الزكية الطاهرة، ونهب للأموال والبيوت والأراضي، وهتك للأعراض ونشر للإباحية والدعارة والإلحاد.

من الأمثلة الكثيرة التي وردت في كتبهم الموضوعة اخترت ما يلي:

١ ـ على اليهودي أن يفعل ما يشاء ليحقِّق غايته، لأن الغاية تبرِّر الوسيلة، وذلك اقتداء بالنبي يعقوب الذي سرق صهره وخاله الآرامي ليحصل على المال، كما سرق منه ابنتيه وتزوجهن.

بعد ذلك دسّوا مبدأ (الغاية تبرِّر الوسيلة) في فلسفاتهم العصرية كالمادية والجدلية والشيوعية والماسونية والعلمانية وغيرها.

من هذا النص يكشف اليهود تناقضهم، ويؤكدون دون أن يدروا أن أصلهم ليس سامياً نقيّاً كما يدّعون! فها هو أبوهم الأول يعقوب (إسرائيل) يجري فيه دم آرامي (سوري) قديم، لأن أمه آرامية!.

٢ ـ النفاق والكذب مباحان في اليهودية طالما أنهما سيجلبان لليهودي

كسباً مادياً، ولو كان هذا الكسب غير مشروع أو أدّى الحصول عليه إلى الظلم والنفاق وإزهاق أرواح بريئة؛ فالغاية تبرر الوسيلة مهما كانت الغاية حقيرة والوسيلة أحقر.

٣ ـ إيهام الناس وخداعهم، ونقض العهود والمواثيق معهم، وهم يستشهدون على ذلك بنبيهم يعقوب الذي خدع لابان وسلب منه أغنامه ـ قاتلهم الله ـ.

لقد لمسنا نحن العرب هذه الصفات الخسيسة فيهم من خلال نقضهم للمعاهدات والمواثيق الدولية التي جرت بيننا وبينهم تحت رعاية أمريكا والأمم المتحدة.

٤ ـ لقد أباحوا الزنى واعتبروه سجيّة عبرية، وقالوا بأن دينة بنت يعقوب قد ذهبت ومن نفسها إلى شكيم بن حمور، ومكّنته من نفسها، فلم يعترض يعقوب، بل باركها وبارك الزاني فيها!.. يريدون بذلك أن يحلِّلوا الفاحشة وأن يزيِّنوها للناس، وأن ينشروها في الأرض ليعمّ الفساد وتضيع الأنساب، وليبتعد الناس عن الديانات وليتحرروا من خشية الله.

٥ ـ ومما قالوه: إن داود ﷺ غدر بملك فلسطين أخيش الذي أكرم وفادته وأحسن إليه، وقالوا: إن الغدر والخيانة كانت سجيته كما هي سجية اليهود كافة.. كما قالوا: إن داود كان سفاحاً وطاغية، وقد سفك دماء الفلسطينيين لكي يشيِّد دويلته، واعتبروا أسلوبه دستوراً يُقتدى به لاحتلال فلسطين ونهب مقدَّراتها من أصحابها الشرعيين.

كما قالوا: إن داود غدر بقائد جيشه أوريا فأبعده عن الديار ثم قتله، فقط لتخلو له زوجته بتشيع التي زنى بها فأنجبت سليمان الذي صار ملكاً ونبيّاً[١].

(١) سفر الملوك الأول: ٨/ ١٣.

لقد تناسوا أن أنبياء الله بررة ومعصومون، وأن الله ما اختارهم للنبوة إلا لنقاء سريرتهم وصفاء قلوبهم وسموِّ روحهم وتعلّقهم ببارئهم.

٦ ـ لقد جعلوا الزنى والشذوذ الجنسي والدعارة من صميم عقيدتهم وتراثهم، وزينوها لأجيالهم القادمة بأسلوب رخيص، واعتبروا الكسب الذي سيجنونه من البغاء مشروعاً!.. كما شجَّعوا على تدريب بنات الهوى على الجاسوسية، ودسّوهم في أسرَّة رجال السياسة ومَنْ بيدهم مقاليد الأمور في البلاد وفي العالم أجمع، ليخضعوا لسلطانهم وليكونوا على الدوام في قبضتهم وطوع أمرهم ورغباتهم.. فالبغاء لديهم وسيلة يمتطون من خلالها ظهور الأمميين.

لذلك أسسوا في الكيان الصهيوني منظّمات تصدِّر بنات الهوى إلى دول العالم بأسره، كما أعدّوا أماكن للهو والدعارة في دولتهم ليستقبلوا فيها كبار المسؤولين في دول الأرض ليكسبوا ودّهم ويظفروا بدعمهم ونصرتهم.

٧ ـ ولكي يزيِّنوا الأمر للفاتنات، جعل حاخاماتهم من بنات الهوى رموزاً وطنية وقديسات، وضربوا على ذلك مثلاً «راحاب» التي ادَّعوا أن نبيَّهم يوشع قد تزوجها لأنها آوت جواسيسه، وساعدت من خلال الجنس على دخول قومه واستقرارهم في قرية صغيرة جنوبي غزة عند حافة سيناء (رفح).. لقد أرسلوا العاهرة الفاتنة أستير إلى ملك الفرس لتغويه بجسدها وفنِّها. فوقع في حبائلها ومكرها، فعدل عن قتل الأسرى من أبناء جلدتها بعدما نال من جسدها ألوان المتع واللذائذ والمسرات ـ قاتلهم الله ـ.

لذا قدّسها الحاخامات، واعتبروا عملها عملاً نبيلاً ووطنيّاً، فألَّفوا سفراً خاصّاً بها اسمه (سفر أستير)، والسفر كالسورة في القرآن الكريم مع الأخذ بعين الاعتبار الفرق الكبير بين كتابنا السماوي الجليل وكتبهم الموضوعة المفتراة.

وكان هذا السفر رمزاً للتهتّك والشذوذ والإباحية والوجودية والفساد.

كما أدخلوا هذا الفكر الشاذ في فلسفاتهم العصرية ليجذبوا إليهم كل من في قلبه مرض، وكل من لديه استعداد وميل للفساد والرذيلة والعدوان.

وجعلوها رمزاً يُحتذى به، وجعلوا يوم (١٤ مارس/ آذار) من كل عام (وهو اليوم الذي أغوت فيه ملك الفرس وجعلته ينهل ما شاء من رحيقها) عيداً يحتفلون به ويقدِّسونه!.. قاتلهم الله وشتّت شملهم.

وتهافت اليهود وحاخاماتهم على الزنى تهافت الذباب على القاذورات، وقد شجعهم على ذلك ما جاء في كتبهم المحرَّفة: «على اليهودي أن يستسلم للجنس والشهوات إن فشل في مقاومة رغبات نفسه».

أما في الشريعة السماوية الحقة فقد جاء: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا﴾ [الإسراء: ٣٢].

﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ﴾ [الأنعام: ١٥١]... وغيرها كثير من آيات الذكر الحكيم.

لقد كان حاخاماتهم أول من نادى بالتحلّل الأخلاقي والديني، وقد سبقوا الفيلسوف اليهودي فرويد الذي دعا إلى الإباحية وإلى الاتصال بالمحرمات والأخوات والأمهات!.. قال هذا المارق اللعين: إن الطاقة الجنسية هي الباعث الرئيس لكافة طاقات الجسم الأخرى.. وتجاهل الدين والأخلاق والوازع الوجداني والضمير، ودور النفس وما فُطرت عليه من فضائل وبواعث تحثه على العمل، وتدفعه إلى تحسين ظروفه ومعاشه.

٨ ـ ولكي يدفعوا بناتهم إلى المواخير، ولكي يقنعوهنّ بامتهان الدعارة أفهموهنَّ بأن أمهنّ الأولى حواء عشقت من ذكور الجن وزنت وأنجبت منهم!.. كما افتروا على آدم الكذب فقالوا: إنه قد عشق هو الآخر من بنات الجن وأنجب منهن، ومما قالوه بأن أولاد الدنيا كلهم أولاد زنى، وأنه لا

وجود للفضيلة والشرف على وجه الأرض، يريدون بذلك أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا، وزينوها للناس وأظهروها كأنها ممارسة عادية، كمن يأكل عندما يجوع، أو يشرب كلّما أحسّ بالعطش، وأنها لا تتعارض مع شرائع السماء!.. ولتسهيل الأمر على سواد الناس وعامتهم وخاصتهم قالوا: إن لوطاً عليه السلام زنى بابنتيه وأنجب منهن؛ جاء في سفر التكوين: «وصعد لوط من صوغر وسكن الجبل مع ابنتيه في مغارة، فقالت البكر للصغيرة: قد شاخ أبونا وليس في الأرض رجل يدخل علينا، هلمّ نسقيه خمراً ونضاجعه فنحيي من أبينا نسلاً.. فحبلت ابنتا لوط من أبيهما»[1].

إنه ليس سفراً للتكوين، بل ـ كما ترون ـ هو سفر للزنى والدعارة، والتخريف والتهريف، والتدليس والافتراء على الله ورسله.. لقد افتروا على لوط وأهله ما افتروه؛ وهم الذين قالوا: ﴿أَخْرِجُوٓا۟ ءَالَ لُوطٍ مِّن قَرْيَتِكُمْ ۖ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ﴾ [النمل: ٥٦].

٩ ـ أما يهوذا بن يعقوب فقد اتّهموه بالزنى بزوجة أبيه تامار، وأنجب منها فارص وزارخ، ومن نسل فارص جاء داود، ومن نسل داود جاء عيسى ابن مريم من يوسف النجار حسب ادّعاءات اليهود الماجنين.

١٠ ـ كما قالوا: إن الرب أمر نبيّهم هوشع أن يتزوج من عاهرة: «قال الرب لهوشع: اذهب وخذ لنفسك امرأة زنى؛ وأنجب منها أولاد زنى؛ لأن الأرض قد زنت وتركت تعاليم الرب، فذهب هوشع وأخذ عاهرة فحبلت وولدت له بنتاً»[2].

كما رخَّص حاخامات اليهود فاحشة الزنى، وقالوا: إن الله قد بارك يعقوب وأحبه رغم كل الفواحش التي كان يأتيها.. واعتبروا ذلك منه سبحانه

(١) سفر التكوين: ١٩/ ٣٠ ـ ٣٨.
(٢) سفر هوشع: ١/ ٢ ـ ٥.

تبريكاً ورخصة من عنده، فدعوا اليهود ليحذوا حذو رسلهم وأمهاتهم اللاتي أنجبنهم وأنجبن أنبياءهم!.. لقد تمادوا في غيِّهم عندما اعتبروا الفاحشة تقرُّباً من الله، الذي حذَّر من اقترافها في آيات عدة؛ فقال: ﴿وَلَا تَقْرَبُواْ ٱلزِّنَىٰٓ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا﴾ [الإسراء: ٣٢].

١١ ـ كما انتشر الإلحاد وعبادة الأوثان بين اليهود بعد موت سليمان انتشار النار في الهشيم، كما تمادى رجال الدين في استهتارهم، فراحوا يمارسون الفاحشة والشذوذ في معابدهم، وخصَّصوا عدداً من بنات الهوى لكل معبد ليواقعن من شاء متى شاء، ليوحوا لليهود بأن الزنى والتفسّخ هو من عقيدتهم وبأمر ربهم!.. كما ألحقوا بمعابدهم أماكن خاصة بالمأبونين (الشاذين جنسيّاً من الرجال) ليمارس فيهم عمل قوم لوط من شاء من الكهنة المارقين ومن الناس أجمعين.

بهذا الأسلوب أضحت معابدهم مواخيراً قذرة وبؤراً للفساد والرذائل.

١٢ ـ ورد في الصفحة العاشرة من كتاب (هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى) للإمام ابن قيِّم الجوزية:

«إذا كان اسم يهود هو الاسم الذي غلب عليهم، فهو اسم معادل للعار لما اتَّصف به اليهود من صفات دنيئة على مدى تاريخهم، لذا فهم المغضوب عليهم.. وهم الأمم الغضبيّة، والأمة الغضبية هم اليهود أهل الكذب والبهت والغدر والمكر والحيل، وهم قتلة الأنبياء وأكلة السحت ـ وهو الربا والرشا ـ، وهم أخبث الأمم طويَّة، وأردؤهم سجية، وأبعدهم من الرحمة، وأقربهم من النقمة، عاداتهم البغضاء وديدنهم العداوة والشحناء، والسحر والكذب، لا يرون لمن خالفهم في كفرهم وتكذيبهم من الأنبياء حرمة، ولا يرقبون من مؤمن إلّاً ولا ذمة، ولا لمن وافقهم عندهم حق ولا شفقة، ولا لمن استعملهم عندهم نصيحة، بل أخبثهم أعقلهم، وأحذقهم أغشّهم، وسليم الناصية ـ وحاشاه أن يوجد بينهم ـ ليس بيهودي على الحقيقة.. هم أضيق الخلق

صدراً، وأظلمهم بيوتاً، وأنتنهم أفنية، وأوحشهم سجية، تحيتهم لعنة، ولقاؤهم طيرة، وشعارهم الغضب، ودثارهم المقت». أما **الطيرة**: فهي الشؤم.

فتأمل يا أخي! هكذا شعب يدّعي بأنه شعب الله المختار! إنهم حثالة بني آدم، ونتن المستنقعات والقاذورات، وهم من قال فيهم الكبير المتعال: ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًۢا ۚ بِئْسَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الجمعة: ٥]، فهل يمكن للحمير أن ترتقي لتصبح شعب الله المختار؟!.. أمّا **الأسفار**: فهي الكتب.

عاشراً: الصهيونية العالمية والتخطيط لاغتصاب فلسطين:

بعد أن نزل أمر الله في هذا الشعب القذر، وبعد أن تشتَّتُوا في البلاد، تجرعوا كؤوس الذل والهوان، فاستكانوا وهمدوا منذ الاجتياح البابلي عام (٥٨٦ق.م)، وحتى القرن العشرين، أي: فترة تزيد عن (٢٥٠٠) سنة، كانوا خلالها منسيين، لا وطن لهم ولا دار ولا قومية ولا وزن.

وفي القرن السابع عشر الميلادي قام منشة بن إسرائيل (١٦٠٤ - ١٦٥٧م) بإنشاء حركة اعتبرها المؤرخون نواة الصهيونية الأولى.. لقد نادى هذا اليهودي إلى إنشاء وطن قومي لليهود في فلسطين بمساعدة إنكلترا؛ التي كانت أكثر الدول المتضرِّرة من قذاهم ومجونهم وتفسُّخهم، وسيطرتهم واحتكارهم لرؤوس الأموال وللذهب والصناعة والتجارة في الغرب بشكل عام وفي إنكلترا بشكل خاص.

بعد ذلك التقى رجال الأعمال اليهود بزعامة روتشيلد ومونتفيوري، ودعوا إلى إنشاء مستعمرات يهودية في فلسطين تكون نواة دولتهم التي يخططون لها، وبعد شراء الأرض والعمل فيها ومن ثم التسلّح وتنظيم جيش من المهاجرين المدربين، يتم الانقضاض على الشعب الأعزل وإبادته وإعلان قيام دولة صهيونية تحت اسم إسرائيل.

وحظيت هذه الفكرة الخبيثة على استحسان وتأييد دول الغرب كافة وفي مقدمتهم بريطانيا؛ لأنهم سيتخلَّصون من القذارة والتهتّك والنجس التي كانت تدنِّس بلادهم.. كما استحوذت هذه الفكرة على إعجاب فرنسا وإنكلترا؛ لأن هذه الدولة الغريبة في الوطن العربي ستكون كالطاعون الوبيل الذي سينهك العرب وسيفتُّ في عضدهم، فيسهل عليهم كدولتين مستعمرتين إذلالهم وتقسيم بلادهم، واستعمارهم وسلب مقدراتهم، واستغلال الأيدي العاملة لديهم.

لقد استحسن يهود أوروبة هذه الفكرة لسببين:

أولهما: كان يبشر بإنشاء وطن خاص بهم طالما حلموا به وادّعوا بأنه أرض ميعادهم.

والآخر: كونهم سيصبحون في منأى عن عمليات التطهير والإبادة والذبح الجماعي التي تعرّضوا لها في كافة دول الغرب، وفي ألمانيا وإسبانيا وروسيا بشكل خاص.. لقد أبادوهم كما يبيدون جرذانهم وحشراتهم المقزِّزة.

وفي عام (١٨٨٢م) أصدر مفكروهم كتاب (إرجاع اليهود إلى فلسطين)، ولم يقولوا: تهجيرهم إلى عالم جديد مثل أمريكا وأستراليا، لأنهم كانوا منبوذين أينما حلّوا وحيثما ذهبوا.. لذا أرادوا لهم وطناً خاصّاً بهم يستوعب قذارتهم وفسوقهم وعدوانهم.

لقد كان بالإمكان تهجيرهم إلى أماكن كثيرة خصبة في العالم، ولكن حكماء الصهيونية وحاخاماتها جعلوا تجميعهم في فلسطين أمراً دينيّاً وقوميّاً، وغاية توراتية؛ ليحفِّزوهم على ترك أوروبة على جَمَالها وخصبها وكثرة مواردها وتقدّمها، والذهاب إلى أرض فقيرة متواضعة الموارد والمياه والثروات؛ بحجة أنها أرض الميعاد التي سينزل فيها عيسى عليه السلام من السماء، لتصبح فلسطين نواة لدولتهم العظمى التي يخططون لها، والتي تمتد من الفرات إلى النيل، وبذلك سيتمكنون من السيطرة على اقتصاد العالم وموارده وتسخيره لخدمتهم، وغفلوا

عن المقاومة العربية والفلسطينية بشكل خاص، والتي ستقف سدّاً منيعاً أمام مخططاتهم وتوسّعهم ومكرهم وجبروتهم.

بهذا الأسلوب الماكر تمكّن حكماء صهيون من لمِّ شمل شتاتهم على حساب الشعب المسالم الأعزل إلَّا من الحجارة والهراوات والسلاح الأبيض المتواضع والبنادق الأثرية الصدئة.

حادي عشر: بروتوكولات حكماء صهيون:

بعد ذلك قام اليهودي النمساوي هرتزل (١٨٦٠ ـ ١٩٠٤م) باتصالات مع يهود العالم، وجمع دهاتهم ومفكريهم وأصحاب رؤوس الأموال في مؤتمر صهيوني كان الأول من نوعه عام (١٨٩٧م) في بازل بسويسرا، وأصدروا بروتوكولاتهم (بروتوكولات حكماء صهيون) التي وضعت أسس عقيدتهم وتفكيرهم، وكرّست خلاصة خبثهم ومكرهم، وجام غضبهم وحقدهم الكامن في صدورهم ضد شعوب العالم والشعوب الأوروبية بشكل خاص، ليكيلوا للبشرية جمعاء المآسي والفواجع، وليسيطروا عليها من خلال مخططاتهم وفلسفاتهم وحركاتهم الهدّامة التي ضيَّقت الخناق على الناس كالشيوعية والماسونية والعلمانية وغيرها.

جاء في بروتوكولاتهم الكثير الكثير، ولكني اخترت ما يخصّ الموضوع الذي نحن في رحابه:

١ ـ تهدف الصهيونية إلى السيطرة على العالم من مركزهم الذي سينطلقون منه، وهو أرض الميعاد، وقالوا: إن على اليهود أن يجيدوا صنع الطعم الذي سيوقع الناس والشعوب في شباك الصهيونية.

وغرسوا في نفوس أبنائهم ومنذ نعومة أظفارهم كراهية العرب والمسلمين، وأحلّوا سفك دمائهم ونهب أموالهم وديارهم وأراضيهم، كما غرسوا فيهم بذور الإجرام والحقد والكراهية ضد شعوب الأرض دون تمييز،

خاصة منهم الشعوب الأوروبية التي كرهتهم وأذلّتهم وسفكت دماءهم.

لذا جاؤوا إلى بلادنا مفعمين بالحقد والقسوة والوحشية، فصبّوا جام غضبهم على شعبنا العربي الأعزل الذي طالما تغنَّى بالسلام في مدينة السلام.

٢ ـ السياسة مناقضة للأخلاق وهي تحتاج إلى المكر والكذب والتدليس والمناورة والرياء ونقض العهود، وقالوا: إن الصدق والاستقامة والفضائل رذائل في عالم السياسة.

لقد استقوا هذه المبادئ من التلمود الموضوع من قِبَلِ حاخاماتهم الأقدمين الذين كتبوه بعد حوالي (٢٠٠٠) سنة من وفاة نبيهم موسى عليه السلام.

٣ ـ ومما قالوه في بروتوكولاتهم الخطيرة: لقد انتهت سلطة الدين وولَّت إلى غير رجعة، وحلَّت محلها سلطة الذهب، أي: سلطة رأس المال، الذي يجب أن يبقى في قبضتنا لنسيطر من خلاله على العالم أجمع.

٤ ـ لا بد من نشر الرذيلة والفساد من خلال نساء معدّة لهذا الغرض.

وبالفعل أعدَّت دولتهم من خلال منظمة حكومية خاصة برئاسة شلومو بيرلشتاين، أحد أبرز التابعين لحزب المابام الإسرائيلي آلاف الفاتنات الفاجرات، ودربوهنّ على ضروب البغاء والجنس والجاسوسية، ودسّوهن في أُسَر كبار رجال السياسة في العالم، وفي المواخير وبيوت الدعارة في أوروبة وأمريكا.

كما أعدوا الماخور الكبير ـ إسرائيل ـ لاستقبال الزعماء والحكام ومن بيدهم مقاليد الأمور في البلاد التي يهمهم أمرها وتأييدها، وقدّموا لهم ألوان المتعة واللذة والمسرّات.. فإذا وقع رئيس دولة أو رجل سياسة في حبائلهم، ثم خرج عن طاعتهم، أذلّوه وهدموا عرشه وأخضعوا كبريائه، وهذا ما فعلوه بالرئيس الأمريكي كلينتون من خلال عشيقته اليهودية مونيكا لوينسكي.

٥ ـ وقالوا أيضاً: سنستخدم الرذيلة والرشوة والخيانة في تعاملاتنا دون وجل، المهم أن نحقِّق غاياتنا دون أخذ الوسائل بعين الاعتبار، أي: إنهم نادوا بمبدأ «الغاية تبرِّر الوسيلة» الذي اعتنقته الماسونية والشيوعية والمادية الجدلية والعلمانية والوجودية وغيرها من الفلسفات الملحدة، التي أسسها اليهود الواحدة تلو الأخرى لتُغوي الناس ولتبعدهم عن دينهم وبارئهم.. ولو دقَّقت عزيزي القارئ في بروتوكولات حكماء صهيون وبمبادئ كافة الحركات الإلحادية لوجدتها برمتها مستقاة من التلمود، من نفس النبتة الخبيثة.

٦ ـ سنجعل زعماء العالم والرؤساء وأصحاب القرارات في أيدينا وطوع أمرنا، كما سنجعل تعيينهم وخلعهم بإرادتنا وتخطيطنا واختيارنا، وسيقع الخيار على أكثرهم فحشاً ودناءة وأقلِّهم خبرة ودراية.. لذلك درج مرشحو الرئاسة الأمريكية خلال حملاتهم الانتخابية على التذلُّل والتودّد للّوبي الصهيوني، وتسابقوا إلى تقديم الوعود بدعم إسرائيل ماديّاً وعلميّاً وعسكريّاً ونوويّاً ومعنويّاً وسياسيّاً على حساب أصحاب الأرض المغلوبين على أمرهم، حتى أضحى الدعم الأمريكي سافراً ومستهجناً عالميّاً.

٧ ـ نسيطر على الصحافة العالمية، وعلى وسائل الإعلام الأخرى؛ لنسيطر من خلالها على الشعوب فنوجهها كما نشاء.

٨ ـ نشجِّع العنصرية، ونشعل نيران الحقد والحروب بين القوى المتصارعة، ونزرع الفتن بين الطوائف المختلفة والقوميات المتباينة في كل دولة يهمنا أمرها؛ حتى نضعفها أو نزيلها أو تحلّ سياستنا العالمية فيها.

٩ ـ سندعم الشيوعية والماسونية؛ لنتمكن من خلالهما من استقطاب شعوب العالم بأسره حولنا.

١٠ ـ نسيطر على الاقتصاد العالمي بفضل الذهب ورأس المال بعد أن احتكرناهما.

١١ ـ علينا أن ننزع فكرة الدين ووجود الله من عقول الناس، لأن في الإيمان طمأنينة واستقراراً للنفوس التي نريدها معذبة ملحدة مضطربة ومشتتة.. وإذا تمكَّنَّا من محو فكرة الله والدين والحلال والحرام والبعث والحساب فلن يكون لدى الناس بعد ذلك ما يخافونه، كما لن يكون لديهم حافز ديني يدفعهم للدفاع عن حقوقهم وأوطانهم، وسيقلعون عن بذل دمائهم وأموالهم وأرواحهم ليحصلوا على الاستقلال، أو ليحافظوا على بلادهم نظيفة من الدنس والاستعمار، وسيرضون بأي مستعمر، وسيفرِّطون بأوطانهم لأنهم سيكونون منكبين على اللذات والجنس المستباح وعلى جمع المال الذي زيّناه في قلوبهم، حتى صار أكبر همِّهم وغاية غاياتهم.

١٢ ـ لقد تركوا ديارهم وأوطانهم وجاؤوا إلى فلسطين من كل فجٍّ عميق بدافع ديني ـ قومي (الاستحواذ على أرض الميعاد، وإعادة تجميع شعب الله المختار، تهيئة لظهور المسيح ﷺ واستقباله.. وغير ذلك من تدليس)، كما حاولوا في الوقت ذاته نزع الدين من قلوبنا، ليسهل عليهم تنفيذ مخطَّطهم الدنيء ضدنا، ولكنهم لن يفلحوا في ذلك طالما بقي القرآن الكريم ربيع قلوبنا.

١٣ ـ مما قاله حكماء صهيون: على الشعوب أن تعلم أن الديانات كافة موضوعة، وقد أوجدها من ادّعوا النبوة ليخضعوا الناس، وليسلبوهم عقولهم وأفئدتهم وأموالهم ومقدراتهم، وليخضعوهم لسلطانهم، وإنهم افتروا فكرة البعث والحساب والجنة والنار ليسيطروا عليهم وليخيفوهم.

لذا ولكي نحرِّر الناس من الدين، لا بد من نزع فكرة البعث والحساب من أفئدتهم.. ولكي يتم لنا ذلك سنستعين بمن لديهم استعداد للفساد والإلحاد، أو بالملحدين من أبناء الشعوب (كأمثال سلمان رشدي وغيره ممن جئت على ذكرهم في هذا الكتاب) فيبثّوا سمومهم ضد الشرائع السماوية، حتى يزلزلوا أركان الدين ويقوِّضوه..

قال تعالى: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ

﴿كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ﴾ [البقرة: ١٠٩].

ولولا ابتعاد أوروبة عن الدين لما تمكَّن اليهود من السيطرة عليها وعلى شعوبها ومقدّراتها.

١٤ ـ وقالوا: لكي لا يفكر الناس بالله، علينا أن نوفِّر لهم ألواناً مغرية من الجنس والملاهي والمخدرات وكافة ألوان الفساد، وسنلهب شهواتهم ونؤجِّج العواطف فيهم بكل الوسائل، وسنجعل المجتمعات منحلة أخلاقيّاً، وسنجرِّدها من إنسانيتها ومن دياناتها حتى يغرقوا ويقعوا في حبائلنا وقبضتنا.

١٥ ـ سنسيطر على الصناعة والتجارة العالمية، وسنحتكر الأسواق ونتحكّم بالأسعار وبقوت الناس.

١٦ ـ سنوفّر للبشر كل وسائل الرفاهية، وسنعوِّدهم ونحثُّهم على الترف والانحلال، وسندفعهم لبذل كلّ مدَّخراتهم لشراء منتجاتنا ومخترعاتنا وسيَّاراتنا، وسنجعلهم يتسابقون ويتفاخرون فيما بينهم على اقتناء أحدث وأعظم منتجاتنا وأبهظها ثمناً، وسنجعل اقتناءها مقياساً يعلو به بعضهم على بعض (كحال الناس مع الجوّالات في هذه الأيام)، وبذلك ستنتقل أموالهم وحصيلة جهودهم وسعيهم إلى جيوبنا وبنوكنا وسلطاننا.

وبذلك وبأسلوب غير مباشرة سنسخِّر العالم لخدمتنا والعمل لصالحنا ورغدنا وتقدمنا، وسنركبهم كما تُركب الحمير.

انظر عزيزي القارئ مدى مكرهم ودهائهم الذي ورد أيضاً في تلمودهم القديم الموضوع من قبل حاخاماتهم المارقين على الله والدين: «الأمميّون هم الحمير ودواب الحمل الذين خلقهم الله ليركبهم شعبه المختار، وكلما نفق منهم حمار ركبنا حماراً غيره».

أما **الأمميّون** (أي: الحمير) فهم كافة الأمم وشعوب الأرض غير اليهود (حسب ادعاءاتهم وتأويلاتهم وتفكيرهم وخبثهم).

يظنون بأنفسهم الحكمة والذكاء، وينعتون الناس بالحمير، وكأنهم حقّاً أسياد العالم ودهاته، وهم من قال فيهم رب الأرباب، الكبير المتعال: ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُواْ ٱلتَّوْرَىٰةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًاۢ ۚ بِئْسَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾ [الجمعة: ٥]، أي: إنهم هم الحمير ولكن لا يفقهون.

١٧ ـ يتابع حكماء صهيون افتراءاتهم على الإنسانية فيقولون: ولكي نتمكَّن من استعباد الشعوب (أي: استحمارها)، علينا أن نجعلها جاهلة، وأن ننزع عقيدتها وارتباطها ببارئها، وأن ننشر الفساد والإباحية وكل الرذائل والفواحش والموبقات بينها.

إنهم يعلمون علم اليقين بأن من ينزع عن نفسه دينه وفطرته؛ فإنه سينزع عنها آدميته، وسيصبح كالأنعام أو أضل سبيلاً.. ولهذا جاء في أحد بروتوكولاتهم: «يجب أن ننزع فكرة الله من عقول الناس غير اليهود، وأن نضع مكانها عمليات حسابية وضرورات مادية»، أي: أن يستبدلوا الدين بالإلحاد، والكبير المتعال بالمادية والطبيعة، وعوضاً عن أن يتنافسوا في العبادات وكسب رضاء الله، سيسعون وراء الملذات وجمع المال.

١٨ ـ بعد أن تتجرَّد البشرية من عقائدها وارتباطها ببارئها، ستتسلّط عليها اليهودية من خلال تعاليم التوراة المحرفة والتلمود الموضوع.

ثاني عشر: نجاحهم في السيطرة على العالم:

وهذا ما كان، فقد تخلَّت شعوب أوروبة عن دينها، وراحوا يتفاخرون بإلحادهم ويعلنونه دون خجل ولا وجل، بل واعتبروا إلحادهم تحضّراً وتمدّناً لم يسبقهم إليه أحد! لذلك كانوا أول من استحمرتهم إسرائيل، ثم استحمرت من بعدهم الشعب الأمريكي وركبت ظهور رؤسائه وساسته وسيناتوراته ووزرائه، ثم قادتهم حيثما شاءت، حتى أمسكت بزمام الأمور في بلادهم

وصارت تتحكَّم بمقدّراتها وثرواتها، حتى أضحت كابوساً يؤرِّق مضاجعهم، وطاغية مستبدّاً يجثم فوق صدورهم ويتحكم بحياتهم ورقابهم.

فلو لم تزل قدم الأمريكيين ورؤسائهم، ولو لم يقعوا في حبائل اليهود وفريسة لمكر الصهيونية العالمية، لما خرجوا عن طاعة الله، ولما نهشتهم أنياب اليهود، ولما أضحوا ألعوبة بيد رجالهم! ولولا الانحلال الخلقي الذي تفشى في الأرض، ولولا الابتعاد عن تعاليم السماء، لما بلغت إسرائيل هذه المكانة والغطرسة والمنعة والتسلّط والتجبّر والتكبّر، ولما كان بمقدورها أن تسخر من دول العالم أجمع ومن الدول العظمى ومن الأمم المتحدة، ولا أن تتحداهم وتخرق قوانينهم! لقد بلغت إسرائيل من القوة بحيث صارت تدير شؤون الحكم في هذه الدول، وفي مجلس العموم البريطاني، وفي الكونغرس والبيت الأبيض بالتحكّم من بعيد، فيقرِّرون ما يشاؤون ويرفضون ما يشاؤون وما لا يناسب أهواءهم ومصالحهم.

كما أحكموا الخناق على الفرنسيين من خلال تخطيطهم ومشاركتهم في الثورة الفرنسية، ومن ثم من خلال رؤوس أموالهم الفاحشة التي مكَّنتهم من السيطرة على الثورة الصناعية وتوجيهها كيفما شاؤوا.

كما أحكموا الخناق على الصناعيين والإقطاعيين من خلال الربا والبنوك الربوية التي كانت تمدُّ أصحاب المعامل بالمال اللازم لاستمرار إنتاجهم.

وعاد عليهم نظام القروض الذي ابتدعوه وطبّقوه في فرنسا وإنكلترا بأرباح خيالية أثقلت على الرأسماليين وأصحاب المصانع، وأذلَّتهم وأخضعتهم لسلطانهم، ورفعت من شأنهم وشأفتهم وثروتهم، وزادت من سيطرتهم على مقدّرات أوروبة وسياسة بلدانها واقتصادها.. لذا، ومع مرور الزمن، أضحى اليهودي في أوروبة رمزاً للقذارة والفساد، والرذيلة والإباحية، وكافة الأعمال الشيطانية، ولذا انتشرت عبارة: «ممنوع دخول الكلاب واليهود» وثُبِّتت على أبواب المطاعم والفنادق والمسارح وكافة المرافق العامة، وللسبب نفسه شجَّع

الأوروبيون فكرة إخراجهم من بلادهم، وإنشاء وطن لهم في فلسطين أو في أي مكان آخر، فدعموا الفكرة شعوباً وحكومات، آملين من وراء ذلك تطهير بلادهم من هذا الدنس المقزز، ولهذا قدموا لهم الدعم بأشكاله.

ولنفس هذه الأسباب قام الروس والألمان بحملات كبيرة لإبادتهم علّهم يخلِّصوا الناس من شرورهم، ويحرِّروا اقتصادهم من قبضتهم وسيطرتهم، لذا استبشر ضعفاء اليهود عندما وجدوا الطريق إلى فلسطين ممهدة.

ثالث عشر: اغتصاب فلسطين:

وبالفعل، أخذ الصهاينة العهد من الدولتين المستعمرتين آنذاك (إنكلترا وفرنسا) ليمكِّنوا وجوداً لهم في الديار المقدَّسة، فكان وعد بلفور المشؤوم، وتلته معاهدة سايكس بيكو، ومن ثم يوم التنفيذ، فاغتصب الفرنسيون سورية ولبنان، واحتل الإنكليز فلسطين وشرقي الأردن والعراق، ودنَّسوا أرضنا ومقدّساتنا، ثم اقتطعوا جزءاً من البلاد وقدَّموه هدية للصهيونية العالمية المجرمة، التي أرسلت جحافلاً يهودية مدجَّجة بالسلاح تحت حماية المدافع والطائرات والدبابات والعربات المدرَّعة، ويحملون في قلوبهم ضغينة دفينة، وفوق ذلك كراهية وحقد شعوب العالم لهم، فنفثوها في فلسطين، حتى بدا الأمر وكأن شعبها الأعزل كان وراء تعاستهم وشقائهم عبر العصور!.. فدكّوا البيوت وحرقوا البلاد ونشروا الرعب وذبحوا النساء والشيوخ والأطفال ذبح الخراف، وسلبوا أموال الناس وبيوتهم وأراضيهم وكافة ممتلكاتهم، وعاثوا في الأرض فساداً، وحكموا بالحديد والنار، وبذلك استتب لهم الأمر في هذه الديار، التي كانت آمنة مسالمة.

اتَّخذ العالم بأجمعه وفي مقدمته الدول العظمى ومعهم عصبة الأمم موقف المتفرِّج، وتناسوا حقوق الإنسان التي كانوا ولا زالوا يتشدقون بها! ليس هذا وحسب، بل أعلنوا اعترافهم الفوري بالكيان الصهيوني العنصري المغتصب، وراحوا يغدقون عليه المال والعتاد والسلاح ليتمكن من إخماد

حركات التحرير والمقاومة التي لم تظفر إلا باليسير والقديم من السلاح الفردي الذي كان عليه مجابهة ترسانة الطيران والمدافع والدبابات وأسلحة الدمار الشامل والترسانة النووية التي تكفي لإبادة شعوب الأرض كافة.

وسقطت فلسطين الأبية ضحية الاستعمار البغيض والصهيونية القذرة، فقامت بذلك قائمة إسرائيل الثانية، أو كما ورد في الذكر الحكيم: «الإفساد الثاني لهم في الأرض».. وكما بعث لهم في الأولى نبوخذ نصر فقضى عليهم، سيبعث الله ﷻ مَنْ يجليهم عن آخرهم، إما من الفلسطينيين أنفسهم أو ممن لا يعلمه إلا الله وحده..

قال تعالى: ﴿وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ فِى ٱلْكِتَٰبِ لَتُفْسِدُنَّ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤﴾ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ أُولَىٰهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَآ أُو۟لِى بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا۟ خِلَٰلَ ٱلدِّيَارِ ۚ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا ﴿٥﴾ ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ ٱلْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَٰكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَٰكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا ﴿٦﴾ إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ ۖ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا ۚ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْءَاخِرَةِ لِيَسُـۥٓـُٔوا۟ وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا۟ ٱلْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا۟ مَا عَلَوْا۟ تَتْبِيرًا﴾ [الإسراء: ٤ ـ ٧].

رابع عشر: وجوب مقاومة الصهاينة بكل الوسائل:

بعد أن انكشفت أمامنا جميع مخططات الصهيونية وإيديولوجياتها وخبثها وأسلوب تفكيرها، والحقد والبغضاء التي تعتمل في قلوب اليهود ضد الإسلام والمسلمين وكافة الموحدين، صار لزاماً علينا نبذهم ومقاطعتهم ومحاصرتهم اقتصاديّاً، وإغلاق سفاراتهم التي افتتحوها في بعض الدول العربية، وإيقاف التطبيع، وتغذية الثورة الفلسطينية بكل ما يلزمها للصمود ومقاومة هذا الطاعون الوبيل والسرطان الخبيث، كما صار لزاماً على كل قادر من المسلمين أن ينضوي تحت لواء الجهاد، وأن يقدِّم الغالي والنفيس، وعلينا أن ننهض من كبوتنا، وأن نعود إلى ديننا وإلى الله، وأن نتسلّح بالعلم والتكنولوجيا لنحدّ من تفوّقهم علينا، فنحاربهم بنفس الأسلحة، ونكلمهم بنفس اللهجة، لهجة القوي

المتمكِّن الراسخ، وعلينا أن ننزع ثوب الكسل والتواني والتخاذل، وأن نشحذ هممنا، وأن نقرن العلم بالعمل، واضعين نصب أعيننا غاياتنا التي لن نحيد عنها.. وعلينا أن ننصر الله إن أردنا منه العون والنصر، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ [محمد: ٧].

﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحج: ٤٠].

ودون العلم والعمل، ودون العودة إلى الله وإلى محراب الإيمان، لن تقوم لنا قائمة، وسنبقى كما قال الحبيب المصطفى ﷺ غثاءً كغثاء السيل، تتقاذفنا أمريكا وإسرائيل بين مدِّهم الجائر وجزرنا وتخاذلنا وضعفنا وهواننا.

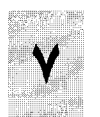
● **وفي الختام**: لا يسعني إلا أن أورد الوصف الإلٰهي لهؤلاء المجرمين المتغطرسين، الذين كانوا ولا زالوا يظنون أنهم شعب الله المختار..

قال تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ هَلْ تَنقِمُونَ مِنَّآ إِلَّآ أَنْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلُ وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٥٩﴾ قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ ٱللَّهِ مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ ٱلْقِرَدَةَ وَٱلْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ ٱلطَّٰغُوتَ أُوْلَٰٓئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴿٦٠﴾ وَإِذَا جَآءُوكُمْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَقَد دَّخَلُواْ بِٱلْكُفْرِ وَهُمْ قَدْ خَرَجُواْ بِهِۦ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُواْ يَكْتُمُونَ ﴿٦١﴾ وَتَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَأَكْلِهِمُ ٱلسُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٦٢﴾ لَوْلَا يَنْهَىٰهُمُ ٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ عَن قَوْلِهِمُ ٱلْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ ٱلسُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُواْ يَصْنَعُونَ﴾ [المائدة: ٥٩ ـ ٦٣].

نعم، لقد دخل اليهود بالكفر وهم الذين خرجوا به وابتدعوه، وهم المغضوب عليهم، وهم إخوة القردة والخنازير، وهم المطرودون من رحمة الله، وهم أصحاب السعير، التي سيخلدون فيها جزاءً وفاقاً بما كانوا يعملون.

* * *

الفصل



الماسونية

أولاً: الماسونية وجذورها وعلاقتها باليهود:

هي أخطر حركة إلحادية منظَّمة ظهرت إلى عالم الوجود حتى الآن، وهي صهيونية إرهابية، وهي تدعو إلى الفساد والإباحية والوجودية.

كان أول من أسّسها الملك الروماني هيرودوس أكريبا (٤٤م) بمساعدة يهوديين من وزرائه؛ هما: «حيرام أبيود» الذي استلم منصب نائب رئيس المنظمة، و«توآب لامي» الذي عيِّن كاتماً لأسرارها.

لقد أطلق عليها مؤسسوها لقب (القوة الخفيّة) أي: المنظمة السرية، وقد حافظت على هذا الاسم حتى عصر النهضة الأوروبية، حيث سمَّاها دهاتها بالماسونية، وأطلقوا على محفلهم الأول اسم (هيكل سليمان)، وبذلك أصبح انتماؤها لليهودية صريحاً.

ثانياً: أهداف الماسونية وجرائمها:

لقد كان هدف المنظمة في بداية عهدها التصدِّي للنصرانية كدين جديد، فاغتالوا الكثيرين من أتباع هذا الدين، ونكَّلوا بالموحِّدين وبرجال الدين، وبذلوا ما أمكنهم للحدِّ من انتشاره بالإساءة إلى المسيح ﷺ، وبافتراء الأقاويل عليه وعلى حواريِّيه، كما تعرَّضوا لمريم العذراء في كرامتها وعفَّتها وهي السيدة البتول.

لم يكن سلوكهم الشاذ ضد عيسى ﷺ وأمه والمسيحية جديداً، لأنهم

اضطهدوا قبل ذلك كافة أنبيائهم، حتى المحبّبين إليهم مثل موسى وهارون وداود وسليمان عليهم السلام.. لقد نالوا منهم وأساؤوا لسمعتهم وكرامتهم واتهموهم بالزنى والفساد، كما قتلوا عدداً كبيراً منهم؛ وهم الخِيَرَة عند الله، فباؤوا بغضب من الله، فمسخ من مسخ منهم قردة وخنازير، وضرب على آخرين الذلّة والمسكنة والتشتّت إلى يوم الدين..

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَقَفَّيْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ بِٱلرُّسُلِ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ٱسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ﴿٨٧﴾ وَقَالُوا۟ قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ بَل لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ﴾ [البقرة: ٨٧ ـ ٨٨].

لقد تآمروا على سيدنا يحيى عليه السلام حتى قتلوه كما قتلوا والده من قبله، ثم وشوا بسيدنا عيسى عليه السلام بعد أن قلّبوا عليه حاكم البلاد، فإذا بالواشي يقع في الأسر وفي قبضة الجلاد، ويُصلب حتى الموت عوضاً عن المسيح عليه السلام!.. لقد رفعه الله إليه وأنقذه من مكرهم ومن الصلب والعذاب: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ﴾ [النساء: ١٥٧].. قاتلهم الله أينما كانوا وأينما حلّوا.

ثالثاً: الماسونية الحديثة:

في عام (١٧٧٠م) تمَّ تجديد هذه المنظمة على يد المارق الملحد الذي خرج عن الدين المسيحي: آدم وايزوايت.. لقد تبنَّته الماسونية العالمية وضمّته إلى صدرها لتستفيد من مكره وإلحاده.

وضع آدم خطّة الماسونية الحديثة، وأسس عام (١٨٣٠م) أول محفل عالميّ لهم سمّاه (المحفل النوراني) نسبة إلى شيطانهم الذي كانوا ولا زالوا يقدِّسونه.

وانتشرت الماسونية في كافة بقاع الأرض؛ وفي إنكلترا وفرنسا بشكل خاص، وقد ركَّز زعماؤها على منطقة الشرق الأوسط لأنها موطن الديانات

السماوية ومهبط الوحي، فتمكَّنوا من إغواء (٢٠٠٠) رجل من كبار الساسة والمفكرين وأساتذة الجامعات، فأسّسوا بهم ولهم محفل الشرق الأوسط الذي جُنِّد لخدمة الماسونية والصهيونية العالميتين.

واستترت الماسونية وراء شعارات زاهية، فانخدع بها خلق كثير من شتّى بقاع الأرض، ودون أن يدروا أخرجوهم من دينهم، وجعلوهم من طواغيت الإنس، وعلّموهم فنون الغواية والتضليل والتدليس والاستخفاف بعقول الناس، فانخدع بهم أناس كثيرون، راحوا يناصبون الله ورسوله عداءً سافراً بعد أن كانوا مؤمنين معتدلين.

● من الشخصيات الماسونية القديمة: **مازيني**؛ وهو إيطالي الجنسية، **وميرابو** الذي كان أحد أركان الثورة الفرنسية، والجنرال الأمريكي **ألبرت مايك** الذي وضع الكثير من الخطط التدميرية ضد أعداء الماسونية، وقام بنفسه على تنفيذها، فقتل الكثيرين، والفرنسي **ليوم بلم** الذي تخصَّص بنشر الإباحية والدعارة والتفسُّخ الخلقي بتكليف ماسوني.. لقد نشر كتاباً بعنوان: (الزواج) فكان من أفحش وأخسِّ الكتب الإباحية عبر التاريخ، **وكوديرلوس** صاحب كتاب (العلاقات الخطرة) الذي كان يهوديّاً فاجراً تعرَّض لجلال الله وقدره ولرسله الكرام، **وماتسيني جوزيبي وجان جاك روسو وفولتير وكارل ماركس** وغيرهم كثيرون ممن وطّدوا دعائم المادية الجدلية والوجودية، ومهّدوا للفكر الماركسي الملحد، ومن ثم للشيوعية الحمراء.

لقد استفحل أمر الماسونية السوداء في عصرنا الحاضر، وانتشرت في كافة أرجاء الأرض، وصار لها محافل كثيرة في إنكلترا وإيطاليا وألمانيا وأمريكا وإسبانيا، وفي الشرق الأوسط، وفي روسيا وآسية، وفي إفريقية وفي كافة بقاع الأرض.

رابعاً: أفكار الماسونية وأعمالها:

رغم سرِّية هذه الحركة الهدّامة، إلا أن عدداً كبيراً من أفكارها وأهدافها أضحى معلوماً، وبقي عدد كبير آخر لا يظهرونه إلا لأكابر سفاحيهم وأعتى دعاتهم ومجرميهم.

لقد عُرفوا بالزندقة والإلحاد، وجحدوا وجود الله وملائكته وكتبه ورسله، وأنكروا اليوم الآخر والحساب والجنة والنار، واعتبروا كافة الغيبيات خزعبلات وأوهام وخرافات..

قال تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّهُمْ فِي مِرْيَةٍ مِّن لِّقَآءِ رَبِّهِمْۗ أَلَآ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطُۢ﴾ [فصلت: ٥٤].

كما أباحوا الجنس وكافة ألوان الشذوذ، واستخدموا المرأة كسلاح لإغواء وإغراء من يريدون إغواءهم وجرَّهم إلى مستنقعهم، وهم عادة من أصحاب النفوذ والسيطرة وأصحاب الشأن والكلمة.. كما نشروا الفوضى والانحلال الأخلاقي، ومارسوا الإرهاب، وشجَّعوا على قيام القوميات والطوائف، وقسَّموا الشعوب إلى جماعات، وزرعوا بذور الفتنة والخلافات بين الطوائف المختلفة في المجتمعات الإسلامية، وأوقدوا نيران الحروب وسفكوا دماء الشعوب، وأسقطوا الكثير من الحكومات الوطنية المخلصة أو الدينية الملتزمة بشريعة الله، واستبدلوها بأخرى ملحدة.

وبأسلوبهم الماكر نصبوا شراك الغدر لمن أرادوا، وأحاطوهم بكيدهم ومكرهم حتى تعثَّروا وسقطوا.. وبعد أن يسقط الضحية يتحتَّم عليه تنفيذ أوامرهم طائعاً صاغراً مستكيناً، وإن تردَّد أو اعترض أو كشف سرّاً من أسرارهم فلن يتوانوا عن قتله! على كل من يلتحق بهم أن يتجرَّد من عقيدته الدينية، وأن ينسلخ عن مثل وقيم وأخلاق مجتمعه وأجداده، وأن يتجرَّد عن فطرته، وأن يصبح حيوانيّاً لا يفكر إلا بمصلحته ولذَّاته، وأن يسعى لتنفيذ رغبات وأوامر

رؤسائه، وعليه أن يرتكب الفواحش والرذائل وكافة الموبقات، وأن يطبِّق مبدأ «الغاية تبرِّر الوسيلة» (الميكيافيلية) ولو أدَّى ذلك إلى الغش والتدليس والرشوة أو القتل أو الاستعانة بفروج النساء، وعلى الماسوني أن يتحرَّر من كل ارتباط بالله، ومن فكرة البعث والحساب، وأن يعمل فقط لدنياه، التي تعتبر في عقيدتهم أو في فكرهم الشاذ دار متع وملذّات، وعليه أن يجعل المال والجنس والنساء وكافة اللّذات غاية غاياته في هذه الحياة! . .

قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يَشْتَرُونَ ٱلضَّلَٰلَةَ وَيُرِيدُونَ أَن تَضِلُّوا۟ ٱلسَّبِيلَ ﴿٤٤﴾ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِأَعْدَآئِكُمْ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَلِيًّا وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ نَصِيرًا﴾ [النساء: ٤٤ ـ ٤٥].

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱتَّبَعُوا۟ ٱلْبَٰطِلَ وَأَنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّبَعُوا۟ ٱلْحَقَّ مِن رَّبِّهِمْ ۚ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَٰلَهُمْ﴾ [محمد: ٣].

ودأبت الماسونية ولا زالت ساعية لاحتلال أعلى مناصب الدول، لقد وضعت مفكريها وأكابر رجالها في وزارات التربية والتعليم والتعليم العالي كمدرسين وكمسؤولين في مجال الإعلام؛ ليوظِّفوا جنودهم المجنَّدة المدرَّبة على فنون المكر والخداع والتدليس ومحاربة الدين ونشر الرذيلة والدسائس والأباطيل؛ ليفسدوا الأجيال القادمة، وليجبلوهم بالأفكار العلمانية، وليحببوا إليهم الإباحية والإلحاد واليهودية، ليعملوا لاحقاً على إعلاء كلمة إسرائيل.

لقد تمادى هؤلاء في غيِّهم عندما أباحوا مواقعة المحارم كالأمهات والأخوات والبنات! وحاربوا الزواج واعتبروه اضطهاداً وعبودية للمرأة، التي شجعوها على إتيان الرذيلة والزنى باسم الحرية والتحرُّر والتمدّن، وأفهموها أن اتصالها بالمحارم والغرباء حقٌّ من حقوقها لا يجوز لأحد أن يحول بينها وبين ذلك. . ﴿فَٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْعَمَىٰ عَلَى ٱلْهُدَىٰ﴾ [فصلت: ١٧].

فانساقت الخليعات ومن في قلوبهن زيغ ومرض وراء هذه الأفكار وهذه المدنيَّة، وانخرطن في سلك الماسونية، ورحن يواقعن من شاء متى شاء وكيفما

شاء، حتى أصبحن مرتعاً لكل راتع، وركوبة رخيصة لكل راكب، وأوعية نتنة يفرِّغ فيهن الرجال نجسهم وشهواتهم وغرائزهم..

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا نَسُوا۟ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ﴾ [صٓ: ٢٦].

وتمكنت الماسونية من السيطرة على العالم بأكمله من خلال سيطرتها على منظماته الدولية، فدانت لها البلدان، وخضعت أمام جبروت ومكر الصهيونية أعتى الحكومات في الشرق وفي الغرب وفي كافة أنحاء الأرض.

كما لقد تصدَّت الماسونية المعتدية للإسلام، وناصبت سيد الأنام عليه أفضل الصلاة والسلام ألدَّ العداء، واتهمته بالدجل وبافتراء القرآن الكريم وباختراع الدين الحنيف وخداع البسطاء بالخزعبلات!..

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا۟ بَيْنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُوا۟ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١٥٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ حَقًّا ۚ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا﴾ [النساء: ١٥٠ ـ ١٥١].

وكما قال المؤرخون عن الماسونية: «إنها آلة صيد بيد الصهيونية العالمية، يصرعون بها من الساسة كل من لا ينضوي تحت لوائهم، ويخدعون من خلالها الأمم والشعوب الجاهلة والمستضعفة».

خامساً: الماسونية وراء كافة ويلات العالم:

وكما يشهد التاريخ، فقد كانت الماسونية ولا زالت وراء كافة ويلات العالم وعالمنا الإسلامي بشكل خاص، وهي التي خططت لإنشاء دولة إسرائيل، وهي التي دبّرت لها كل شيء وزودتها بالمال والعتاد والسلاح وبالقتلة المأجورين المدربين على سفك الدماء والإرهاب وزرع الرعب؛ ليجبروا أصحاب الأرض لينزحوا عن ديارهم وأرضهم فراراً بأطفالهم وشيوخهم ونسائهم من القتل.

كما حرَّضت الماسونية العالمية ـ ممثلة بإسرائيل ـ على الثورات والانقلابات العسكرية التي أزاحت الحكومات الوطنية المخلصة، ونصَّبت أخرى تدين بأفكارهم ومعتقداتهم! وهي التي أزاحت الخلافة الإسلامية لأن السلطان العثماني عبد الحميد عارض وبشدة فكرة إنشاء وطن قومي لليهود في فلسطين.

كما كانت الماسونية وراء حدوث الثورة الفرنسية والبلشفية الدمويتين، وهي التي أسَّست الحزب الشيوعي والفكر الماركسي الملحد، وهي التي أسّست قبل ذلك الفكر الرأسمالي الليبرالي في الغرب، فتمكنت من خلال هذين النظامين العالميين من السيطرة على أكبر دولتين في العالم، وبذلك وبأسلوب غير مباشر تمكنت من السيطرة على العالم الشرقي والغربي، كما صارت قادرة على التحكُّم بمقدرات الدولتين العظميين وبسياستهما، وبمقدرات وثروات العالم أجمع، الذي بدا وكأنه مسخر لخدمة مصالحها.

سادساً: السيطرة على شعوب العالم وحكوماته:

لكي يسهل على الماسونية السيطرة على كافة الدول على سطح الأرض، أنشأت محافلَ لها في كل دولة، ثم جذبت إليها أكبر الشخصيات في هذه الدول وقادَتَها ومفكِّريها ورجال السياسة فيها، وذلك بالإغراء والترغيب، والوعود بالمناصب الحسّاسة، وبالرشوة والدهاء والتدليس، وبكل الوسائل المتَّبعة في محافلهم.

بهذا الأسلوب الماكر، ومن خلال الإرهاب والتسلُّط، تمكنت الصهيونية العالمية من خلال آلتها الفتّاكة (الماسونية) من السيطرة على شعوب الأرض وحكوماتهم.. لذلك ما أن يصحو ضمير إحدى الدول وتعترض على وحشية إسرائيل، أو تعترض على أحد تصرفاتها، حتى تنهض باقي الدول وفي مقدمتهم أمريكا وإنكلترا مدافعة عن ربيبتهم!.. كلّنا يذكر التدخّل الأمريكي السافر في الحرب بين سورية وإسرائيل عام (١٩٧٣م)، فقُلبت الموازين

وأُنقذت إسرائيل من هزيمة وشيكة ماحقة.. وعندما استمرت انتفاضة الأقصى في أكتوبر/ تشرين الأول (٢٠٠٠م) رغم العنف الإسرائيلي الوحشي في التصدي للأطفال واليافعين من الشباب الفلسطيني، وبعد أن قتل الثوار أول اثنين من جنود الاحتلال، ثارت ثائرة الغرب وأعلنوا استنكارهم، وتناسوا قوافل الشهداء الفلسطينيين، وراحوا يطالبون وبوقاحة ما بعدها وقاحة، بضبط النفس وإيقاف العنف!.. واعتبروا الجهاد المشروع من أجل استرجاع الوطن السليب إرهاباً وعنفاً!.. ولم يكتفوا بذلك، بل سارعوا إلى عقد قمة طارئة في شرم الشيخ، لا لإيقاف الوحشية والهمجية الإسرائيلية! بل لإخماد الانتفاضة المباركة لأنها تقضُّ مضاجع الإسرائيليين والصهيونية العالمية وأمريكا وغيرهم من المتعاطفين الظالمين.

● لقد اكتفيت بهذا القدر من الحديث عن الماسونية البغيضة، ولكن ولمن أراد معرفة المزيد عن جرائمها ودمويتها وخبثها وإلحادها، وتفسُّخ متبعيها وموقفهم من الإسلام، فإني أنصحه بالرجوع إلى أحد الكتب التالية:

١ ـ حقيقة الماسونية: للدكتور محمد علي الزغبي.

٢ ـ أصل الماسونية: ترجمة الأستاذ عوض الخوري.

٣ ـ أحجار على رقعة الشطرنج: ترجمة الأستاذ سعيد الجزائرلي.

٤ ـ القوة الخفية التي تحكم العالم: جان مينو.

٥ ـ أسرار الماسونية: الجنرال رفعت أتلخان.

● **وختاماً**: بعد هذا العرض السريع للماسونية وربيبتها إسرائيل، وبعد الذي شاهدناه على أرض الواقع من ممارسات وحشية ضد شعب فلسطين والدول العربية المجاورة لها، أضحى لزاماً على كل ماسوني أن يترك هذه المنظمة الهدَّامة، وأن يعود إلى جادة الحق والدين قبل أن تغرغر الروح في

حلقومه، فيُبعث مع المرتدين والكفار والملحدين: ﴿وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ﴾ [البقرة: ٢١٧].

لقد أسَّس الماسونيون محافلهم على شفا جرفٍ هارٍ فانهار بهم في نار جهنم، جزاءً وفاقاً لما اقترفته أيديهم بحق الكبير المتعال وشرائع السماء..

قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَٰلَهُمْ﴾ [محمد: ١].

وقال سبحانه: ﴿وَلَا يَزِيدُ ٱلْكَٰفِرِينَ كُفْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ إِلَّا مَقْتًا ۖ وَلَا يَزِيدُ ٱلْكَٰفِرِينَ كُفْرُهُمْ إِلَّا خَسَارًا﴾ [فاطر: ٣٩].

أمّا من الناحية القومية فإننا نعتبر كل ماسوني خائناً وخارجاً عن إرادة أمته ووطنه، وعدوّاً مبيناً لهما، وإن لم يَعُدْ عن غيّه وضلاله فحكمه حكم من ارتكب خيانة عظمى: الشنق حتى الموت، أو بقطع الأيدي والأرجل من خلاف ومن ثمَّ نفيهم من الوطن، لتبقى ربوعنا نقية وخالية من الدنس، وليبقى شعبنا قويّاً متماسكاً وصامداً في وجه الاستعمار وربيبته المسخ إسرائيل.

* * *

الفصل

٨ العلمانية

أولاً: العلمانية ونشأتها:

يُقصد بالعلمانية: اللادينية في الحكم (Seculafism)، ولكنها في واقع الأمر وجه آخر للماسونية ابتدعه دهاة اليهود وفلاسفة المادية والإلحاد؛ ليجذبوا إلى جحيمهم أولئك الذين اتّخذوا موقفاً حذراً من الماسونية والوجودية والشيوعية. . فوقع في هذا الشَّرَكِ خلق كثير.

ظهر الفكر العلماني المعادي للدين وعلمائه كردّة فعل لفساد القسيسين والرهبان واضطهادهم للناس، وسلبهم أموالهم وأراضيهم، واستغلال طاقاتهم وعَرَقهم.

وكان أول من دعا إلى فصل سلطة علماء الدين عن السياسة والحكم الفيلسوف **ديكارت**، ثم تبعه **بيكون**، ثم **سبينوزا**، ثم **جون لوك**، وهم جميعهم ملحدون مارقون.

وفي (١٧٧٨م) مهَّد **جان جاك روسو** للثورة ضد الكنيسة والإقطاع، فألف كتاب: (العقد الاجتماعي) الذي اعتبره الفرنسيون إنجيل ثورتهم التي قامت عام (١٧٨٩م).

أما اليهودي **سبينوزا** فقد كان رائد العلمانية، واعتبرها منهجاً للحياة ولسلوك الناس، وأصدر بآرائه العلمانية كتاب: (اللاهوت والسياسة).

ثم جاء **ڤولتير** صاحب كتاب: (القانون الطبيعي) الذي أنكر وجود الله

وأنه خالق الكون، ونسب الخلق والإبداع للطبيعة ذات القدرات الخارقة.

ثم دعا **وليم جودين** عام (١٧٩٣م) من خلال مقالاته وكتابه: (العدالة السياسية) إلى العلمانية وإلى الابتعاد عن الدين.

وابتدأت الثورة الفرنسية بتظاهرة غوغائية احتشدت أمام الباستيل، ثم هدَّمته وطالبت بالحرية والمساواة والإخاء ـ وهي نفس الشعارات الزائفة التي تختفي وراءها الماسونية السوداء ـ .

وفي عام (١٨٥٩م) أصدر **تشارلس داروين** كتابه: (أصل الأنواع) الذي أنكر فيه الخلق الإلٰهي، وقال بأن كافة الكائنات الحية البدائية قد ظهرت قبل مليارات السنين بشكل تلقائي، ثم راحت تتطوّر حسب ظروف البيئة حتى تمخّضت عن كافة المخلوقات التي تدبّ الآن على سطح الأرض بما فيها الإنسان.

وأيَّد هذه النظرية الملحدون: **دوركايم، وفرويد، وكارل ماركس** مؤسس الفكر الشيوعي الذي قال: إن الدين أفيون الشعوب، كما أيدتها الماسونية والشيوعية ومؤيدو الفلسفة الوجودية مثل: **جان بول سارتر وكولن ويلسون** وغيرهم.

انتشرت العلمانية بسرعة كبيرة في أرجاء الأرض وتبنَّتها حكومات كثيرة غربية وشرقية، عربية وأعجمية.

ثانياً: أسس العلمانية وأعمالها:

تُنكر العلمانية وجود الله، وإن كان بعض متبعيها يؤمن بوجوده سبحانه ﷻ إلا أنهم ينفون الخلق الإلٰهي، وينكرون الشرائع السماوية والبعث والحساب..

قال تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ﴾ [الجاثية: ٢٤].

لقد حثّوا الناس على السعي والعمل لدنياهم، وشجعوهم على التمتّع بما تزخر به الحياة من ملذات جنسية وغير جنسية، ودعوا إلى الإباحية وإلى اجتراح كافة الموبقات.

وفصلوا بين عالمي المادة والروح، وبين السياسة والدين، وطبّقوا مبدأ النفعية (البراغماتيزم) على كل شيء في الحياة، كما اعتمدوا مبدأ (الميكياڤيلية) في فلسفة السياسة والحكم والأخلاق، ودعوا إلى الإباحية وإلى تحرير المرأة وإلى هدم الأسرة وإلغاء الرابطة الزوجية وتلبية حاجات الجسم الفسيولوجية والغريزية والجنس من خلال البغاء والفوضى اللاأخلاقية.

ولكي يسهل تطبيق هذه الدعوة إلى التفسّخ والانحلال دعوا إلى تحرير المرأة، وشجّعوها على الفساد وعلى ممارسة الجنس مع من تريد دون رابطة الزوجية، واعتبروا ذلك علامة تحضّرها ورقيِّها وتمدّنها، واعتبروها زهرة فوّاحة يحقّ لكل من يشتهيها أن يرشف ما شاء من رحيقها، فامتُهنت بذلك كرامة النساء، وصرن ذليلات مبتذلات وألعوبة بيد الرجال ومكان تنفيس وتفريغ غرائزهم وقذاراتهم.

لقد دعوا الشعوب إلى التحرّر من مكارم الأخلاق، واعتبروها رجعية موروثة عن الآباء، واعتبروا حاملها متخلفاً لا يواكب التقدّم والمدنيَّة والتطور الفكري.

وطعنوا بالإسلام والقرآن، وأنكروا نبوَّة سيِّد الأنام عليه أفضل الصلاة والسلام، واتّهموه بافتراء القرآن، ونسبوا الفقه والتشريع للرومان.

من هذا العرض للعلمانية وتهريفاتها نجد أن فلاسفة القرن العشرين لم يأتوا بجديد عندما تعرَّضوا للإسلام والمسلمين، بل أعادوا وردَّدوا ما سبق وقاله أسيادهم من الملاحدة الأسبقين!..

قال تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِم مِّثۡلَ قَوۡلِهِمۡۘ تَشَٰبَهَتۡ قُلُوبُهُمۡۗ﴾ [البقرة: ١١٨].

لقد اعتبروا كل مسلم ملتزم بدينه رجعيّاً ومتخلفاً، ولا يحق لسفيه مثله أن ينتمي إلى هذا الزمان..

قال تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلسُّفَهَآءُ وَلَٰكِن لَّا يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٣]..

وأرادوا من هذا كلِّه أن يطفئوا نور الله بأفواههم، وأن يُخمدوا روح الإسلام بإرباك المسلمين وإحراجهم ليجبروهم على كتم إيمانهم، خاصة منهم من اقتضت ظروفهم أن يتواجدوا في ديار الغرب الملحد.

ودعوا الحكومات الموالية لفلسفتهم وإيديولوجياتهم أن يغسلوا أدمغة الأطفال، وأن يلقِّنوهم تقدّميَّتهم الملحدة منذ نعومة أظفارهم؛ ليشبّوا على ذلك وليكونوا من طينتهم ونتنهم عندما يستلمون مقاليد الأمور في بلادهم.

تزامن ميلاد العلمانية مع ميلاد الثورة الفرنسية (١٧٨٩م)، ثم انتشرت كالطاعون الوبيل في القرن العشرين.

روَّجت الماسونية والصهيونية والشيوعية لمبادئ العلمانية، فاعتنقتها شعوب الأرض وتبنَّتها حكوماتهم.

بعد أن تفشَّى الداء وعمَّ البلاء صرنا نرى أناساً يتفاخرون بعلمانيتهم وإلحادهم، وبأنهم متحرِّرون متحضِّرون ومستغربون.. قاتلهم الله أنَّى يؤفكون.

لقد ازدروا المسلمين، وتجاهلوا الله؛ وتركوا الصلاة، وأعطوا ظهورهم للقرآن ولشريعة السماء، وأنكروا البعث والحساب، وسعوا في الأرض بالفساد، وانتهكوا الحرمات وارتادوا الموبقات.

وبلغ صلفهم أشدَّه عندما راحوا يتنطّعون على الله ويسخرون منه ومن رسوله ومن دين الإسلام! وبكل وقاحة راحوا ينشرون أفكارهم في الكتب والمجلات والدوريات ووسائل الإعلام دون أن يحسبوا لله أيَّ حساب، ودون أن يرجوا الوقار لرب الأرباب.

وإذا سمعوا القرآن، وإذا ذكر الله على مسامعهم اشمأزّوا واستنكروا، وإذا ذكر أسيادهم وعقيدتهم استبشروا وهلَّلوا، قال تعالى: ﴿وَإِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَحْدَهُ ٱشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ وَإِذَا ذُكِرَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦٓ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾ [الزمر: ٤٥].. قاتلهم الله.

كما جادلوا في آيات الله واستكبروا عنها، قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ أَنَّىٰ يُصْرَفُونَ ﴿٦٩﴾ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِٱلْكِتَٰبِ وَبِمَآ أَرْسَلْنَا بِهِۦ رُسُلَنَا ۖ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٧٠﴾ إِذِ ٱلْأَغْلَٰلُ فِىٓ أَعْنَٰقِهِمْ وَٱلسَّلَٰسِلُ يُسْحَبُونَ ﴿٧١﴾ فِى ٱلْحَمِيمِ ثُمَّ فِى ٱلنَّارِ يُسْجَرُونَ ﴿٧٢﴾ ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تُشْرِكُونَ﴾ [غافر: ٦٩ ـ ٧٣].

حبَّذا لو ترافق الازدهار العلمي المعاصر مع صفاء العقيدة والدين، ومع مكارم الأخلاق واحترام عقائد الناس!.

* * *

الفصل

٩ ❁ المادية الجدلية الدياليكتية

أولاً: معنى الدياليكت:

لقد اشتُقّت كلمة دياليكت من الكلمة اليونانية القديمة: ديالجو؛ التي تعني المحادثة والمجادلة والمصادمة الكلامية للوصول إلى حقائق الأمور، لأن المجادلة برأيهم تساعدهم على اكتشاف المتناقضات بين الأفكار أو الآراء المختلفة لمختلف المفكرين والفلاسفة.

واعتبروا هذا الأسلوب في المجادلة الأمثل للارتقاء بتفكيرهم إلى ما لا نهاية، ومن ثم الوصول إلى حقيقة كل شيء.

ثانياً: مبادئ وأفكار المادية الدياليكتية وأهم رجالاتها:

- وقالوا: إن المادة أزليّة وأبديَّة، وإنها كانت موجودة قبل الفكر.

- وتوصَّلوا من خلال الدياليكت الماديّ إلى فكرة ليست واقعية ولا حقيقية؛ وهي أن قوانين المادة تحكم الطبيعة وحياة البشر، وأنها تسيطر على الكون بما فيه من مجرات ونجوم وأجرام سماوية لا تعدُّ ولا تحصى.

- وجادلوا في الذات الإلٰهية العليا بأسلوبهم المادي الجدلي، ثم أجمعوا رأيهم على أن المادة هي أصل كل شيء، وهي موجودة منذ الأزل، لذا فإن أي شيء لا وجود ماديَّ له أو كان غير محسوس أو غير مرئي فإنه لا وجود له، وبالتالي قالوا: إن الطبيعة موجودة؛ وهي مادية وهي ذات قدرات خارقة وقادرة على الخلق والإبداع، وإنها وحدها التي تحافظ على قوانين

الكون وعلى استمراريته، وأنكروا وجود الله لأنه غير محسوس!..

لم يكن فلاسفة العصر الحديث أول من أنكر وجود الله وعظمته وقدراته، بل سبقهم إلى ذلك النمروذ أيام سيدنا إبراهيم عليه السلام، إذ قال لإبراهيم عليه السلام: أنا الذي أحيي وأميت - أي: إنه هو الله - فلمّا قال له إبراهيم بأن الله يأتي بالشمس من المشرق فَائْتِ بها من المغرب، بُهت الملك النمروذ وخذله عقله بعد أن دَحَضَ اللهُ مكره.

أما فرعون الذي أنكر وجود الله وادّعى الألوهية لنفسه، وطلب من وزيره هامان أن يبني له قصراً منيفاً يمكِّنه من بلوغ السماء ومن رؤية الله؛ فقد قال فيه الكبير المتعال: ﴿ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيۡرِ سُلۡطَٰنٍ أَتَىٰهُمۡۖ كَبُرَ مَقۡتًا عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْۚ كَذَٰلِكَ يَطۡبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلۡبِ مُتَكَبِّرٖ جَبَّارٖ ﴿٣٥﴾ وَقَالَ فِرۡعَوۡنُ يَٰهَٰمَٰنُ ٱبۡنِ لِي صَرۡحٗا لَّعَلِّيٓ أَبۡلُغُ ٱلۡأَسۡبَٰبَ ﴿٣٦﴾ أَسۡبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لَأَظُنُّهُۥ كَٰذِبٗاۚ وَكَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِفِرۡعَوۡنَ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ وَصُدَّ عَنِ ٱلسَّبِيلِۚ وَمَا كَيۡدُ فِرۡعَوۡنَ إِلَّا فِي تَبَابٖ﴾ [غافر: ٣٥ - ٣٧]. **تباب**: خسارة وهلاك.

لقد صدق الله وعده، وأهلك فرعون الملحد وجنده على مرأى من المؤمنين.. وعندما أدركه الغرق وعاين البرزخ قال: آمنتُ برب موسى وهارون، فأجابه ملك الموت: **آلآن** وقد عصيت من قبل وكنت من المفسدين؟!..

● وبنفس الأسلوب المادي الجدلي الغريب ناقشوا فكرة العقل والوحي كمصدر للمعرفة، فخلصوا إلى نتيجة مفادها: أن العقل هو الله سبحانه وتعالى، وأن الله هو العقل.. تعالى الله عن ذلك علوّاً كبيراً.

من خلال هذا الفكر المنحرف غير المنطقي تصوّروا الله والكون والحياة تصوُّراً ماديّاً بحتاً، وقالوا بأن لا إله والكون مادة، وقالوا بأن الإنسان نتاج المادة، وأن الفكر من العقل (الدماغ)، وبما أن الدماغ مادة، فالفكر مادة هو الآخر.

إني أسأل هؤلاء المارقين: إذا كان الفكر مادة! فما تركيب هذه المادة؟ وهل لكل فكرة تركيب خاص بها، أم أن لجميع الأفكار تركيباً واحداً؟ وإن كانت الأفكار جميعاً ذات تركيب واحد! فكيف يميِّز الدماغ الفكرة عن الأخرى، علماً بأن الأفكار التي يمكن للدماغ البشري أن يستوعبها تقدَّر بالمليارات؟!.. وإن كان لكل فكرة مادتها الخاصة بها، فإنني أودُّ أن أعرف تركيب فكرة واحدة، أو كلمة واحدة، أو حرف واحد!.. كما أريد أن أعرف مكان هذه الأفكار في الدماغ!.

يقول **راندال**، وهو من أخسِّ المخرِّفين الماديين: «توحي الطبيعة بالحقائق في ذهن الإنسان، وبذلك فهي تكوِّن عقله وطريقة تفكيره! أي: إن الطبيعة هي التي تُملي على الإنسان القيم والمثل العليا ومكارم الأخلاق؛ ليتمكَّن من التعامل مع المجتمع».. ومما قاله هذا المأفون الملحد: «لا يوجد شيء وراء الطبيعة، وإنّ ما كان يظنّه الإنسان القديم عن عالم الميتافيزيقيا (ما وراء الطبيعة) ـ وهو يقصد بذلك الله والشرائع السماوية والوحي والملأ الأعلى ـ كله خداع ووهم وتصورات».

لقد قال فيهم الكبير المتعال: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ ﴿٨﴾ ثَانِىَ عِطْفِهِۦ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا خِزْىٌ وَنُذِيقُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ﴾ [الحج: ٨ ـ ٩].

وقال سبحانه: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٦٢﴾ كَذَٰلِكَ يُؤْفَكُ ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾ [غافر: ٦٢ ـ ٦٣].

● جاء في كتاب: (المادية الدياليكتية والمادية التاريخية) للملحدَيْن **سبركين وياخوت**: «المادة أزلية، والعالم أبدي ليس له بداية ولن يكون له نهاية.. ـ يريدان أن ينفيا عنه صفة الخلق الإلٰهي ـ وقالا: إن العالم الغيبي الذي لا ندركه شيء غير مادي، ولذلك فهو غير موجود ولا يمكن أن يوجد».

● وقال **ستالين** في كتابه: (المادية الدياليكتية والمادية التاريخية):

«المادة والطبيعة كائن واحد وحقيقة واحدة، وأعتبر المادة منبع الإحساسات والتصور والإدراك، كما أعتبر الفكر نتاج المادة، ولولا ذلك لما بلغ الإنسان ما بلغه من علوم وثقافة وكمال، وبعبارة أخرى فإن الفكر هو نتاج الدماغ، وبما أن الدماغ شيء مادِّي، لذا فإن الفكر مادة ولا يمكن فصله عنها».

فإذا كان الفكر مادة! فلماذا لم يوفرها العلماء في قوارير لنشتريها من الصيدليات والبقاليات والسوبر ماركت؟! وبما أن الدماغ البشري يستوعب منذ الولادة وحتى الممات مليارات المعلومات (المواد)، لذا يجب أن يكون رأس الإنسان ودماغه بحجم غرفة ليستوعب كل هذه المواد!..

حسب نظرياتهم البالية سيزداد حجم الدماغ البشري باضطراد مستمر مع تطور العلوم واتِّساعها، ولكن هذا لم ولن يحدث قط، فقد أثبتت المستحاثات أن حجم رأس الإنسان البدائي كان بنفس حجم رؤوسنا، وسيبقى الحجم على ما هو عليه ولو استمرت الحياة آلافاً أخرى من السنين.

وبما أن المادة في فكرهم الصدئ موجودة منذ الأزل، وأنها لم تنشأ في وقت محدد، فهي إذن أبديَّة وخالدة.. وبما أنها كذلك، لذا لا يمكن أن تكون مخلوقة لأنه لا يمكن خلق شيء لا يفنى.

● لقد أفرزت الجاهلية المعاصرة طواغيتَ عدة، كان من أكلحهم وجهاً وأمقتهم خُلُقاً **جورج بوليترز** صاحب كتاب: (أصول الفلسفة الماركسية) الذي قال فيه: «من خلال الفكر المادي الجدلي فَقَدتْ فكرة الله مفهومها، ولم يعد الجدل حول وجود الله من عدمه يُثار كما في السابق، بل أصبح كما قال لابلاس: فرضية لا نفع منها.. وقال: إن فكرة الله والدين ما هما إلا ظاهرتان إنسانيتان ـ أي: من وضع الإنسان ومن شطحات خياله ـ وإن فكرة وجود الله كانت إبداعاً إنسانيّاً، وليس الإنسان من إبداع الله».

أعوذ بالله من غضب الله، وسبحان الله رب العزة عما يصفون ويفترون ويهرفون..

قال تعالى: ﴿إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأنفال: ٥٥].

لن أتصدى الآن لهؤلاء المارقين على الله، بل سأتمّم سرد ما جاء على لسانهم من تحريف وتهريف وتخريف، ولأنني أفردت فصل «وجود الله بالدليل العلمي والعقلي والمادي» للردّ عليهم وعلى مجونهم وعبثهم واستهتارهم.

● بهذا الأسلوب اعتبر **أنجلز** في كتابه: (لودفيج فورباخ ونهاية الفلسفة الكلاسيكية الألمانية)، والماديون والشيوعيون من بعده، اعتبروا أن المادة (الطبيعة) هي الخالق الذي أوجد الحياة والإنسان والفكر البشري وأحاسيس البشر وعواطفهم ومشاعرهم.. وقالوا: إن المادة ذاتها لم تُخلق، ولكنها كانت دائماً موجودة وستظل كذلك أبد الدهر، وقالوا: إن الله خرافة ابتدعها الخيال البشري!..

قال تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الزمر: ٦٧].

قال تعالى: ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّۚ تَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ۝٣ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ﴾ [النحل: ٣ ـ ٤].

● وفي مجال الخلق قال **سبركين وياخوت** في كتابهما السابق: «تتصارع الوراثة والتغيير، أو التطور والارتقاء لتنجب أولاداً من نفس جنس الآباء، ولكن لا يشبهونهم، أي: إن الاختيار الطبيعي ينجم عن الصراع بين هذين الضدين، فينجب أنواعاً جديدة من الكائنات».

إنهما يرميان إلى القول بأنه ليس لله دور في خلق كائنات جديدة، إنما هي التناقضات بين عوامل الطبيعة التي حرّكت عملية التطور وإنتاج حيوانات جديدة أكثر تطوراً ودقة وتعقيداً من سابقيها.

وبنفس الأسلوب نما الإنسان وتطور من خلية حقيرة بدائية، كما نما فكره وعقله وكافة قدراته!.. ألا ساء ما يمترون.

● من افتراءات هؤلاء الماديين ما قالوه بأن الطبيعة تخلق كل شيء، وأنه لا حدَّ لقدرتها على الخلق والإبداع، وأنها تخلق بشكل عشوائي لا غاية منه ولا هدف، وأن البيئة والظروف المادية المحيطة تتحكَّم في حياة المخلوقات، وهي التي تدفعها إلى التطور والرقي، وهي التي جعلت الإنسان يرتقي من مملكة الحيوان!..

قال تعالى: ﴿كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا﴾ [الكهف: ٥].

● أما فيما يخص الأُسرة فقد قال الأخرق **أنجلز** في كتابه (أصل الأُسرة، ص١١٨ من الترجمة العربية): بعد أن أصبحت المُلكية عامة وبيد الدولة، لم تعد الأُسرة ملك الرجل، كما لم تعد الوحدة التي يتكون منها المجتمع، وبذلك سيتحول ما ينتجه الرجل والمرأة من أولاد إلى ملكية الدولة التي اعتبرتهم صناعة اجتماعية.

من هذا المنطلق أضحت العناية بالأطفال ورعايتهم سواء كانوا شرعيين أو بالسفاح من مهام الدولة!.. وهذا ما تبنَّته الشيوعية فيما بعد.

بهذا الأسلوب الماكر لم تعد الفتيات يتحرَّجن من مقارفة الزنى، كما لم يعد يخيفهنّ إنجاب الأطفال لعجزهنّ المادي والاجتماعي الذي يحول دون رعايتهم وتربيتهم وتنشئتهم، لذا صارت المرأة سلعة رخيصة ينالها من شاء متى شاء، وانتشرت الرذيلة وعمَّ الفساد والبلاء وضاعت الأنساب، ولم يعد لمفهوم الشرف وجود، ولا لعذرية الفتاة أي أهمية ولا لزوم، لقد أضحت تمارس الجنس الرخيص في الحدائق العامة وفي الحانات وعلى مرأى من الملأ دون حرج ولا وجل بأسلوب تترفَّع عنه كثير من الحيوانات!..

قال تعالى: ﴿وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَن تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٢٧].

الفصل

١٠ الداروينية

أولاً: تشارلز داروين ونظريته (أصل الأنواع):

ولد المارق **داروين** في إنكلترا عام (١٨٠٩م)، ودرس البيولوجيا (العلوم الحيوية)، وعمل في مجال البحث عن أصل الأنواع وعن بداية نشوء الحياة على سطح الأرض، معتمداً في دراسته على المستحاثات المدفونة في باطن الأرض.

قال داروين في كتابه: (أصل الأنواع) الذي أصدره عام (١٨٥٩م) ما يلي: «بعد الانفجار الكبير (Big Bang) الذي حدث قبل (١٥) مليار سنة، تناثرت ذرات الهيدروجين في الفضاء الفسيح، ثم وبفعل الطاقة الهيدروجينية الهائلة التي نجمت عن انشطار الهيدروجين راحت ذرات وجزيئات هذا العنصر (بروتون، نترون، إلكترون) تتَّحد ببعضها، فنجم عن ذلك مواد جديدة أثقل من الهيدروجين الذي يعتبر بنيانه الذري أبسط من بنيان كافة العناصر الأخرى التي جاءت بعده.. بهذا الأسلوب تشكلت عناصر جديدة، ثم راحت هذه العناصر يتَّحد بعضها بالبعض الآخر، فأعطت العديد من المواد والمركبات الأكثر تعقيداً.

وبمحض المصادفة اتَّحدت هذه المواد والمركبات ببعضها، فأعطت جزيئاً عضويّاً معقَّداً (Complex Molecule) الذي تمخَّض لاحقاً وبفعل قوة أو محرِّض مجهول عن ظهور مركبات عضوية أخرى ذات نشاط إنزيمي حيوي.

لقد تكثَّف السديم الدخاني الهائل الذي نجم عن الانفجار الكبير ليشكِّل

مليارات المجرات، في كل مجرة مليارات النجوم والكواكب والأقمار.

وبالأسلوب نفسه تكثفت الشمس وانفصلت عنها الأرض التي بردت قبل حوالي (٤٥٠٠ ـ ٥٠٠٠) مليون سنة بفعل بُعدها النسبي عن الشمس.. بعد أن بردت الأرض تكثَّف بخار الماء الذي كان يحيط بها، فأضحى غيوماً كثيفة سقطت على سطحها على شكل أمطار.. أمّا في القطبين وفي أعالي الجبال فقد كان السقوط ثلجاً غزيراً تراكم وغطَّى مساحات شاسعة.

وانسابت مياه الأمطار والثلوج الذائبة، فجرفت معها الكثير من العناصر والمواد الموجودة في الجبال وعلى سطح القشرة الأرضية.. أثناء ذلك انحلَّت عناصر التربة بالماء وبالهيدرجين، وتجمّعت على شكل مستنقعات آسنة، ثم وبطريق المصادفة تشكلت من هذه المواد والمستنقعات أحماض أمينية ونووية! وبأسلوب مجهول حوَّلت الطبيعة هذه المواد إلى إنزيمات حيَّة (خمائر) ذات نشاط حيوي كبير».

هكذا كان تصوُّر داروين عن بداية نشوء الحياة على سطح الأرض!.. إنه تخريف ما بعده تخريف، وسفسطة كلام لا ينخدع بها أصحاب العلم والدراية والاختصاص، وستقرأ يا أخي تفنيد العلم لهذه الادِّعاءات في نهاية هذا الفصل.

يردف الملحد تشارلس داروين فيقول: «لقد حرَّضت قوى الطبيعة هذه الخمائر، فحوَّلت مكوّنات المستنقع إلى جراثيم وفيروسات وطحالب ووحيدات خلية وفطريات، ثم وبطريق الصدفة اجتمعت هذه الكائنات الدنيا واتّحدت ببعضها فأعطت حيواناً متعدِّد الخلايا أُطلق عليه اسم الميتازون (Metazon) الذي لعبت فيه يد الطبيعة فنمَّقته وحسَّنت من صفاته، وجعلته يتطوّر وينمو إلى أشكال أخرى جديدة تختلف باختلاف الوسط الذي ظهرت فيه، وبذلك ظهرت الرخويات المائية والديدان، ومن ثم الأسماك الغضروفية فالفقارية».

لاحظ عزيزي القارئ **استخدام داروين المتكرِّر لعبارات الظنّ في تدوينه لنظرية النشوء الذاتي للمخلوقات التي شطح بها فكره!.**

يتابع داروين شطحاته وتخيّلاته فيقول: «لقد تطورت الأسماك بعد ذلك خلال ملايين السنين، فأعطت ثلاثة أشكال جديدة من الكائنات الحية:

ـ الزواحف البرمائية (Amphibians).

ـ ثم الزواحف البرية (Reptiles).

ـ ثم الحيوان الثديي البدائي (Monotreme).

وحرَّضت قوى الطبيعة المجهولة وغير الملموسة هذا الكائن الثديي البسيط، فراح ينمو ويتطور ويزداد في الحجم وفي تعقيد بنيانه وبنيان أجهزته وأعضاء جسمه، فتمخَّض عن ظهور الحيوانات الثديية التي تدبُّ الآن على سطح الأرض بما فيها القردة والخنازير والأنعام..

وتزاوجت هذه الكائنات والثدييات فأعطت كائنات أخرى تميَّزت في صفاتها عن أجدادها وآبائها، فأضحت بذلك أنواعاً وأجناساً جديدة».

هذه المعلومة غير صحيحة، وهي نظرية يعوزها الدليل العلمي والتجريبي.. ولسوء حظ داروين، ظهرت الهندسة الوراثية إلى عالم الوجود في القرن العشرين ـ أي: بعد أكثر من (١٠٠) سنة من نظرياته ـ ففنَّدتها وجمَّدتها وألقت بها في متحف الشطحات العلمية المُغرضة.

يتابع داروين سرد تصوُّراته عن الخلق أو النشوء الذاتي والتطوّر، فيقول: «وأدّى هذا التزاوج الحر والانتخاب الطبيعي بين هذه الحيوانات إلى ظهور قردة متطورة في جسمها وفي دماغها كالغوريلا والشمبانزي والجيبون التي راحت تنصب قامتها بالتدريج، حتى تحوَّلت عبر ملايين السنين إلى القرد الإنساني، ومن ثم إلى الإنسان البدائي، فالإنسان الحديث».

وبذلك أعلن داروين أنه سليل القردة والخنازير، وأنّ جده الأول كان فيروساً وجرثومة حقيرتين!.

تجاهل هذا المأفون المارق ربّ العزة والجلال الكبير المتعال الذي ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ تَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ۝٣ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ﴾ [النحل: ٣ ـ ٤].

ولكي يتقبَّل الناس نظرياته وشطحاته أعطاها اسم التطور الذي يعني الرقي التدريجي لوحيد الخلية حتى أصبح إنساناً.

ولكي يخدِّر داروين عقول الناس ويقنعهم بترهاته وأفكاره قال: إن للطبيعة قدرات لا حدود لها، وإنها قادرة على خلق وتطوير كل شيء: (Nature creats everything and there is no limit to it's creativity).

وقال داروين: إن الطبيعة تفعل ما تفعله خبط عشواء (Nature Works Haphazardly).

● عارضت الكنيسة هذا التهريف واعتبرته خروجاً على الدين، واتهمته بالزندقة، ورمته بالكفر، واعتبرته مارقاً على الله لأنه من خلال هذه الفرضيات تجاهل قدراته وعظمته وإبداعه، وجحد وجوده سبحانه! لقد اعترضت الكنيسة لأنه نسب الخلق كل الخلق للطبيعة، بينما ورد في التوراة والإنجيل أن الله وحده هو خالق الخلق كلهم، وأنه قد خلق الإنسان بيديه خلقاً جديداً، وأنه قد نفخ فيه من روحه.. كما ورد في كافة الكتب السماوية أنه ﷻ قد أنبأ ملائكته الكرام عن إرادته خلق آدم، وأنه سيجعله خليفته في الأرض: ﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ ۝٧١ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ﴾ [صۤ: ٧١ ـ ٧٢].

﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [البقرة: ٣٠].

لم يكتفِ داروين بنسب الخلق للطبيعة وحسب؛ بل جعل للمصادفة دوراً

كبيراً في تطور وظهور سلالات جديدة منه! لقد استبدل قدرات الله المطلقة بقدرات ميكانيكية خلاقة للطبيعة ليس لها وجود ولا عليها دليل.

وقال داروين: إن الطبيعة تعطي وتحرم بشكل عشوائي متخبِّط، إنها تعطي وتجود على بعض الأنواع، فتتحسَّن وتتطوّر لتعطي أنواعاً جديدة أفضل، بينما تبقى الحيوانات الأخرى التي لم تحظَ بعطاء من الطبيعة على حالها وقد تتراجع وتنقرض، وقال: إن عوامل الطبيعة تؤثر في الكائنات الحية بأسلوب مبهم ولغاية غير محدَّدة، أي: بشكل عشوائي ومضطرب؛ لأنها في الأساس غير عاقلة، ولأنها تخبط خبط عشواء.

إذا كان هذا حال الطبيعة ـ غير عاقلة وتخبط خبط عشواء ـ فأنَّى لها أن توعز لمواد بسيطة لكي تتحوَّل إلى خلية في غاية الدقة والإبداع وتفوق عشرات الكومبيوترات في روعتها وإعجازها؟! وكيف لمن يخبط خبط عشواء أن يحوِّل خلية بدائية واحدة إلى جسم بشري يحتوي على (١٠٠) تريليون خلية، كل منها آية إبداعية مذهلة تأخذ بألباب المتأملين بها وبعضيَّاتها ودقائقها؟!..

قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ مَبْلَغُهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱهْتَدَىٰ﴾ [النجم: ٣٠].

ثانياً: أنصار داروين:

لقد تحوَّلت أقوال وفرضيات وشطحات داروين إلى فكر قائم بذاته، وأضحى هذا المارق صاحب مدرسة واتِّجاه عقائدي انجذب إليه عدد كبير من الملحدين والماسونيين والشيوعيين والعلمانيين، لا لشيء علمي مفيد، بل لأن أقواله وفكره يناسب أقوالهم وفكرهم ويدعم مكرهم وإلحادهم ونكرانهم للذات الإلٰهية العليا، ليس إلا.

● من هؤلاء الملاحدة الذين ناصروا داروين على ضلاله كان **آرثر كيت** الذي أيَّد نظرية النشوء الذاتي والتطور والارتقاء رغم عدم اقتناعه بها، ورغم

عدم ثبوت الأدلَّة على ذلك؛ فقال: «**نعم، لا زالت نظريات داروين دون دليل علمي يثبتها، وستبقى كذلك أبداً، ولكني أيَّدتها لأنها قدَّمت البديل الوحيد للخلق الإلٰهي الذي جاءت به الشرائع السماوية**».

إنه كلام إنسان مارق على الله، قلبه مفعم بالحقد على الدين وعلى شريعة الله تعالى! لقد استكبر الملحدون في الأرض وعتوا عتوّاً كبيراً. وتحدّوا الله وأنكروا وجوده، وهم عنده أضعف من جناح بعوضة حقيرة لا وزن لها ولا قيمة.. ﴿وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [آل عمران: ٧٥].

﴿ٱسْتِكْبَارًا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَكْرَ ٱلسَّيِّئِ ۚ وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ ۚ﴾ [فاطر: ٤٣].

وقال سبحانه: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الزمر: ٦٧].

● وفي القرن العشرين فلسف **جوليان هكسلي** نظريات داروين فقال: «**بهذا الارتقاء نحو الأفضل تميَّز الإنسان عن باقي المخلوقات التي انحدر منها، فأضحى السيد في هذا العالم، ولكن قد يستمر تطور وارتقاء بعض الحيوانات الأخرى كالفئران والقطط فتصبح في يوم من الأيام أرقى من الإنسان، فتسود وتسيطر على هذا العالم** ـ تماماً كما تطور الإنسان من جرثومة بدائية ـ وعلى هذا لم يعد بإمكان الإنسان أن يُنكر أنه حيوان كباقي الحيوانات التي تدبّ على سطح الأرض».

ومما قاله هذا الملحد: «**بعد أن ارتقى الإنسان سلَّم التطوّر إلى قمته وصار قويّاً وبإمكانه السيطرة على الطبيعة، لم يعد بحاجة إلى الله ليعبده ويعينه كما كان يفعل الأوائل أيام ضعفهم**».

لقد عتا هؤلاء عتوّاً كبيراً، ولم يعودوا يرجون لله وقاراً، وإذا ذُكر الله اشمأزَّت قلوبهم واستكبروا استكباراً، وإذا ذُكرت الطبيعة أو ذُكر الشيطان أو أحد طواغيته كداروين أو ماركس أو لينين أو غيرهم من حاخامات الكفر

والإلحاد هلّلوا واستبشروا استبشاراً! لهؤلاء قال الكبير المتعال: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِى ٱلظُّلُمَٰتُ وَٱلنُّورُ ۗ أَمْ جَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ خَلَقُوا۟ كَخَلْقِهِۦ فَتَشَٰبَهَ ٱلْخَلْقُ عَلَيْهِمْ ۚ قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّٰرُ﴾ [الرعد: ١٦].

وقال فيهم سبحانه: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَسَمْعِهِمْ وَأَبْصَٰرِهِمْ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ ﴿١٠٨﴾ لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾ [النحل: ١٠٨ ـ ١٠٩].

● وممن فلسف نظريات داروين: **سكوت، وبرتراند راسل، وماركس، وفرويد، ودوركايم**.. لقد تبنّوا هذه النظريات وبنوا عليها فكرهم المادي والشيوعي والوجودي، ولكن بنيانهم هذا واهن وقد انهار من أول زلزال.

بعد أن زرع داروين وأنصاره في عقول الناس فكرة نشوئهم من خلية بدائية كانت مستقرة في مستنقع آسن قبل ملايين السنين، وبعد أن أعطوا للطبيعة دوراً فعالاً كاذباً في تحريك سلّم الارتقاء والتطوّر واختيارها للأصلح وإزالة السلالات الضعيفة، حتى أنتجت الإنسان المتطور، سيطرت الأفكار المادية على العقول التي صارت تعتقد بمادية الإنسان وخضوعه لقوانين المادة والطبيعة التي لا حدود لقدراتها، وأنها قادرة على الخلق، وأنها وراء خلق الإنسان.

لقد دَعَتْ نظريات ـ والأفضل أن نقول: فرضيات ـ داروين إلى حيوانية الإنسان وماديّته، وقالت: إن الظروف المادية ـ البيئية التي وُجد فيها كانت وراء وجوده وتطوره وبلوغه هذا الجمال والكمال والذكاء والروعة.. إنه يرمي إلى القول بأن الطبيعة والمادة أرادتا أن يكون الإنسان قوياً وذكياً وعاقلاً، وأن الله لم يكن وراء ذلك كما ادَّعت الديانات القديمة، التي قالت بأن الله قد خلق الإنسان وميَّزه عن كثير من مخلوقاته، وفضله عليها وجعله عاقلاً ومميِّزاً، لذا أوجب عليه التكليف ليعبده وليهتدي بهداه ويجتنب نواهيه؛ لأنه سيجعله خليفته في الأرض: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦]، ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ ٱلْأَرْضِ﴾ [الأنعام: ١٦٥].

بهذا الأسلوب الماكر حاولوا نزع فكرة التكليف من عقول الناس، كما حاولوا تحريرهم من عقيدتهم ودينهم، ومن فكرة وجود الله والبعث والحساب.

لقد أرادوا للإنسان أن يتجرَّد من كل ما هو روحي، وأن يسعى وراء شهواته وأهوائه ولذّاته، مطبِّقين مبدأ الغاية تبرِّر الوسيلة، الذي ارتأيت أن أسميه: «مبدأ ليس بعد الكفر ذنب».

ثالثاً: بين داروين وفرويد:

مهَّدت نظريات داروين لميلاد نظرية فرويد في التحليل النفسي، التي دعت إلى الإباحية والتحرّر من فكرة وجود الله، وقال: إن الدين هو الشعور بالندم الذي انتاب أولاد آدم إثر قتلهم لأبيهم؛ لأنه حال بينهم وبين مواقعة أمهم حوّاء! بعد ذلك حزنوا عليه وأنَّبهم ضميرهم. . لقد تحوَّل هذا الحزن وذاك الندم ـ حسب فلسفة فرويد ـ إلى تقديس الأبناء لأبيهم آدم وتبجيله، ومن ثم تأليهه وعبادته! وقال اللعين فرويد بأن هذا الذي حصل كان وراء فكرة الله التي نجمت في الأساس عن عقدة أوديب التي نجمت عن كبتهم الجنسي وحرمانهم من مجامعة أمهم.

يتكلَّم هذا المارق بثقة وعنجهية وكأنه شهد وقائع هذه القصة التي حدثت قبل أكثر من (٧٠٠٠) سنة، أو كأنه جلس مع قابيل وهابيل وأجرى لهما جلسات تحليل نفسي كالتي يُجريها لمرضاه المختلِّين عقليّاً مثله.

رابعاً: بين داروين وبرجسون وجان بول سارتر:

لقد آذنت نظرية داروين بميلاد نظرية برجسون في الروحية الحديثة، ونظرية جان بول سارتر في الوجودية التي أفسدت عقول الكثيرين والتي أنكرت وجود العلي القدير، كما أنكرت البعث والحساب، واعتبرت الديانات من صنع أفراد، ودعت إلى الإباحية وإلى تحقيق رغبات النفس دون الخوف من البعث والحساب. . ﴿بَلِ ٱدَّٰرَكَ عِلۡمُهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِۚ بَلۡ هُمۡ فِي شَكّٖ مِّنۡهَاۖ بَلۡ هُم مِّنۡهَا

عَمُونَ ﴿٦٦﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا وَءَابَآؤُنَآ أَئِنَّا لَمُخۡرَجُونَ ﴿٦٧﴾ لَقَدۡ وُعِدۡنَا هَٰذَا نَحۡنُ وَءَابَآؤُنَا مِن قَبۡلُ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ﴾ [النمل: ٦٦ ـ ٦٨]. .

كما دعت عقلية جان بول سارتر الوجودية إلى الانسلاخ من العادات والتقاليد والقيم والمُثُل والأخلاق، واعتبرتها عادات موروثة عن آبائنا وأجدادنا الذين كانوا رجعيين متخلفين.

خامساً: بين داروين وماركس وبروتوكولات حكماء صهيون:

هيّأت نظريات الملحد داروين إلى ظهور الفكر الماركسي المادّي، ومن ثَمّ الشيوعية الدموية التي عادت الأديان والدين الإسلامي بشكل خاص، وقتلت ملايين المسلمين الذين كان جلُّ ذنبهم أنهم كانوا مؤمنين.

لقد ورد في بروتوكولات حكماء صهيون الكثير من عبارات التهتُّك والإجرام، وعبارات كثيرة تدل على مدى مكرهم وخبثهم التي شوهوا من خلالها الكثير من حقائق الأمور! لقد قالوا عن أفكار داروين ما ليس فيها، لا حبّاً به، بل دعماً لما فيها من إلحاد وتحوير للحقائق! ومما قالوه في هذا الشأن اخترت لك عزيزي القارئ الفقرة التالية:

«لا تظنوا معشر اليهود أن تصريحاتنا كلمات جوفاء، واعلموا أننا كنا وراء ذيوع وانتشار ونجاح نظريات وفكر داروين وماركس ونيتشه، وأنّا نحن مَنْ خطَّط لهذا كله، ونحن مَنْ حوَّر هذه النظريات وجعلها تؤيد اللاأخلاقية والانحلال وتبدو منسجمة معهما، ونحن مَنْ جعل نظريات داروين تشوِّه الحقائق والعلوم والبديهيات، ونحن مَنْ جعلها تدرَّس في المدارس وفي كليات العلوم، ونحن مَنْ جعل من داروين مفكراً ومحرِّراً لفكر الإنسان، ونحن مَنْ جعل الصحف تقف بجانب نظرياته وتؤيّده، ونحن الذين جنَّدنا وسائل الإعلام في العالم لمناهضة الكنائس لتعدل عن عدائها وتشهيرها بداروين، ووضعنا حدّاً لمناهضتها لنظرياته وأفكاره الملحدة». .

إنهم أعوان الشيطان وجنده المجنَّدة: ﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾ [الفرقان: ٤٤].

﴿وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [آل عمران: ٧٥].

هذا ما قاله حكماء وحاخامات الصهيونية المجرمة وما تخفيه صدورهم أكبر وأخطر، قاتلهم الله.

● لذا ذرهم يا أخي وما يخوضون به حتى يلاقوا يومهم الذي يوعدون، وابتعد عن مجالسهم ومجتمعاتهم وتهريفاتهم تسلم في دنياك وآخرتك، واعلم أن من يحوم حول الحمى يوشك أن يقع فيه..

قال تعالى: ﴿إِنَّكُمْ لَفِي قَوْلٍ مُخْتَلِفٍ ﴿٨﴾ يُؤْفَكُ عَنْهُ مَنْ أُفِكَ ﴿٩﴾ قُتِلَ الْخَرَّاصُونَ ﴿١٠﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي غَمْرَةٍ سَاهُونَ ﴿١١﴾ يَسْأَلُونَ أَيَّانَ يَوْمُ الدِّينِ ﴿١٢﴾ يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ ﴿١٣﴾ ذُوقُوا فِتْنَتَكُمْ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ﴾ [الذاريات: ٨ - ١٤].

وقال عز من قائل: ﴿فَذَرْهُمْ حَتَّى يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي فِيهِ يُصْعَقُونَ﴾ [الطور: ٤٥].

ولا يغررك عزيزي القارئ تقلُّب الملحدين في البلاد، ولا استلامهم مقاليد أمور العباد، ولا تحكّمهم في سياسة العالم، ولا تصدّرهم مقاعد السيادة في الحكومات والبرلمانات، ولا تبتغ عندهم العزة فإن العزة لله وحده.. ابتعد عنهم ولا تخض مع الخائضين..

قال تعالى: ﴿بَشِّرِ الْمُنَافِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٣٨﴾ الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَيَبْتَغُونَ عِنْدَهُمُ الْعِزَّةَ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴿١٣٩﴾ وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذًا مِثْلُهُمْ إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا﴾ [النساء: ١٣٨ - ١٤٠].

* * *

الفصل

١١ ❁ الردّ على نظريات داروين

أولاً: الرد على فكرة ظهور الخلق الذاتي وتطوره بشكل تلقائي:

يزعم الداروينيون والماديون والشيوعيون بأن الحياة ظهرت على سطح الأرض تلقائيّاً من مواد وعناصر جامدة كالكربون والحديد والنحاس والكلور والصوديوم والبوتاسيوم وغيرها.

فكما يستحيل أن تجتمع هذه المواد وأن تتّحد ببعضها من تلقاء نفسها لتكوّن منزلاً أو آلة من الآلات أو أي شيء آخر، فإن من العسير جدّاً، بل ومن المستحيل أن يتشكّل منها بشكل تلقائي قرد أو إنسان أو أي كائن حيٍّ آخر.

وبما أن الجماد خامل، فإنه عاجز عن الإبداع، ولا يتحرَّك إلا إذا حركته قوة خارجية، وبما أنه يميل إلى التراجع والاستقرار في تركيبه أو إلى الانحلال والتفكُّك، كما في العناصر المشعَّة، فإنه يميل إلى التراجع في تركيبه الذري.

هذه الحقيقة العلمية مضادة تماماً لفكرة ظهور خلق ذاتي منها، ومن ثَمَّ تطوره بشكل تلقائي.. لقد جاء في مجلة المكتشفات (Discovery) في عددها الصادر في مايو/ أيار (١٩٦٢م) مقالاً مفاده: «لقد أثبت العلم الحديث بما لا يدع مجالاً للشك أن العناصر المعدنية ميّالة للتجرّد والاستقرار، وهي لسوء حظ الداروينيين عاجزة كل العجز عن توليد حالة من الاستقرار الكيميائي التي تتّسم بها الكائنات الحية، لذا صار مؤكّداً استحالة تحويل المواد الجامدة إلى أخرى حيَّة بشكل عفوي أو بمحض صدفة بلهاء».

ولكي تتيقَّن عزيزي القارئ من صحة هذه الحقيقة العلمية، ما عليك إلا أن تلجأ إلى الأسلوب التجريبي الذي اعتمده العلماء لكي يثبتوا صحة نظرياتهم.

ضع ما شئت من الفحم والماء والهيدروجين والأوكسجين في وعاء، وعرِّضها لما شئت من عوامل البيئة أو لقوى الطبيعة واصطبر عليها ما شئت من الزمن، ثم انظر هل سيتشكّل منها السكر بشكل تلقائي أم لا؟!.

فكما يستحيل تشكّل السكر من مكوِّناته ذاتياً، فإن من المستحيل أن تنشأ باقي المواد العضوية ذاتياً أو من نفسها، كما سيستحيل تطوّر هذه المواد إلى أخرى أكثر تعقيداً كالبروتينات أو الأحماض النووية أو الإنزيمات.

إن باب التجربة مفتوح أمام الجميع، ومكوِّنات الجسم البشري أضحت معروفة.. ضعها يا أخي أين شئت، واخلطها بما شئت، واحضنها كيفما شئت، واصطبر عليها ما شاء لك من الزمن، ثم انظر ما ستتمخَّض عنه تجربتك!..

فإذا كان تحوُّل العناصر الخاملة إلى مواد عضوية مركَّبة مستحيلاً ولو تركتها في مستنقع آسن عشرات أو مئات السنين، فأنَّى لها أن تُشكِّل خلية مذهلة في تركيبها ووظائفها، ومعجزة في بنيان وتصميم جدارها ونواتها وريبوزوماتها والشبكات الإندوبلازمية وأجهزة كولجي وغيرها من العضيَّات الخلوية البالغة الدِّقة والتعقيد، والتي تعدُّ بالآلاف في خلية لا يزيد قطرها عن بضعة ميكرونات ـ علماً بأن المكيرون جزء من ألف من الميلي متر الواحد؟!.. كيف لها أن تشكل هذا كله بشكل تلقائي؟!..

فإذا كان ظهور خلية واحدة من الجماد مستحيلاً، فكيف للجماد أن يتمخَّض عن (١٠٠) تريليون خلية حية، تشكل في مجموعها الجسم البشري؟! علماً بأن لكل من أنواع هذه الخلايا شكل يميِّزها عن أخواتها، ووظائف ومهام مميِّزة لكل منها!..

• وكيف يمكن للجماد الذي لا يعقل ولا يدرك أن يخلق ومن تلقاء نفسه خلية حيَّة تفوق في عظمتها وتعقيدها أعظم الكومبيوترات في العالم، كما تفوق في عظمتها أي مدينة صناعية ضخمة؟!.. لقد وردت هذه العبارة في مجلة لوك (Look) الأمريكية في عددها الصادر في يناير/ كانون الثاني (١٩٦٢م).

• وفي هذا الشأن قال أيضاً العالم البيولوجي البروفسور **جيمس غري** (**Sir G. Gray**) الأستاذ في جامعة كامبردج: «تفوق الجرثومة، وهي خلية بسيطة، في تعقيدها أي نظام عرفه الإنسان وصنعه من الجماد بما في ذلك الكومبيوتر! ورغم أن الجرثومة خلية بدائية، إلا أنها أعقد من أيِّ معمل ظهر إلى الوجود حتى الآن».. ﴿هَٰذَا خَلْقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِى مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ﴾ [لقمان: ١١].

• وفي هذا الشأن قال العالم **بونر** (**J. T. Bonner**) في كتابه: (أفكار علم الأحياء: Ideas of Biology): «يتعذَّر على كل عاقل أن يصدِّق تحوّل الجماد إلى خلية حيّة بشكل عفوي أو بمحض المصادفة.. لقد كانت نتيجة الدراسات التي قام بها علماء القرن العشرين في هذا المجال أن وضعوا نظرية النشوء الذاتي والتطور في خزانة الشطحات والظنون العلمية».

• لقد أكَّد العلماء الذين درسوا الخلايا العصبية تحت المُجْهِرِ الإلكتروني الذي يكبِّر (٦٠٠) ألف مرة: أن الخلية العصبية (Neuron) أشدُّ تعقيداً من أي عقل إلكتروني، علماً بأنها أصغر من الميلي متر الواحد بعشرات الآلاف من المرات، ولا يمكن أن نراها بالعين المجرَّدة.

فإذا تمكَّن عالم من العلماء من تصميم وصناعة كومبيوتر بهذا الحجم الدقيق، أفلا نعتبره عبقريّاً؟! ألا نعتبر عمله إنجازاً مذهلاً؟!..

وإذا علمنا أن في الدماغ البشري (١٠٠) مليار جهاز كومبيوتر حيوي فائقة القدرة والتعقيد، أفلا نعتبر خلقها إنجازاً مذهلاً تخشع له القلوب، حتى

المتحجِّرة منها؟! أم أن هذه المليارات من الكومبيوترات الدقيقة قد ظهرت تلقائيّاً إلى حيِّز الوجود من جمادات لا تعقل ولا تدرك ولا تملك من أمر نفسها شيئاً؟ وهل يصدِّق عقل حصيف أن تتحوَّل خلية جرثومية بدائية، وأن تهذِّب نفسها بنفسها حتى تصبح على هذا النحو الوظيفي المذهل؟!.

فعلى من يخيَّل إليه ما كان يتخيَّله داروين! وعلى من صدَّق بأن الدماغ البشري قد ظهر دون خالق حكيم مبدع: أن يصدِّق أيضاً أن الكومبيوتر والسيارة ومركبة الفضاء قد ظهرت هي الأخرى إلى عالم الوجود تلقائيّاً دون علماء قدَّروها، وآخرين صمَّموها، وفنِّيين مهرة أبدعوها!.

● لقد لفَّق الماديون وافتروا الكذب، ثم سمَّوا شطحاتهم نظريات، والأنكى من هذا وذاك أنهم صدَّقوا ترهاتهم وتشدَّقوا بها ثم راحوا يروِّجون لها! ولكي يبعدوا عن أنفسهم الحرج وانتقاد العلماء وأصحاب العقول النيِّرة قالوا: إن السر وراء تحوُّل الجماد إلى حيوانات كان ولا زال غامضاً!.. إنه هراء ما بعده هراء، وتدليس ليس كمثله تدليس، وضلال لا تفرزه إلا عقول ضالة وقلوب مريضة تأكلها نيران الحقد على العليِّ القدير!.. كيف للجماد أن يصبح حيّاً بشكل تلقائي؟! وكيف له أن يشكل لنفسه وبنفسه أعضاء كالقلب والعين والدماغ والكبد والكليتين وغيرها من الأعضاء المذهلة في دقة صناعتها وأدائها؟! وكيف يأتَّى للجماد أن يشكِّل جهازين تناسليين لدى المخلوقات، أحدهما مذكر والآخر مؤنث؟! وكيف تمكَّن من صنع أو خلق حيوانات منوية وبويضات أنثوية؟! وكيف جعل الجماد هذه الخلايا الجنسية تلتقي من خلال الاتِّصال الجنسي فيحدث الإخصاب؟! وكيف لخلية مخصَّبة أن تتطور إلى جنين كامل مذهل ومخلوق جميل متكامل؟!.

قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ ﴿٣٨﴾ مَا خَلَقْنَٰهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الدخان: ٣٨ ـ ٣٩].. نعم لا يعلمون.

و﴿كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الروم: ٥٩].

لقد تمادوا في غيِّهم عندما أنكروا وجود الله، وعندما جحدوا قدراته وإبداعه في خلقه، وعندما راحوا يجادلون في الذات الإلٰهية العليا بغير هدى ولا كتاب منير! وآثروا البقاء على ما هم عليه من خيبة وخسران ومكابرة وضلال وعناد رغم وضوح الأدلَّة وآيات الله التي هزَّت أوصالهم، وتجاهلوا قدرات الله ومضوا في غيِّهم منقادين لشياطينهم وأهوائهم وفلسفاتهم..

قال تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾ [الأنعام: ٣٣]..

لهؤلاء المارقين الغافلين قال ﷻ: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ أَوْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ﴾ [الحج: ٤٦].

ثانياً: الرد على إنكارهم الروح وعظمتها:

من شطحات هؤلاء الماديين ادِّعاؤهم بأن أي قطرة من البروتوبلازم ستتحول إلى حيوان بدائي كالأميبا بشكل عضوي، وقالوا: إن الحياة ستتشكَّل إذا استطاع الإنسان تركيب البروتوبلازم مخبريّاً، متناسين الروح وعظمتها.

أمّا البروتوبلازم فهو الهيولا أو المادة الأساسية التي تملأ تجويف الخلية، وفيها تسبح كافة أجهزة الخلية الدقيقة (العضيَّات) كالشبكة الإندوبلازمية والريبوسومات وجهاز كولجي وغيرها.

لقد صدَّقهم بعض العلماء والمجربين، فركَّبوا موادَّ مماثلة لبروتوبلازم الأميبا الذي يعتبر أبسط أشكال الحياة على وجه الأرض، ففوجئوا بأنها لم تتحرّك ولم تدب فيها الروح ولم تتكاثر ولم تنقسم ولم تتمخَّض عنها كائنات حية أبداً!..

وقام عدد كبير من العلماء بتجارب كثيرة مماثلة استمرت عشرات السنين، فكانت نتيجة أبحاثهم واحدة: «لا حياة من جماد».. ونحن نجيب عنهم فنقول: إنَّ الخلق كل الخلق لله وحده، والروح من أمره وسرٌّ من أسراره

سبحانه، قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ ۚ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٩].

وقال عزَّ من قائل: ﴿ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ ۖ وَبَدَأَ خَلْقَ ٱلْإِنسَٰنِ مِن طِينٍ ﴿٧﴾ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُۥ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ﴿٨﴾ ثُمَّ سَوَّىٰهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِۦ ۖ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۚ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٩﴾ وَقَالُوٓا۟ أَءِذَا ضَلَلْنَا فِى ٱلْأَرْضِ أَءِنَّا لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍۭ ۚ بَلْ هُم بِلِقَآءِ رَبِّهِمْ كَٰفِرُونَ ﴿١٠﴾ قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴿١١﴾ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا۟ رُءُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ رَبَّنَآ أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَٱرْجِعْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ﴾ [السجدة: ٧ ـ ١٢].

والمقصود بـ ﴿عِندَ رَبِّهِمْ﴾: يوم القيامة، ﴿فَٱرْجِعْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا﴾: أي إنهم أيقنوا بالبعث والحساب، ورأوا العذاب، وعرفوا مصيرهم، لذا سيطلبون من العزيز الغفَّار أن يعيدهم إلى الدنيا ليقوموا بشريعة الله.

ثالثاً: فشل نظرية التطور:

لقد فشل داروين في متابعة سلسلة تطور العين من الحيوانات الدنيا التي كانت غير مبصرة، إلى ندَّتها ذوات الأعين البالغة الدقة والتعقيد فقال: «لقد ظهرت العين كاملة لدى الحيوانات المبصرة دون أن تمرّ بأي مرحلة تطوّريَّة سابقة».

فإذا كان هذا حال وكلام رائد نظرية النشوء الذاتي والتطور نفسه! فلماذا يكابر البعض ويعتنقون نظرياته ويتشدَّقون بها؟! وما سرّ إصرارهم عليها رغم وضوح زيفها وإنكار العلم الحديث لها، ورغم حفظها في متحف الشطحات والخزعبلات؟!..

يجيب الحكيم العليم على هذا السؤال فيقول: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ ﴿٨﴾ ثَانِىَ عِطْفِهِۦ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ لَهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا خِزْىٌ ۖ وَنُذِيقُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ﴾ [الحج: ٨ ـ ٩].

● كما أجاب حكماء الصهاينة في بروتوكولاتهم على هذه التساؤلات فقالوا: «لقد كنَّا وراء ذيوع وانتشار ونجاح نظريات وفكر داروين، لقد حوَّرنا هذه النظريات لتؤيد التفسُّخ والانحلال، ولتتوافق مع الإلحاد، ولتناسب اللاأخلاقيات، ونحن مَنْ جعل نظريات داروين تشوِّه الحقائق والعلوم والبديهيات، ونحن مَنْ جعلها تُدرَّس في الثانويات وفي كليات العلوم في أنحاء الأرض». قاتلهم الله أنَّى يؤفكون.

● يقول داروين في الفصل السادس من كتابه: (أصل الأنواع) الذي طُبع عام (١٨٥٩م): «إني لا أشك بأن اعتراضات كثيرة قد خطرت ببال القارئ قبل أن يصل إلى هذا الفصل من كتابي.. إن بعض هذه الاعتراضات خطيرة لدرجة أنني حتى اليوم أضطرب وتعتريني هزَّة وقشعريرة كلما فكرت فيها».

إنها بالطبع انتفاضة الضمير التي انبثقت من أعماق وجدانه معبِّرة عن رفضها لهذه الافتراءات الواهية على الله، ومستنكرة ادَّعاءاته بأن الطبيعة قد كانت خلَّاقة، وأنها قد أبدعت كافة المخلوقات.

فهل يتحتَّم علينا أن نُسلِّم بنظرية الخلق الذاتي والتطور وبقاء الأصلح وأن نعتبرها أمراً واقعاً، بينما يتحرَّج واضعها بمجرد التفكير بالاعتراضات التي ستلاقيها من المفكرين والعلماء، ويختلج لها جسمه ويرفضها ضميره؟!.

يقول العالم الملحد **دوبز هنسكي**، وهو زميل داروين: «مما لا شكَّ فيه أن المظاهر التاريخية المتمِّمة لحلقات التطور ما زالت غير معروفة، ولا نستطيع أن نرى الأسباب التي قرَّرت تطوّر النوع البشري إلا من خلال ضباب».

فهل يأخذ العقلاء برؤية ضبابية؟! وهل يقبلون بحلقات التطور المحفوظة في مستحاثات الأرض بعد أن ثبت وجود حلقات كثيرة ضائعة من سلسلتها؟! إنها فجوة كبيرة وسحيقة جدّاً تلك التي تفصل عصر القردة والقردة المنتصبة

القامة وبين الإنسان.. لقد امتدت هذه الفجوات التاريخية مئات الآلاف، بل وملايين السنين.

وكما أسلفنا؛ يدَّعي الماديون أن الكون تشكَّل قبل (١٥٠٠٠) مليون سنة، وأن الحياة قد بدأت على سطح الأرض قبل ملياري سنة، وكانت تقتصر آنذاك على كائنات دقيقة بدائية تمخَّضت لاحقاً عن كافة المخلوقات التي تدبُّ على سطح الأرض الآن.

لقد زعم الماديون الذين يدَّعون رجاحة العقل وسعة الأفق أن العقل الحصيف لا يؤمن إلا بما يراه ويلمسه ويتعامل معه، ولذلك فهم لا يؤمنون بالله العليِّ القدير؛ فكيف آمنتم بالانفجار الكبير الذي حدث قبل (١٥) مليار سنة دون أن تروه؟! وهل عاصرتم الكون وهو يتشكَّل من ذرات الهيدروجين المبعثرة في الفضاء الفسيح؟! وهل شاهد أحد الفلاسفة الكائنات الدنيا وهي تتشكَّل تلقائياً من الجماد؟! وهل شهد أحدهم تطوّر الكائنات الدنيا حتى أضحت أكثر تعقيداً وكمالاً؟! وهل شاهدوا قرداً أضحى فيلسوفاً؟!.

لقد جحدوا وجود الله لأنه لم يتراءَ لهم، ولأنه لم يخضع لتجاربهم، ولأنهم عجزوا عن مشاهدته لضعف في بنيانهم وقدراتهم، ولكنهم لم يجحدوا نظريات داروين رغم أنهم لم يعاصروا النشوء الذاتي للخلق ولا التطور، ولم يلمسوا من ذلك شيئاً.. ﴿بَلْ يُرِيدُ ٱلْإِنسَٰنُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُۥ﴾ [القيامة: ٥].

واستكبروا في أنفسهم وعتوا وتجبَّروا على الله وظنوا أنهم بمكرهم ودهائهم قادرون على طمس الحقائق وعلى إطفاء نوره ﷻ، وتغيير سُنّته وفطرته في الخلق والعباد..

قال تعالى: ﴿ٱسْتِكْبَارًا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَكْرَ ٱلسَّيِّئِ ۚ وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ ۚ فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ ٱلْأَوَّلِينَ ۚ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحْوِيلًا﴾ [فاطر: ٤٣].

كما شيَّد الداروينيون والملحدون والصهاينة والشيوعيون صرحاً كبيراً من الزيف والتزوير والافتراء والتدليس والأوهام والتشكيك، ثم زخرفوه بفلسفتهم المادية الملحدة، فجاء كبنيان حقير واهن من الثلج أبدعته أيدي أطفال عابثين، فلمَّا بزغت شمس الحقيقة خرَّ صرحهم وذاب وصار أثراً بعد عين.

إنَّ جحودهم هذا لوجود الله كجحود الأعمى لنور القمر، إنه جحود واهن مضحك لا يؤخذ به؛ لأنه لا يغيِّر من الحقيقة ومن وجود القمر شيئاً.

هذا، ومن ناحية أخرى: لا يمكن لأحد ـ كائناً من كان ـ أن ينكر على المتصوِّفين ما توصّلوا إليه عن حقيقة الحق ﷻ من خلال استغراقهم في التأمّل والتبصُّر في آلائه ﷻ، وفي معجزاته وفي آياته المذهلة في كافة مخلوقاته.

من خلال هذا التأمُّل المديد نمت قدرات المتصوفين وفطنتهم وبصيرتهم حتى تميَّزوا بها عن عامة الناس، ولذلك اشتروا الآخرة بالدنيا، وانقطعوا إلى الاستمتاع في تبصّرهم وتقرُّبهم من الله، وزهدوا في متاع الحياة الدنيا ومغرياتها وفلسفاتها.

لقد كانت الإشعاعات الكامنة في الفضاء الخارجي وفي جوِّ الأرض وحتى عهد قريب من الغيبيات التي تعجز حواسنا عن رؤيتها ولمسها، ولكن تكنولوجيا العصر بما تزخر به من أجهزة بالغة الدقة والحساسيّة تمكَّنت من رصدها، ومن تحديد طبيعتها وخواصها، فلم تعد من الغيبيات رغم أننا كنَّا ولا زلنا لا نراها.

وكذلك الحال بالنسبة للكبير المتعال، لنور السموات والأرض، الذي عجزت حواسنا وتقنيَّتنا عن إدراكه سبحانه..

قال تعالى: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَـٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَـٰرَ﴾ [الأنعام: ١٠٣]..

إنه موجود، وهو يرانا وإن لم نكن نراه، ومن ينكر وجوده وعظمته وقدراته وإبداعه فهو كافر وجاحد ومكابر.

أعود إلى فلاسفة الكفر والإلحاد وأذكِّرهم بأنهم لم يتمكنوا من سبر أغوار التاريخ الأعمق من (٦٠٠٠) سنة فقط، كما لم يتمكنوا من سبر طبقات أرضية أعمق من (٣٠,٠٠٠) سنة! فكيف لهم أن يعرفوا ما كان عليه حال الأرض قبل ملياري سنة حيث ابتدأت الحياة فيها حسب زعمهم وتخريفهم؟! كيف يسمح هؤلاء لأنفسهم أن يطلقوا شطحات النشوء الذاتي والتطور وهم الذين قالوا: إن طبقات الأرض القديمة التي سبقت العصر الكمبرياني (٦٠٠ مليون سنة) خالية تماماً من المستحاثات؟!..

فالفجوة بين ظهور الكائنات البدائية الدقيقة وبين العصر الكمبرياني تمتد من ملياري سنة إلى (٦٠٠) مليون سنة، أي: حوالي مليار و(٤٠٠) مليون سنة! كما أن الفجوة بين الكائنات البدائية الدقيقة التي ظهرت بعد العصر الكمبرياني وبين ظهور القردة تمتد من (٦٠٠) مليون سنة إلى نصف مليون سنة، والفجوة بين الحيوانات القَديمة بما فيها من قردة منتصبة القامة وبين الإنسان كبيرة وسحيقة، وهي تزيد عن (٥٠٠) ألف سنة.

وبما أن هذه الفجوات الزمنية خالية من أيّ تسلسل في التطور، وأنها تستبعد انحدار المخلوقات الحديثة كالإنسان والمواشي من كائنات أخرى موغلة في قدمها، لذا تعتبر المستحاثات شواهدَ ثابتة تؤكد ظهور خلق جديد مفاجئ ومغاير تماماً لما سبقه من كائنات.

رابعاً: المستحاثات تنطق بوجود الله:

لقد استعان الملحدون بالمستحاثات ليثبتوا النشوء الذاتي والتطور، وبالتالي عدم وجود الله ﷻ، فإذا بالمستحاثات تنطق بوجود الله وتسبِّح بحمده وعظمته وقدرته وجبروته وإبداعه في خلقه، وتدحض افتراءاتهم..

قال تعالى: ﴿وَمَكْرُ أُوْلَٰٓئِكَ هُوَ يَبُورُ﴾ [فاطر: ١٠]، ﴿وَفِي ٱلْأَرْضِ ءَايَٰتٌ لِّلْمُوقِنِينَ ﴿٢٠﴾ وَفِيٓ أَنفُسِكُمْۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ [الذاريات: ٢٠ ـ ٢١].

لقد اتَّسع الخرق على الراتق داروين عندما فشل في تبرير أخطائه

وافتراءاته. من هذه التبريرات الواهية: «إننا نعتقد بأن كافة الأنواع الحيوانية المعاصرة قد انحدرت عن أجدادها من خلال تطوّر بطيء متدرِّج وغير محسوس، ولكننا للأسف لم نتمكن من اكتشاف مستحاثات لمخلوقات متوسطة انتقالية ذات صفات مغايرة أو مشوَّشة، بل وجدنا مستحاثات مخلوقات جديدة كاملة الخلق وذات صفات مغايرة لما قبلها من حيوانات»!.

فسبحان الذي خلق كل شيء فقدَّره تقديراً، وسبحان القائل: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ﴾ [القمر: ٤٩].

وسبحان من قال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦ قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا﴾ [الطلاق: ٣]، وهذا يعني أن الله ﷻ قد قدَّر وصمَّم كافة مخلوقاته من إنس وجن ومجرات ونجوم وكواكب وسموات وأرض وحيوان ونبات، ثم خلقهم كأحسن ما يكون الخلق: ﴿صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [النمل: ٨٨].

بالرغم من الإدانة الصريحة لنظريات النشوء الذاتي التي جاءت على لسان داروين نفسه لا زلنا نرى نظرياته في كتب العلوم في مدارس وجامعات بعض الدول العربية والإسلامية!..

لقد جاء في مجلة (التاريخ الطبيعي) في عدد أكتوبر/ تشرين الأول (١٩٥٩م) في مقال بعنوان: «داروين وشهادة المستحاثات» ما يلي: لقد وجد العلماء والجيولوجيون في طبقات الأرض الكمبريانية مستحاثات لحيوانات فقارية كبيرة بريّة وبحرية، كما وجدوا تحتها طبقات رسوبية خالية تماماً من كل أثر للحياة، مما يؤكد أن بداية الخلق كانت في العصر الكمبرياني (٦٠٠ مليون سنة)، وهذا ينفي وجود خلق بدائي أقدم من ذلك (أي بعمر ملياري سنة كما يدَّعي الداروينيون)، كما تنفي هذه الحقيقة العلمية فكرة التطور وبقاء الأصلح، وتنسفها من أساسها نسفاً تامّاً.. ﴿وَفِى ٱلْأَرْضِ ءَايَٰتٌ لِّلْمُوقِنِينَ﴾ [الذاريات: ٢٠].

في هذا الشأن قال العالم التطوري البروفسور **سمپسون** الأستاذ في جامعة هارڤارد في كتابه الشهير (الأشكال الرئيسة للنشوء) ما يلي: «لقد أكَّدت

الدراسات العلمية بما لا يدع مجالاً للشك بأن كافة الكائنات الحيّة المعاصرة بما فيها الإنسان قد ظهرت بشكل مفاجئ، وهي لا تمتُّ بصلة قربى للمخلوقات القديمة، كما أثبتت الأبحاث والعلوم عدم وجود تطوّر مستمر ولا أشكال متقدِّمة لحيوانات انتقالية تطورية».. وبذلك انقلب سمبسون على داروين بعد أن كان من حملة أفكاره وترهاته..

﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ﴾ [فصلت: ٥٣].

﴿وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ فَتَعْرِفُونَهَا﴾ [النمل: ٩٣].

● ولكي يخرج الداروينيون والطبيعيون من هذا المأزق أعملوا فكرهم المخادع فأنتج فرية جديدة سمّوها (الداروينية الجديدة)؛ كان مفادها أن ظهور سلالات جديدة وأشكال متطوِّرة من الحيوانات قد جاء بعد تراكم انتقالات متعدِّدة ناجمة عن تأقلم بطيء، ولكنه ظهر فجأة في السلالات الجديدة.

هذا هراء وتهريف، خاصة وأنهم يأسفون في ذات الوقت عن عجزهم عن إيجاد أدلَّة في المستحاثات تثبت أقوالهم وفرضيتهم الجديدة، أي إن حلقات التطور الضائعة والفجوات الكبيرة التي كانت تعيب نظريتهم القديمة وتفنِّدها بقيت على حالها، وقد لازمت فرضيَّتهم الجديدة كما لازمت سابقتها، لذلك انتقدهم عدد كبير من العلماء وأنكروا تلاعبهم بالعلم والواقع.. من هؤلاء كان البروفسور **تومبسون** (Thompson) الذي قال في كتابه (النمو والهيئة: Growth and Form): «لقد درسنا ودرَّسنا النظرية التطورية الداروينية ثمانين سنة دون أن نعرف كيف انحدرت الطيور من الزواحف، والثدييات من ذوات الأربع، والفقاريات من الحيوانات اللافقارية، والإنسان من القرد؟! والهوة بين هذه الأجناس والأنواع عميقة وعميقة جدّاً، والمسافة الزمنية بينها شاسعة جدّاً بحيث يتعذَّر علينا أن نرى من جانب الفجوة جانبها الآخر، ولذلك كلما حاولنا العبور من جنس لآخر أو من أُسرة لأخرى جابهتنا حواجز منيعة».

لقد جاء في كتاب (الإنسان الأول) الذي صدر عام (١٩٦٦م) ما يلي: «بما أن الأشكال الأكثر تعقيداً قد ظهرت في عالمي الحيوان والنبات بشكل مفاجئ ومنفصل عن سابقيها، وبما أن دراسة المستحاثات لم ترينا تسلسل أي تطور فيها، وبما أن الفجوة بين المخلوقات القديمة والحديثة قدِّرت بعشرات الملايين من السنين، وبما أن الأعضاء المعقّدة كالدماغ والعين وغيرهما قد ظهرت بشكل مفاجئ في حيوانات العصر الحديث، لذا صار من المؤكد أن هذه المخلوقات بما فيها الإنسان كان خلقاً آخر، خلقاً جديداً قدَّره الله فأحسن تقديره، وصوَّره فأبدع تصويره»..

﴿صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ﴾ [النمل: ٨٨].

وقال سبحانه: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ﴾ [الأنعام: ١٠٢].

لقد روى لنا الله ﷻ قصة خلقه لآدم فقال: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٨﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ﴾ [الحجر: ٢٨ ـ ٢٩] صدق الله العظيم.

خامساً: الطفرات ليست تطوُّراً:

أما الطفرة فإنها حادثة مدمِّرة للعضوية، وهي تشاهد مرة واحدة في كل (١٠٠) ألف جيل، مما يجعل تكرارها وتوريثها مستبعداً، وهي حالة مَرَضيَّة تنجم عن إصابة الحامل في أشهر الحمل الأولى بأمراض فيروسية أو جرثومية، كما قد تنجم عن تعرّضها لإشعاعات نوويَّة قوية؛ فالطفرة تشوُّهٌ طارئ يصيب الجنين فيجعله مريضاً أو عقيماً إن كُتبت له الحياة.

وبما أن جينات الإنسان ثابتة وقادرة على البقاء والاستمرار فترة تزيد عن (٢,٥) مليار سنة، وبما أن التشوّهات الطارئة ستختفي مع موت المولود المشوَّه عاجلاً أو آجلاً، لذا لن تغيِّر الطفرات خلق الله.

جاء في الموسوعة العلمية الأمريكية في أقوال العالم **مولّر (Muller)** الذي حاز على جائزة نوبل للسلام عام (١٩٤٦م) على أبحاثه الرائعة في علم الوراثة، وفي كتب العالم الشهير **دوبثينسكي (T. Dobthensky)** ما مفاده: «لقد ثبت أن كافة الطفرات، سواء منها ما استُحدث في المختبرات، أو ظهر بشكل تلقائي، أو نتيجة تناول عقاقير ضارة في بداية الحمل، أو إصابة الحامل بالتهاب فيروسي كالحصبة أو الحصبة الألمانية أو غيرها، هي طفرات أو تغيرات مدمِّرة للعضوية، وتسبِّب تشوهات وأمراض وبيلة مصحوبة بخلل عضوي وظيفي تجعل استمرار الحياة مستحيلاً.. كما تأكد للعلماء استحالة توريث هذه الطفرات أو التشوّهات لدى من كُتب لهم البقاء؛ فبما أن توريثها مستحيل لعدم حدوث تغيّرات مقابلة في تركيب الحامض النووي المنقوص الأوكسجين الـ (DNA) الذي يشكِّل الجينات التي تحمل الصفات الوراثية الأولية، لذا لا يمكننا أن نعتبر الطفرات تطوراً».

أمّا تقرير جريدة نيوزلاند هيرالد الذي نُشر في (١٧/ ١/ ١٩٦٣م)؛ فقد جاء فيه: «سواء كانت الطفرات تلقائية أو مصطنعة بفعل الإشعاعات المختلفة، أو بتأثير عوامل بيئية أخرى، فإن (٩٩٪) منها ضارة بالجسم ولا تنتقل إلى الأجيال التالية».

دليلنا على هذه الحقيقة العلمية أن الطفرات التي ظهرت في الناجين من تفجيري ناغازاكي وهيروشيما النوويين عام (١٩٤٥م) أثناء الحرب العالمية الثانية، وكذلك الطفرات التي أصابت الناجين من حادثة المفاعل الذري في شرنوبل الروسية وغيرها؛ كلها انقرضت ولم تورَّث أبداً.

لقد سبَّبت هذه الطفرات أمراضاً خبيثة وتشوّهات خَلْقية لم تنتقل عبر الكروموسومات والجينات إلى الأجيال التالية، علماً بأن الغالبية العظمى منهم كانوا ولا زالوا عقيمين.

سادساً: الصفات المكتسبة لا تورث:

أثبت العالم الألماني **أوغست وايسمان** ـ أستاذ علم الأحياء في الجامعات الألمانية ـ عدم إمكانية توريث الصفات المكتسبة عبر الأجيال؛ بأن قطع أذناب عدد كبير من الفئران ثم جعلها تتزاوج، فجاءت أبناؤها بأذناب طويلة كأذناب أجدادها وأصولها، ثم قطع أذناب الجيل الثاني والثالث والرابع واستمر على ذلك ما يزيد على عشرين جيلاً، فجاءت أذيال الجميع طويلة كأذيال أجدادها الأولين.

من خلال هذه التجربة أثبت العالم وايسمان بأسلوب علمي تجريبي بما لا يدع مجالاً للشك أن الصفات المكتسبة لن تصبح متوارثة، وبالتالي فإن بقاء الأصلح الذي ادّعاه داروين تقهقر مخذولاً ليُحفظ في متحف الشطحات والأوهام العلمية، وليندثر في عالم النسيان.

كما أكّد علماء الهندسة الوراثية فيما بعد صحة هذه الدراسة، فدرسوا الجينات الحاملة لصفات الذنب فوجدوها لم تتغيَّر إطلاقاً بعد قطع الأذناب، ولم يطرأ عليها أي تغيير أو تشويش في تركيبها وبنيانها.

وكان من أبرز المهتمين بهذه الدراسة العلماء: **دو ـ ديسويل** (١٩٦٠م)، والروسي **ليسنكو** (١٩٤٨م)، **وكلارك ومولر** (١٩٦٤م).. وجاء في كتاب: (علم الأحياء اليوم) للعالمين الأخيرين ما يلي: «لم تفسِّر نظرية داروين كيفية انتقال الصفات المكتسبة التي يدَّعيها، كما لم تفسِّر سبب ظهور مخلوقات ذات أعضاء وأجهزة في غاية التعقيد لم تكن معهودة في الأزمنة الغابرة!».

يتساءل العالمان: كيف يمكن لأعضاء على درجة مذهلة من الروعة والإبداع في التصميم والأداء المعجزين كالعين والدماغ أن تظهر من لا شيء؟! أو أن تظهر من وحيد خلية، أو من جرثوم بدائي، أو من حيوان رخوي مائي بسيط كان قد ظهر على سطح الأرض قبل مليارات السنين فعاش فيها ما شاء الله له ثم انقرض واندثر؟!..

سابعاً: الاعتقاد بالتطور سذاجة وسطحية:

لقد أنكر العلماء نظريات داروين وهي لا زالت في مهدها، ولكن الملحدين والماديين اليهود والشيوعيين استساغوها وتبنّوها وروجوا لها، لا لشيء، إلا لأنها تجحد وجود الخالق، وتنكر قدراته وعظمته وإبداعه سبحانه.

ليس هذا وحسب، فقد شطح خيالهم بعيداً وأفرز فلسفات مضلِّلة هاجمت الكتب السماوية وأنبياء الله ﷺ، يدفعهم إلى ذلك الحقد الكامن في أعماقهم.

لقد عمدوا إلى الحذلقة وإلى خداع الكلام وإلى التلاعب بالألفاظ والأفكار، تماماً كما تلاعبوا بالحقائق العلمية الثابتة ليضللوا الناس؛ لذلك قال فيهم العالم الفسيولوجي **تاميسيان (Tamisian)** عضو اللجنة المركزية للطاقة النووية الأمريكية: «إن الذين يؤكدون أن التطوّر واقع علمي ما هم إلا أناس واهمون منافقون ومضلِّلون، وأن ما يروونه من أحداث ويذيعونه من أقوال ليست إلا شعوذات ابتدعوها، وهي خالية من نقطة واحدة من الحقيقة، ونظريتهم ليست سوى خليط مضطرب من الأحاجي وشعوذة الأرقام».

أمّا العالم الطبيعي **كلوتز**؛ وهو بروفسور في الجامعات الأمريكية، فقد قال: «يحتاج الاعتقاد بالتطور إلى كثير من السذاجة والسطحية».

من تصريحات داروين الهزيلة قوله: إن الزرافة اكتسبت عنقها الطويل نتيجة مدِّه المستمر نحو الأعلى لكي تحصل على غذائها من أوراق الشجر؛ لأن الأرض كانت جرداء قاحلة وخالية من العشب! ثم بعد ذلك اكتسبت هذه الصفة المميِّزة وأورثتها لأجيالها اللاحقة!.

إنه تصريح يبدو للقارئ بسيطاً ومقبولاً، وفيه من العقلانية والواقع ما يجعل الكثيرين من السذَّج ينخدعون بكلماته المعسولة الماكرة والمفعمة بالكفر والنفاق ونكران الذات الإلٰهية العليا.

لداروين ولأحفاده الماركسيين والماديين والماسونيين والملاحدة أقول: إذا شحّت الأرض في غابر الزمان على الزرافات بسبب القحط والجفاف، فلماذا لم تشحّ على الشجر أيضاً؟! وكيف للشجر أن يورق ويثمر في أرض جدباء قاحلة؟! وإذا استطاعت الزرافة ـ فرضاً ـ أن تمدَّ عنقها وأن تطوِّره سعياً وراء البقاء، فلماذا لم تمدّ باقي الحيوانات أعناقها هي الأخرى وأن تطوِّره لتحافظ على البقاء، علماً بأن حيوانات كثيرة عاصرت الزرافات منذ بداية وجودها وعاشت معها نفس الظروف البيئية والقحط والجفاف كالغنم والبقر والماعز وغيرها؟!.

وبما أنها لم تنهج نهج الزرافات! لذا كان حقّاً عليها الفناء والانقراض! ولكن هذا لم يحدث وكُتب لها البقاء والاستمرار! وبقيت رقابها قصيرة!.

ولكي تتمكَّن الزرافات من البقاء من خلال الاقتيات على أوراق الأشجار فإن هذا يحتِّم عليها أن يزداد طول عنقها بشكل مفاجئ ومتزامن مع الجفاف والقحط، وإلا فإنها ستموت جوعاً قبل أن يحدث التغيير أو التطوّر الذي احتاج حسب أقوال داروين إلى ملايين السنين!.

إنني أسأل أحفاد داروين والماديين والشيوعيين أن يُثبتوا لنا هذا التحوُّل من خلال المستحاثات التي عكفوا على دراستها، والتي كانت بزعمهم الأساس الذي بنوا عليه نظرياتهم؟ كما نريد أن يعلمونا ما إذا كانوا قد وجدوا في تلك المستحاثات القديمة أثراً لزرافات بعنق قصير؟ أم أنها كانت مذ خلقها العلي القدير على هذا النحو الرشيق والعنق المديد؟ فإن فشلوا في الكشف عن سلسلة تطور الزرافات في المستحاثات ـ والفشل بالطبع أكيد ـ فسيتحتَّم عليهم أن ينبذوا فلسفاتهم البالية وسفسطاتهم الخرقاء، وأن يقعوا خاشعين أمام روعة الخلق وأمام عظمة الخالق الذي أبدع كل شيء في هذا الكون..

قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ ﴿٣٨﴾ مَا خَلَقْنَٰهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الدخان: ٣٨ ـ ٣٩].

لقد أوجد الخالق العظيم عنق الزرافة طويلاً ليرينا واسع قدرته سبحانه، وجعل عدد فقرات هذه الرقبة المديدة سبعاً فقط، أي نفس عدد فقرات رقبة الإنسان والحيوان والأنعام التي تدبّ على سطح الأرض؛ ليؤكد لنا أن الذي أبدعها إلٰه واحد، وأن قدرته كبيرة ولا حدود لها ولا حدود لعلمه ولعظمته.

على الطبيعيين والملحدين أن يُحكِّموا عقولهم وأن يعودوا إلى فطرتهم، وأن يعترفوا بوجود خالق حكيم مدبِّر، وأنه وحده الذي أبدع السموات والأرض وما فيهنّ، وأنه سبحانه قد خلق كافة الحيوانات منذ بداية خلقها على نفس الصورة الجميلة الرائعة التي هي عليها الآن..

قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٍ مِّن مَّآءٍ فَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰ بَطْنِهِۦ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰ رِجْلَيْنِ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰٓ أَرْبَعٍ يَخْلُقُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [النور: ٤٥].

وبما أن العلم يعتمد على الدراسات التجريبية المحضة ليؤكد نظرية من النظريات أو فرضيَّة من الفرضيات، فإنني أسأل الملاحدة أن يضعوا عنزة أو شاة في أرض جرداء قاحلة أو في أرض جرّدوها من عشبها عمداً، وأن يتركوا فيها بضع شجيرات مورقة، ولينظروا ما سيكون؟..

هل ستدرك تلك النعجة أوراق الشجر؟ وهل ستمدّ عنقها باتِّجاهها؟ وهل سيتطاول عنقها ميلي متراً واحداً خلال عشر سنوات؟ أم أنها ستنفق من الجوع خلال بضعة أيام؟! وإذا فرضنا نجاح التجربة، فهل ستتغيَّر الشيفرة الإلٰهية الكيميائية التي أودعها الله ﷻ في الكروموسومات والجينات ـ والتي تتحكم في الصفات الوراثية والوظيفية لكافة المخلوقات وتحافظ عليها ثابتة مليارات السنين ـ لمجرد رفع الرقاب؟! لا وألف لا.

إنها افتراءات أنكرها العلم الحديث ممثّلاً بالهندسة الوراثية، فوقع داروين ومؤيدوه من الملاحدة واليهود في شرِّ أعمالهم وتهريجهم وتخريفهم: ﴿وَمَكْرُ أُوْلَٰٓئِكَ هُوَ يَبُورُ﴾ [فاطر: ١٠].

ولكن ورغم وضوح الدليل العلمي والإلٰهي والمادي لا زال بعض الكافرين بآيات الله يجحدون: ﴿بَلْ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ مَكْرُهُمْ وَصُدُّواْ عَنِ ٱلسَّبِيلِۗ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ﴾ [الرعد: ٣٣]. . لذلك طبع الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم، فأصبحوا كالأنعام، بل أضل سبيلاً.

ثامناً: لا نسب بين الإنسان والقرد:

أما فيما يخصّ الجنس البشري فقد تجاهل داروين ومن والاه من الطبيعيين والماديين والملاحدة ما جاء في الكتب السماوية، وادّعوا بأن القرد والإنسان غصنان تفرَّعا من جذع قديم واحد! وإذا سألت أحدهم: أين جدّك الأول؟ أجابك بأنه لا زال مجهولاً، وأن العلماء لم يتمكنوا بعد من العثور عليه في المستحاثات، فبقيت مراحل تطوّر الإنسان التي يدَّعونها غامضة.

جاء في مجلة العلوم الأمريكية في عدد نوفمبر/ تشرين الثاني (١٩٦٦م) ما يلي: «لا زال نسب أجدادنا للقردة نظرية محضة ويعوزها الدليل العلمي».

لقد ظهر أول قرد على سطح الأرض قبل حوالي (٣٠) مليون سنة، ثم ظهر قرد آخر قبل (١٩) مليون سنة له أسنان وسط في شكلها وحجمها بين أسنان القردة والإنسان. . لقد وجدوا آثاره وبقايا من مستحاثاته في إفريقية فسمّوه (Dryopithecus)، أمّا القرد المشابه له والذي وجدوه في أوروبة وآسية فقد أطلقوا عليه اسم: أورازيا؛ أي أوروبة وآسية.

وكانت الهوّة الزمنية بين القرد الأول وقرد أورازيا حوالي أحد عشر مليوناً من السنين، وكانت مستحاثات هذه الحقبة المديدة من عمر الدهر خالية تماماً من سلسلة تطوّر تجمع بين القردين؛ لذا صار من البديهي أن نعتبر نوعي هذه القردة منفصلين تماماً عن بعضهما.

لقد انقرض قرد أورازيا قبل (٩) ملايين سنة بعد بقاء استمر عشرة ملايين سنة دون أن يخلِّف وراءه آثاراً تذكر لتُمكِّن العلماء من متابعة سلسلة تطوره من خلال مستحاثاته (إن كانت له سلسلة تطور!).

ثم ظهر قرد آخر في إفريقية قبل مليوني سنة، أي بعد (٩) ملايين سنة من انقراض سابقه. . وأطلقوا عليه اسم قرد الأوسترالوبيت (Astralo-pithecus) الذي لم يملك أي صفة من صفات الإنسان، ولا تربطه به لا صلة نسب ولا تسلسل تطوري عبر المستحاثات.

وخلّف هذا المخلوق بعض الأدوات البدائية الحجرية والخشبية، فدلّ بذلك على أنه كان يتمتّع ببعض الذكاء ميّزه قليلاً عن الحيوانات التي عاصرته.

وفي نفس المعنى جاء في كتاب (الطريق الطويل إلى الإنسان) الذي ألّفه العالم روبرت ليرمان عام (١٩٦١م) ما يلي: «لم يكن الأوسترالوبيت إلا قرداً أذكى من باقي أنواع جنسه، وكانت قامته مستوية، وكان يمشي على رجلين، وكانت جمجمته أصغر من جمجمة أقرانه، ولكن كان له فوق عينيه نتوء جبهي كبير كالقردة، وله نتوء بارز في منتصف جمجمته، شأنه في ذلك شأن باقي القردة».

أمّا العالم **آشلي مونتاغ** فقد قال في كتابه (العصور الأولى للإنسان) المطبوع عام (١٩٦٤م) ما يلي: «كانت جمجمة الأوسترالوبيت شديدة الشبه بجمجمة القردة السابقين، وليس فيها ما يشبه جمجمة الإنسان، ولا حجمها بحجم قحفه، وبالتالي فإن دماغه أقلّ حجماً بكثير من حجم الدماغ البشري؛ لذلك فإننا نستبعد فكرة انتمائنا نحن بني البشر لهذا القرد».

لقد تراوح حجم دماغ القرد المنتصب القامة (الأوسترالوبيت) بين (٧٠٠ ـ ١١٠٠سم³)، بينما يتراوح حجم الدماغ البشري بين (١٣٥٠ ـ ١٥٠٠سم³).

كما اكتشف العلماء بقايا قردة في سوانسكوب بإنكلترا وفي شتاين هايم في ألمانية تعود إلى (٣٠٠) ألف سنة، وكان حجم دماغها أكثر من (١١٠٠سم³)، وقد تمتّعت ببعض الذكاء الذي ميّزها عن باقي الحيوانات التي عاصرتها. . وأطلق عليها العلماء اسم قردة ما قبل النياندرتال (Pre-Neanderthal)، وبما أنها كانت عاقلة بعض الشيء لذا اعتبروها الجد

الأول للإنسان الحاضر.. ولكن آثار هذه القردة اندثرت تماماً بعد انقراضها، ولم تخلِّف وراءها مستحاثات تجعلنا نربطها ببقايا الإنسان الحالي من خلال سلاسل تطورية مقنعة.

لقد انقرضت هذه القردة واندثرت قبل ظهور الإنسان بأكثر من (٢٠٠) ألف سنة.

وبنفس الأسلوب اعتبر الطبيعيون قرد بكين (قبل ٥٠٠ ألف سنة)، وقرد جاوة وإفريقية (قبل ٣٠٠ ألف سنة) أجداداً لبني البشر.

● اكتشف بعض التطوريين في سوسيكس في بريطانيا عظام إنسان متفكِّكة ومعها فك قرد عادي (حديث).. **لقد موَّه هؤلاء الملاحدة من الباحثين فكَّ هذا القرد بمادة بيكربونات البوتاسيوم وبملح الحديد ليعطوه شكلاً متحجراً فيبدو أقدم بكثير من واقعه، ثم صبغوا عظام الجمجمة بنفس المواد ولنفس الغرض، كما بردوا الأسنان لكي تبدو متآكلة بفعل القِدَم، وقالوا بعد ذلك بأنه جدّ الإنسان الحالي** بعد أن نسبوه إلى (٥٠٠) ألف سنة، وأعطوه اسم القرد الإنساني نوع بيلتداون.

لقد مارس هؤلاء الأفّاكون الافتراء والتدليس والتزوير والتلاعب على العلم والواقع؛ تدفعهم نيران الحقد المحتدمة في قلوبهم وحناياهم، هادفين من وراء ذلك إلى إثبات التطور وجحد الخلق الإلٰهي، وإنكار الذات الإلٰهية العليا التي أبدعت كافة المخلوقات.. قاتلهم الله أنَّى يؤفكون.. ﴿وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [آل عمران: ٧٥].

وجاء في هذا الصدد في (مجلة المختار) من ريدر دايجست في عدد نوفمبر/ تشرين الثاني (١٩٥٦م) ما يلي: «لقد مُوِّهت وزوِّرت كافة القطع التي اعتبروها بقايا لإنسان بيلتداون في إنكلترا.. إننا نرفض هذا العبث الأخرق بالعلم ونعتبر قضيتهم تزويراً بتزوير».

لقد زيّن لهم الشيطان مكرهم، وصدّتهم الصهيونية المجرمة عن سبيل الله فضلّوا وضلَّ عملهم..

قال تعالى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَابَهَ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ قُلِ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ [الرعد: ١٦].

كما أوردت مجلة العلوم الأمريكية في عدد يناير/ كانون الثاني (١٩٦٥م) ما يلي: «**لا يتورع علماء التطور ـ أو الذين يدَّعون العلم ـ عن الافتراء واللجوء إلى الحيل والتدليس لينسجوا أدلة وهمية تتَّفق وخيالهم وأغراضهم، ليثبتوا أشياء تفتقر إلى الدليل العلمي القاطع**».

إنهم لم ولن يتورَّعوا عن وضع عظام قردة مع هيكل إنسان؛ ليوهموا السذَّج بأن التطوّر موجود، وأنهم من سلالة القردة وربما الخنازير..

قال تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ﴾ [المائدة: ١٠٣].

لقد استمروا في غيِّهم وتدليسهم وتضليلهم رغم ازدهار علم الوراثة في النصف الثاني من القرن العشرين، الذي أكَّد بما لا يدع مجالاً للشك بأن أصل الإنسان كان إنساناً منذ بداية خلقه، وسيبقى كذلك إلى أن يشاء الله تعالى.

وساهم العلم الحديث في دحض وتفنيد مزاعم هؤلاء المارقين على الله من خلال قياس وتحديد كمية الكربون المشع المتبقي في أقدم الهياكل العظمية البشرية، **فتبيَّن أن الإنسان الأول قد ظهر على سطح الأرض قبل فترة تتراوح بين (٦٠٠٠ ـ ٧٠٠٠) سنة فقط، بينما انقرضت القردة القديمة قبل ظهوره بمئات الآلاف، وبعضها قبل ملايين السنين**.

وكما هو معروف تمتصّ النباتات الكربون المشع (C^{14}) الموجود في الهواء والقادم من الفضاء الخارجي، فيتناوله الإنسان مع النباتات والخضروات المختلفة، فيترسَّب في عظامه.. بعد مماته سينطلق هذا الكربون المشع على

شكل إشعاعات، وستتلاشى منه بعد حوالي (٥٦٠٠) سنة ـ وهي فترة نصف عمر الكربون المشع ـ لذلك صار من المؤكد أن الإنسان الأول قد عَمَرَ الأرض قبل (٦٠٠٠ ـ ٧٠٠٠) سنة فقط، وأنه لا يمتّ بصلة نسب لا للقردة ولا لأيٍّ من الحيوانات الأخرى.

لقد كانت حضارة بابل وحضارة السلالة الفرعونية الأولى أقدم حضارات الأرض.. وازدهرت هاتان الحضارتان قبل حوالي (٦٠٠٠) سنة؛ وهذا ما أيَّدته التوراة وكذلك الموسوعة العالمية أو موسوعة الكتاب العالمي (World Book Encyclopedia)، والموسوعة الأمريكية، وكتاب (علم الأحياء اليوم: Biology of Today) وغيرها.

أمّا تاريخ الإنسان فقد بدأت وثائقه بالظهور بشكل مكتوب ومنحوت على الصخور قبل (٥٠٠٠) سنة، لذا سمّي الزمن الذي سبق الكتابة بزمن ما قبل التاريخ.

وكانت السومرية أقدم الكتابات على الإطلاق، وكان مصدرها ومركزها سومر التي ازدهرت قبل (٥٥٠٠) سنة في بابل (في العراق).

وأثبتت الوثائق التاريخية المكتوبة والأبنية والمدن القديمة وأدوات الإنسان الأول: أنه قد ظهر على سطح الأرض قبل (٦٠٠٠ ـ ٧٠٠٠) سنة فقط، وأن كلَّ ما كان يُنسب إليه قبل هذه الفترة لم يكن إلا شطحات وترهات وظنون وفرضيات وخيال وأوهام لا تمتُّ إلى الحقيقة بصلة.

لقد ابتدعها ولفَّقها الطبيعيون وفي مقدمتهم داروين، ثم تبنَّاها من بعده الصهيونيون والشيوعيون والماديون والوجوديون وملاحدة العصر من ماسونيين وزنادقة وعلمانيين وغيرهم.. لقد نمّقوا هذه الأكاذيب، وزادوا عليها من نسج خيالهم ليشكِّكوا الناس بمعتقداتهم وبخالقهم، ولينكروا وجود الله سبحانه.

تاسعاً: خُلق الإنسان الأول خلقاً آخر مختلفاً عن كافة المخلوقات:

تؤكِّد آثار الأولين ووثائقهم ولغاتهم التي نقشوها على أطلالهم وعلى صحائفهم وأوانيهم بأن الله عندما خلق الإنسان الأول خلقه خلقاً آخر مختلفاً عن كافة المخلوقات السابقة؛ لقد خلقه ذكيّاً عاقلاً مبدعاً منذ بداية وجوده، ولم يتطور عبر السنين والعصور كما يدَّعي الملحدون، ولكنه ارتقى بعلومه وبقدراته الإبداعية؛ فعرف الرياضيات قبل (٤٠٠٠) سنة في شاديبور بولاية سومر، كما شيَّد السومريون قبل (٥٥٠٠) سنة قصوراً شامخة أخذت بألباب أحفادهم في القرون التالية. . والأجمل من هذا كله كانت الموسوعة العلمية السومرية التي اكتشفها العلماء المعاصرون منقوشة على الفخار!.

وفي النصف الثاني من القرن العشرين وبعد القفزة العلمية الكبيرة التي تحقَّقت على أيدي علماء الوراثة، صار من المسلَّم به أن يولد كل مخلوق على شكل والديه وبنفس صفاتهما، كما تبيَّن أن الحمض النووي المنقوص الأوكسجين الـ (DNA) الذي يعتبر لبنة بناء الكروموسومات وما تحمله من جينات ومورِّثات، **يحمل الشيفرة الوراثية التي تتقيَّد بأوامر الخالق، فلا تسمح بحدوث أيِّ شذوذ في الخلق مهما كان طفيفاً، سواء في شكله الخارجي كالطول ولون البشرة والعينين والشعر، أو في وظائف أعضائه وما تقوم به من مهام حيوية** كالنمو والهضم وضخّ الدم وتخزين المعلومات وتحليلها وإصدار الأوامر للعضلات وللغدد، وإفراز الهورمونات وطرح الفضلات، وغير ذلك من الوظائف العضوية الكثيرة.

كما أثبت العلم الحديث أن كل مخلوق سيولد على شكل والديه وأجداده، ولن يتغيَّر شيء من معالمه لا أثناء تخلُّقه في رحم أمه ولا بعد ولادته، وأنه سيموت هو والأجيال التي ستليه على نفس الصورة والشكل والتركيب الجسدي والخلوي التي كان عليها آدم عليه السلام؛ فكيف يتم ذلك يا ترى؟. .

لكي يحافظ الخالق العظيم على الأجناس والأنواع على حالها منذ أن

خلقها وحتى قيام الساعة أوجد سبحانه عدداً معيناً من الكروموسومات في كلِّ خلية من خلايا الكائنات الحية، فهي لدى الإنسان (٤٦)، ولدى القردة (٤٨)، وفي ذباب الخل ثلاثة أزواج. . . وهكذا.

يحتوي كل صبغي (٥٠,٠٠٠) جينٍ، في كل جين (٥٠٠٠) مورِّثة، تحمل كل مورِّثة عشرات الآلاف من الصفات الوراثية.

من خلال عمل حسابي بسيط سنرى الأعداد الهائلة من الصفات التي تحملها وتحافظ عليها كروموسومات الخلية البشرية، وتنقلها من جيل لآخر دون أدنى تغيير: ٥٠,٠٠٠ جين × ٤٦ كروموسوماً = ٢,٣٠٠,٠٠٠ جيناً في الخلية الواحدة، ٢,٣٠٠,٠٠٠ × ٥٠٠٠ مورِّثة في كل جين = ١١,٥٠٠,٠٠٠,٠٠٠ مورّثة في الخلية الواحدة.

ولو فرضنا أن المورّثة الواحدة تحمل فقط (١٠,٠٠٠) صفة وراثية (تحمل في واقع الأمر عشرات الآلاف من الصفات والمهام الوظيفية)، وإذا ضربنا الرقم السابق بـ (١٠,٠٠٠) فإننا سنحصل على عدد الصفات الوراثية التي تحملها كل خلية في الجسم البشري (١١٥,٠٠٠,٠٠٠,٠٠٠,٠٠٠)! تقوم هذه المورثات بالمحافظة على صفات النوع والجنس وميِّزاته وخواصه ووظائفه عبر مليارات السنين.

وإذا أردت يا أخي أن تعرف عدد الصفات الوراثية في الجسم بأكمله فما عليك إلا أن تضرب الرقم السابق بـ (١٠٠) تريليون (وهو عدد خلايا الجسم البشري) فتحصل على رقم فلكي خيالي لا يحيط بعلمه إلا العليم الخبير ﷻ. .

قال تعالى: ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾ [الأنعام: ٥٩].

قال العالم بيدل (Beadle): **«لو أردنا أن ندوِّن ما تحتويه الشيفرة الوراثية على الورق لاحتجنا إلى ما يزيد على ألف ورقة».**

والواقع أن الأوامر والمعلومات والصفات التي تحملها الشيفرة الوراثية الإلٰهية لا تعدّ ولا تحصى، وهذا ما يجعل من المستحيل أن نرى شخصين متشابهين في صفاتهما وفي صيغتهما الوراثية، ولذلك أضحت الصيغة الصبغية للمرء كالبصمة لا تشبهها صيغة صبغية أخرى لإنسان آخر على سطح الأرض.

فإذا كان من المستحيل أن تتطابق كروموسومات الإنسان مع أخيه الإنسان، فكيف له أن تتطابق صيغته الصبغية مع القردة أو الخنازير أو غيرهما من مخلوقات الله؟! فسبحان الذي أحسن كل شيء خلقه.

لقد بيَّنت الدراسات الحديثة أن طبيعة وتركيب الكروموسوم البشري مخالف تماماً لطبيعة وتركيب كروموسومات الحيوانات بما فيها القردة، كما بيَّنت وجود طابع صبغي لكل من هذه الأنواع تميِّزها عن الأنواع الأخرى فتجعلها نوعاً منفصلاً ومستقلّاً مذ أن خلقها العليّ القدير وحتى قيام الساعة.

يقول العالم البروفسور **داتسون** والبروفسور **كريك** بأن طريقة انتظام وتسلسل الأحماض النووية في الـ (DNA) التي يتركَّب منها الكروموسوم والتي تعد بملايين الملايين؛ تحدِّد صفات المخلوق وشكله وخواصه ووظائف أعضائه وخلاياه، وبذلك فهي تميِّزه عن باقي المخلوقات، وبهذا الطابع الوراثي (Genotype) يتميَّز الإنسان عن القردة، والقردة عن الخنازير. . . وهكذا.

لقد تأكد لعلماء العصر من خلال دراساتهم الدؤوبة على الانقسام الخلوي مستعينين بالمجاهر الإلكترونية أن الجينات والمورِّثات لا تفقد شيئاً من خواصها، ولا من جزيئاتها أثناء انقساماتها، كما لن يدخل شيء جديد عليها.

لقد خلق الله ﷻ بروتينات نووية تتصرَّف كالحارس الأمين الذي يضبط عمليات الانقسام الخلوي، وتردع كل تفاعل شاذ وكل انتقال شاذ لمكوِّنات الكروموسومات، أي إنها تحافظ على دقَّة نسخ الكروموسومات بحيث تبقى

كروموسومات الأبناء مطابقة تماماً لكروموسومات وجينات ومورِّثات الآباء والأجداد صعوداً حتى نبلغ أبانا آدم عليه السلام.

هؤلاء الحراس الأمناء المسخَّرون من قبل الخالق العظيم لهذه المهمة البالغة الدقة هم البروتامينات والبروتينات الهيستونية وغير الهيستونية.

تدحض هذه الحقيقة العلمية فكرة الطفرات والتطور؛ سواء كان ذلك نحو الأفضل أو نحو الأسوأ، ولذلك بقيت كافة الحيوانات الموغلة في القدم كالأسماك والزواحف والقردة، وكذلك المخلوقات الحديثة نسبيّاً كالإنسان والمواشي وغيرها؛ بقيت على نفس حالتها التي خلقها الله عليها دون أدنى تغيير.. ولولا هذه الحقيقة العلمية الثابتة لشاهدنا أناساً ينجبون خنازير، وزرافات ينجبن حمراً وحشية، وحيتان تلد فقمات، وفرساً تلد كلباً... وهكذا.

لمزيد من المعلومات عن هذه الحقيقة العلمية راجع يا أخي كتاب (الإعجاز الإلٰهي في خلق الإنسان)، وهو من إصدارات دار القلم.

فسبحان ﴿ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ ۖ وَبَدَأَ خَلْقَ ٱلْإِنسَـٰنِ مِن طِينٍ ﴿٧﴾ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُۥ مِن سُلَـٰلَةٍ مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ﴿٨﴾ ثُمَّ سَوَّىٰهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِۦ ۖ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَـٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۚ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾ [السجدة: ٧ ـ ٩].

نخلص من العرض السابق إلى حقيقة مفادها: أن الله تبارك وتعالى قد خلق الإنسان وصوَّره فأحسن تصويره، ثم أظهره إلى الوجود بشكل مفاجئ دونما صلة قربى ولا سلاسل تطوّرية تربطه لا بالقردة ولا بغيرها.

وإذا حدث اضطراب كروموسومي أثناء تخلُّق الجنين في رحم أمه؛ فإنه سيبقى من نفس النوع ولكنه سيكون مشوَّهاً (مسخاً).. فإذا أدَّى هذا الاضطراب إلى مجيء وليد يحمل في خلاياه (٤٨) كروموسوماً عِوَضاً عن (٤٦)؛ فإنه سيبقى إنساناً ولن يصبح قرداً، وسيكون مريضاً ومشوهاً ومسخاً

عقيماً، وسوف لن يكرِّر نفسه بسبب ضعفه وشذوذ بنيانه وكروموسوماته.

وبنفس الأسلوب، لو نقصت الصيغة الصبغية في بويضة القرد المخصَّبة فأضحت (٤٦) عوضاً عن (٤٨) في الخلية الواحدة، فإنه سيكون قرداً لا إنساناً، وسيكون مشوَّهاً ومريضاً وعاجزاً عن البقاء والاستمرار وعن تكرار نفسه بالتناسل؛ لأنه سيكون عقيماً.

قال النبيُّ العربي الأميّ ﷺ: «**ما مسخ الله تعالى من شيء فكان له عقب ولا نسل**»[1].

المقصود بقوله: «**من شيء**»: كل مخلوقات الله دون تحديد، وهذا ما أراد ﷻ أن يبلِّغنا إياه على لسان النبي العربي الأميِّ الأمين عليه أفضل الصلاة والتسليم.

قال العالم البيولوجي **لورن آيزلي** في مقالة له في المجلة العلمية الأمريكية في عدد ديسمبر/ كانون الأول (١٩٥٣م) ما يلي: «**إنني أشبِّه الدماغ البشري بفطر كبير ظهر بصورة سحرية مفاجئة في ليلة واحدة، وأنا لا أبالغ عندما أقول: إن ظهور الإنسان على سطح الأرض كان خلقاً جديداً مفاجئاً أشبه ما يكون بانفجار مفاجئ**»..

قال تعالى: ﴿وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ فَتَعْرِفُونَهَا﴾ [النمل: ٩٣]، تؤكد هذه الحقيقة نزول آدم من الجنة على هيئته.

عاشراً: القرآن الكريم يدحض افتراءات المفترين:

لقد جاءت نصوص القرآن المجيد قوية داحضة لافتراءات المفترين، ومنسجمة مع أحدث وأصحِّ نظريات العصر العلمية..

من هذه النصوص المذهلة قوله ﷻ: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي خَٰلِقٌۢ

---

(١) حديث صحيح (٥٦٧٣)، المجلد الثاني من الفتح الكبير «الجامع الصغير وزيادته».

بَشَرًا مِّن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٨﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ﴾ [الحجر: ٢٨ ـ ٢٩].

تؤكد هاتان الآيتان الكريمتان أن الله ﷻ قد خلق آدم خلقاً جديداً منفصلاً عن القردة وعن غيرها من مخلوقات الله، وأنه لم يكن حصيلة تطور عشوائي لكائنات دنيا، بل خلقه الله وقدره ونفخ فيه سبحانه من روحه المقدسة الجليلة، فكرَّمنا بذلك أعظم تكريم، ثم بعد ذلك يأتي من ينكر ألوهيته ﷻ وقدراته وعظمته وخلقه، سبحانه وتعالى عما يصفون..

قوله تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الزمر: ٦٧].

لقد صوّرنا سبحانه فأحسن صورنا، وجعل لنا السمع والأبصار والأفئدة، وفضَّلنا على كثير ممن خلق تفضيلاً، وميَّزنا عنهم بالعقل والحكمة لنقوم بواجبات خلافته على هذا الكوكب الجميل حقَّ القيام..

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ﴾ [يونس: ٦٠].

ولكن ورغم بزوغ شمس الحقيقة لا زلنا نرى أناساً يفترون على الله الكذب وهم يعلمون: ﴿ذَٰلِكَ مَبْلَغُهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱهْتَدَىٰ﴾ [النجم: ٣٠].

● **وأخيراً**: بعد هذا العرض السريع لا يسعني إلا أن أدعو أنصار المادية أن يتفكَّروا في آيات الله وفي عظيم قدره وقدرته، وأن يُعملوا فكرهم بنزاهة وتجرُّد من سيطرة فلسفاتهم وإيديولوجياتهم، كما أدعوهم إلى الكفِّ عن مناوأة الديانات السماوية، وأن يجلوا الصدأ عن نفوسهم، وأن يعودوا إلى طريق الحقِّ وإلى الصراط المستقيم وإلى الحنيفية السمحة قبل أن يأتي يوم لا تنفع فيه شفاعة الشافعين ولا فلسفة المتفلسفين إلا من أتى الله بقلب منيب:

﴿قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ
ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ وَأَنِيبُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا۟ لَهُۥ مِن قَبْلِ أَن
يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿٥٤﴾ وَٱتَّبِعُوٓا۟ أَحْسَنَ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم مِّن
قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٥٥﴾ أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَٰحَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا
فَرَّطتُ فِى جَنۢبِ ٱللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ ٱلسَّٰخِرِينَ ﴿٥٦﴾ أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ ٱللَّهَ هَدَىٰنِى
لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٥٧﴾ أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى ٱلْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِى كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ
ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾ بَلَىٰ قَدْ جَآءَتْكَ ءَايَٰتِى فَكَذَّبْتَ بِهَا وَٱسْتَكْبَرْتَ وَكُنتَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾
[الزمر: ٥٣ ـ ٥٩]. صدق الله العظيم.

* * *

الفصل

١٢

حضارتهم آيلة للسقوط

أولاً: حضارة الغرب مجردة من كافة المعايير الإنسانية الروحية للحضارة:

كما هو معروف فإن الحضارة أسلوبٌ حياتي جميل غايته الارتقاء بالإنسان اجتماعيّاً وأخلاقيّاً ودينيّاً واقتصاديّاً، وتنميق علاقته وتعاملاته بشكل يحفظ عليه آدميته، ويوافق فطرته، ويحترم مشاعره، ويطلق حرياته بما في ذلك حرية الرأي والفكر والتعبير والإبداع والدين.

بتطبيق هذه الأسس والاعتبارات على **حضارة الغرب الملحد نجدها مجرّدة من كافة المعايير الإنسانية والروحية تجرّداً تامّاً، وبقليل من التأمّل نرى أن مدنيَّة الغرب زائفة**، عمادها ناطحات السحاب والمصانع والأجهزة الإلكترونية التي غزت الأسواق العالمية كأجهزة الكمبيوتر والڤيديو والتلفاز وسفن الفضاء والطائرات والبوارج والغواصات والصواريخ والقنابل الذرية والهيدروجينية، وغيرها من أسلحة الدمار الشامل التي تنمّ عن حضارة همجية اعتمدت شريعة الغاب، ثم راحت تسحق الشعوب الفقيرة المستضعفة لتسلبها كنوزها ومقدَّراتها وطاقات شعوبها!..

لقد فرضت هذه الحضارة على الشعوب الفقيرة والمغلوبة على أمرها الظلم والعنصرية والاضطهاد، وأعملت في المنافحين عن دينهم وديارهم صواريخها ومدافعها وقاذفاتها الجوية.. لقد لاحقوا في انتفاضة الأقصى المباركة كل مناهض للظلم والاحتلال، فذبحوهم ذبح الخراف متجاهلين حقوق الإنسان!.. ذبحوا الأطفال الأبرياء والنساء والشيوخ العزَّل بالمئات،

وحاصروهم ومنعوا عنهم الماء والغذاء والدواء وحليب الأطفال بحجة توفير الأمن والأمان للمغتصبين اليهود في أرض وديار أصحاب الأرض والديار! هكذا قالت لهم أمريكا رمز وعنوان الحضارة الغربية، قالت لشارون وطغمته الطاغية: اقتلوا ما شاء لكم من أصحاب الحق، وانتزعوا حقَّهم بالقوة وبسفك الدماء، واحكموهم بالحديد والنار حتى تنطفئ الانتفاضة وتسكت الأفواه المعارضة.. نعم هذا ما جاءت به العولمة التي تقودها أمريكا في هذه الأيام المريرة.

لقد رفعت أمريكا راية السيادة على العالم أجمع، واتّخذت لنفسها دور الشرطي والقاضي والجلاد، وفرضت نفسها على الجميع بقوة سلاحها المتطور وبترسانتها النووية وصواريخها الباليستية.. لقد سئمنا تشدُّق إداراتها ورؤسائها وحكوماتها عن الديموقراطية وعن مراعاة وصيانة وتبنِّي حقوق الإنسان، ونسيت أنها أبادت مدينتي ناغازاكي وهيروشيما اليابانيتين بقذفهما بقنبلتين نوويتين، كما استعبدت السود ومارست عليهم أسوأ ألوان العنصرية والظلم والاضطهاد، وسلبت الأرض من أصحابها الهنود الحمر تماماً كما فعل اليهود.

ثانياً: عداؤهم السافر للإسلام والمسلمين:

وبعد انتهاء الحرب الباردة بينها وبين المعسكر الشرقي المتمثِّل بالاتِّحاد السوفياتي، لم يعد لديها ما يبرِّر تسلّحها وتطوير عتادها وترسانتها النووية، لذا ادَّعت وبوقاحة ما بعدها وقاحة، وبعنجهية وغرور كبيرين: أن العدو الأكبر الذي كان يقف في وجه الحضارة الغربية وأمريكا ولا زال هو الإسلام والعالم الإسلامي!..

لقد افتروا هذه الكذبة فصدقها شعبهم، والأنكى من ذلك أن الإدارة الكاذبة تبنَّت كذبتها وصدقتها، ثم راحت تتعامل معها وكأنها حقيقة أبدية وبديهية، فصوَّرت الإسلام من خلال إعلامها الموجّه من اللوبي الصهيوني على

أنه همجي متخلِّف، وأنه عدو للمدنيَّة والسلام وما إلى ذلك من افتراءات، علماً بأنه دين المحبة والعدل والسلام.

هل هكذا تكون المدنيّة والعولمة يا أمريكا؟! وهل هكذا تُصان حقوق الإنسان يا جورج بوش الابن؟! وهل إعطاء الضوء الأخضر لشارون وأولمرت ليقتل أطفال الحجارة الأبرياء من أسس حضارتكم ومن تعاليمها؟!..

لقد سلَّط اليهود مدافع دباباتهم وصواريخ طائراتهم على هؤلاء الأطفال المنتفضين ضد الظلم والعدوان والاحتلال الغاشم، حتى امتزج دمهم الطاهر بصفحات كتبهم وكراريسهم وهم رائحون غادون من بيوتهم إلى مدارسهم! فهل هذا من تعاليم مدنيَّتكم؟! وهل هكذا تصونون حقوق الإنسان عندما يطالب بحقه في أرضه ودياره؟!.

ثالثاً: عداؤهم للإنسانية ولحقوق الإنسان:

وإذا كانت حضارة الغرب الملحد إنسانية! فلماذا اغتصبت إنكلترا فلسطين العربية المسالمة؟! ولماذا وهبتها على طبق من ذهب لشراذم اليهود وللصهيونية العالمية؟! لماذا غدرت بالمسلمين؟! ولماذا تركت اليهود يذبحون أصحاب الأرض الشرعيين حتى ينزحوا ويهربوا مذعورين وهم أصحاب الأرض التي ملكوها وعمروها منذ فجر التاريخ؟!.

وإذا كانت إنكلترا وأمريكا وكافة دول الغرب يحترمون حقوق الإنسان كما يدَّعون! فلماذا لم يحرِّكوا ساكناً إزاء الذي حلَّ بالشعب الفلسطيني على مرِّ السنين ابتداء من (١٩٤٨م) وحتى انتفاضة الأقصى المباركة (٢٠٠١م) وانتهاء بحرب غزة (٢٠٠٩م)؟!.

وإذا كانت أمريكا ديموقراطية كما تدَّعي، وتحترم حقوق الإنسان وترعاها، وأنها القاضي العادل الذي يعطي كل صاحب حقٍّ حقه، فلماذا اعتبرت نضال الشعب الفلسطيني ضد الاحتلال الغاشم إرهاباً، والشيوخ

والأطفال والنساء الذين تصدّوا للمدافع والدبابات والطائرات بالحجارة إرهابيين غاشمين؟! ولماذا أعطى جورج بوش الابن الضوء الأخضر للجيش الإسرائيلي ليقتل المسلمين ويكتم أنفاسهم؟!.

ولماذا قتلوا (٢٠٠,٠٠٠) مسلم في البوسنة والهرسك دون أن يحرِّك عمداء الحضارة الغربية ساكناً؟! ولماذا لم يفعل أصحاب الحضارة المعاصرة شيئاً إزاء حرب الإبادة الروسية ضد الشيشان؟! ولماذا شنَّت المتحضِّرة أمريكا حرب إبادة ضروس ضد مسلمي أفغانستان؟! وهل كانوا حقّاً وراء الهجوم على نيويورك وواشنطن في (١١/ ٩/ ٢٠٠١م)؟!.

حجتهم داحضة! إنها حضارة بوجهين ولسانين وميزانين يا معشر الغرب الملحد! يا أعداء الإسلام والمسلمين!.

الحضارة دائماً إنسانية وتعني الرقيَّ والتمدّن، أما الإرهاب والاستعمار والقتل بسبب ودون سبب، والاعتداء على الشعوب الآمنة المغلوبة على أمرها فالحضارة من ذلك براء.

رابعاً: يعجزون عن معالجة أوكار الغدر والقتل والمخدرات والتشرُّد في بلادهم:

ها هو ذا البيت الأبيض، رمز الغطرسة والعنجهية والتبجُّح، وقد افترش الأمريكيون المتحضرون الحدائق المحيطة به، يتعرَّضون للمشاة الآمنين، فينهبون هذا، ويقتلون ذاك، ويغتصبون الفتيات ببرودة ودون وازع من دين أو ضمير، إنهم مفسدون في الأرض ولكنهم متمدِّنون، وقتلة ولكنهم أمريكيون!..

لقد بلغ عدد هؤلاء المشردين في أمريكا وحدها (١٥) مليوناً، وهم في ازدياد كبير وسريع، وهم برمّتهم مدمنون على المخدرات، قتلة نصّابون وقطّاع طرق، ومصدر عدوى بطاعون حضارتهم الوبيل، الإيدز اللعين.

لقد بلغت قذارتهم ذروتها عندما مارس رئيسهم الأسبق كلينتون كافة ألوان الموبقات والجنس داخل مكتبه في البيت الأبيض.

وإذا علمت عزيزي القارئ أن شرطتهم تخشى دخول أحياء المجرمين في واشنطن ونيويورك وحول البيت الأبيض؛ فإنك ستضحك ساخراً من رؤسائهم الذين فرضوا هيمنتهم بقوة السلاح على شعوب الأرض، وعجزوا في الوقت ذاته عن معالجة أوكار الغدر والقتل والمخدرات في بلادهم وحول بيتهم الأبيض!.

لقد تجاوز الإرهاب في بلادهم كل الحدود، ليس فقط على مستوى الدولة، بل على مستوى الأفراد، لأنهم برمَّتهم مسلحون، وقد يقتل الرجل رجلاً آخراً لأتفه الأسباب، وكم من هؤلاء من ذبح زوجته وأولاده بيديه بسبب الفقر والحرمان؟!.

أمَّا حضارتنا الإسلامية فإنها تقول: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَٰدَكُم مِّنْ إِمْلَٰقٍۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْۖ﴾ [الأنعام: ١٥١].

﴿وَلَا تَقْتُلُواْ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّۗ﴾ [الإسراء: ٣٣].

﴿مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا﴾ [المائدة: ٣٢].. فشتَّان بين الحضارتين!.

لقد استفحل الإجرام لديهم، وانتشرت عدواه إلى أبنائهم وتلاميذ مدارسهم الذين مارسوا القتل الجماعي داخل حرم المدارس، حتى لم يعد يأمن الإنسان على سلامة أبنائه.. لقد أضحى العنف والقتل والإرهاب وحمل السلاح من سمات حضارتهم الجوفاء.

كيف يسعون إلى القمر والمريخ ويغزون الفضاء وينفقون على ذلك المليارات، بينما يرسف شعبهم تحت وطأة الفقر والجوع والتشرُّد والمرض، ويعاني من الجهل والأميّة والحرمان وكافة ألوان الفساد والأمراض وفي

مقدمتها الإيدز والزهري والكلاميديا والإدمان؟! إنها أمراض وبيلة إن حلَّت بقوم أنهكتهم ومزَّقتهم كل ممزَّق وقوَّضت أركان حضارتهم.

وهذا ما حدث لأصحاب الحضارات الغابرة عندما طغوا في البلاد وأكثروا فيها الفساد وخرجوا عن طاعة الله، فأبادهم الله سبحانه عن بكرة أبيهم حتى أضحوا خبراً بعد عين، كقوم عاد وثمود وفرعون وقوم لوط وأصحاب الرسِّ وقوم تبَّع، ولكن، ولولا رجال خشَّع وأطفال رضَّع وبهائم رتَّع لما ترك ﷻ على ظهر الأرض من دابة: ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِمَا كَسَبُواْ مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا مِن دَآبَّةٍ﴾ [فاطر: ٤٥].. هكذا اقتضت حكمته سبحانه بعد رسالة الإسلام.

من وسائله ﷻ في القضاء على الأمم الفاسدة المارقة أن يسلِّط بعضهم على بعض، فيقتل بعضهم بعضاً، وهذا بالضبط ما نراه على أرض الواقع في ديار الكفر والإلحاد..

قال تعالى: ﴿وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُواْ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا ٱلْقَوْلُ فَدَمَّرْنَٰهَا تَدْمِيرًا ﴿١٦﴾ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ ٱلْقُرُونِ مِنۢ بَعْدِ نُوحٍ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا﴾ [الإسراء: ١٦ ـ ١٧].

خامساً: انتشار الرذيلة والإباحية والأمراض الاجتماعية الأخرى:

● لقد أجمع علماء الاجتماع في الغرب الأوروبي والأمريكي على أن مجتمعاتهم مريضة، وقد ذبلت وأضحت قاب قوسين أو أدنى من الاضمحلال والاندثار، وأن حضارتهم متصدِّعة جوفاء، وأنها آيلة إلى السقوط.

وبمقارنة الأمراض الاجتماعية التي تفشّت واستشرت فقضت على المجتمعات السالفة وحضاراتهم الغابرة لوجدناها نفس الأمراض المتفشية في الحضارة الغربية المعاصرة: كفر وإلحاد، قتل ونهب، تكبّر وتجبُّر، فواحش وموبقات واغتصاب وزنى وشذوذ جنسي وانتهاك للحرمات!.

● تقول الإحصائيات التي أُجريت في واشنطن وفي غيرها من المدن الأمريكية: إن واحدة من كل (٨) نساء يُغتصبن يوميّاً! أمّا الإحصائية التي شملت (١٠,٠٠٠) فتاة مغتصبة فقد أظهرت أن (٣٨٠٠) منهنّ كنّ دون الـ (١٢) سنة من أعمارهنّ عندما تمَّ اغتصابهن! كما تبيَّن أن (٢٠٪) منهنّ اغتصبن من قبل آبائهنّ ـ والعياذ بالله ـ وأن (٢٦٪) منهن اغتصبن من قبل إخوانهنّ وأقربائهنّ، وأن (٥١٪) اغتصبن من قبل أصدقائهنّ ومعارفهنّ وجيرانهنّ.

لقد أظهرت الدراسات أن (٢٥٠٠) فتاة أمريكية يغتصبن يوميّاً، وأن مجموع اللواتي اغتصبن مرة واحدة على الأقل يزيد عن (١٤) مليون أمريكية.

لذا فحضارتهم جوفاء وبعيدة عن الإنسانية وعن شرائع السماء، وفيها تعاشر الأخت أخاها، ويغتصب الأب ابنته دون حياء ولا وجل من جلال وعظمة الكبير المتعال الذي حذَّرنا في جميع الديانات من مغبَّة هذه الفواحش؛ فقال: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا﴾ [الإسراء: ٣٢].

وقال سبحانه: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ۖ﴾ [الأنعام: ١٥١].

وقال عزّ من قائل: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَٰتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَٰتُكُمْ وَعَمَّٰتُكُمْ وَخَٰلَٰتُكُمْ وَبَنَاتُ ٱلْأَخِ وَبَنَاتُ ٱلْأُخْتِ وَأُمَّهَٰتُكُمُ ٱلَّٰتِىٓ أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَٰتُكُم مِّنَ ٱلرَّضَٰعَةِ﴾ [النساء: ٢٣].

هذا في حضارة الإسلام الزاهية، أمّا في حضارة الغرب الملحد، فقد يواقع المرء أمه أو أخته أو ابنته أو ابنة أخته أو ابنة أخيه، فأضحوا كالأنعام والخنازير، بل أدنى منهم وأحقر.

● أما الإحصائية الإنكليزية التي أجريت على ثمانية ملايين شاب وشابة يمثلون حوالي (١٦٪) من مجموع السكان، فقد بيَّنت أن (٢٠٪) منهم عاطلون

عن العمل، وأن (١٧٠٠٠) مشردون ولا يملكون قوت يومهم، ولا يتلقّون أي رعاية من أي نوع من أي جهة حكومية أو غير حكومية.

كما أظهرت نفس الدراسة أن (١٤٠,٠٠٠) من هؤلاء أصحاب جرائم وجنايات، وأن (٨٥٪) منهم قد زجَّ بهم في السجون أكثر من مرة! كما كشفت هذه الإحصائية العجيبة أن (٣٥٪) منهم مصابون بالإيدز (طاعون العصر) وهم قاب قوسين أو أدنى من الموت! وبما أنهم يمارسون الجنس سفاحاً وبشكل عشوائي كالبهائم، لذا ستزداد نسبتهم ازدياداً كبيراً في السنوات القليلة القادمة! وبما أنهم أقلعوا عن الزواج والإنجاب، لذا سينخفض نموّهم السكاني أكثر مما هو عليه منذ عدة عقود؛ ولهذا قال علماء الاجتماع لديهم: إن الإيدز أحد العلامات التي تشير إلى قرب نهايتهم وإلى اندثارهم واندثار حضارتهم، لذا فتح الغرب أبوابه على مصراعيها لاستقبال المهاجرين من كل مكان.

كما بيَّنت هذه الدراسة أن غالبية شبابهم يمارسون الجنس سفاحاً، وهم يمارسون الجنس الصحيح والشاذ على حدٍّ سواء، كما تبيَّن أن (٥٣٪) منهم يعاقرون الخمرة، وأن (٤٥٪) منهم دون الـ (٢٥) سنة من العمر عندما أضحوا مدمنين على المخدّرات!..

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ فِى ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ﴾ [المائدة: ٩١].

﴿إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ﴾ [المائدة: ٩٠]. **والخمر**: كل ما خامر العقل، سواء كان أفيوناً أو هيروئيناً أو حشيشاً أو غيرها.. هذه حقيقة الإسلام وحضارته.

كما بيّنت نفس الدراسة أن (٥٠٠) فتاة تحمل يومياً بطريق السفاح وهنّ لا زلن دون السادسة عشرة سنة من أعمارهنّ، أي: لا زلن دون السن القانونية لذلك! ولكن أين القانون؟! وأين أتباعه؟! إنهم في غيّهم سادرون وفي غمرات

شذوذهم ونزواتهم منغمسون لاهون! لقد سمحوا للشعب ولأنفسهم أن يمارسوا الشذوذ الجنسي شريطة أن يتمّ ذلك خارج مبنى البرلمان!.

من الخطأ أن نسمِّي مجتمعهم حضارة أو مدنيّة، لأنها جاهلية ظاهرها يفتن الأنظار، وباطنها الفقر والجهل والتشرّد والفحش والشذوذ والجريمة والفساد والإيدز ومواقعة الأخوات والبنات (بناتهم من أصلابهم).

وبما أنهم مشردون لا مأوى لهم ولا ملاذ، لذا تراهم يتسكعون في الشوارع والحانات وفي الحدائق العامة وتحت الجسور وفي محطات القطارات، وفي كل مكان قد تأوي إليه الكلاب الضالة لتقي نفسها من البرد والثلوج ومن العواصف العاتية.

وبما أنهم اعتادوا أن يحقنوا أنفسهم بالمخدِّرات، لذا فهم دائماً وأبداً عرضة للموت المفاجئ الذي ينجم عن تناول جرعة كبيرة من هذه السموم الفتّاكة، أو من فقدان الوعي في البرد القارس أثناء النوم في العراء والتشرُّد.

لذا ومع إشراقة كل صباح، تسعى عربات البلدية بين أماكن تواجدهم لتلتقط من نفق منهم لترمي بهم بعد ذلك في مقابر جماعية أشبه ما تكون بالمزابل! وبنفس الأسلوب ستنتهي حضارتهم في مزبلة التاريخ.

لقد انتشر الفساد وعمَّ البلاء في أرجاء الغرب المتحضِّر، حتى صار الناس يمارسون الجنس في الحدائق وعلى نواصي الطرق وفي الحانات دون حرج ولا خجل من الله ولا من الناس ولا من أنفسهم، إنهم كالأنعام؛ بل هم أخسُّ وأقذر.

وبلغ مجونهم وانحلالهم أشدَّه عندما اتَّخذ هؤلاء الضائعون ومعهم المدمنون والنصّابون ومروّجو المخدرات منطقة ليتن وساحة البرلمان في زيوريخ مقرّاً لممارساتهم وفحشهم وشذوذهم، يمارسونها على مرأى من الملأ.

وكذلك ماتت أحاسيسهم حتى لم يعودوا يأبهون لشيء ولا حتى لإنسانيتهم!.. وعوضاً عن محاربتهم وتشتيتهم، ضربت الحكومة السويسرية حزاماً أمنيّاً حولهم لحمايتهم ورعايتهم، كما قدّمت لهم السموم التي أدمنوا عليها كل حسب حاجته ورغبته وبالمجان!.. لذا ولغرابة هذا الوضع أضحى مكان تجمّعهم معلماً سياحيّاً يرتاده السواح من كل حدب وصوب ليشاهدوا عروضاً حيَّة لكافة ألوان الجنس والشذوذ والفسوق والمجون والفساد.

واعتبرت سويسرا هذا المكان معلماً سياحيّاً، وهو في واقع الأمر ليس سوى حظيرة حيوانات أو سفاري تمرح فيه أبناء عمومة القردة والخنازير وتتخبّط! إنه معلم حضاري يُبدي مدى انحطاطهم.

لقد حفرت هذه الحضارة المريضة بصماتها على شكل أمراض اجتماعية في كيان هؤلاء البؤساء، فارتسم الموت في سحنتهم، وأنهك الجوع والمرض أجسامهم، وخارت قواهم، ووهنت قدراتهم العقلية، وتخدَّرت أحاسيسهم، واختلّ اتِّزانهم، وتشرّدوا وتشرَّدت أسرهم، وفقدوا بيوتهم وأعمالهم، حتى أضحوا عبئاً ثقيلاً على بلدهم وأمتهم وحضارتهم.

هذا فيما يخص سويسرا التي تبنَّت هؤلاء الضالين الضائعين، أمّا في البلاد الأخرى فقد اضطر كثيرون منهم إلى بيع بيوتهم وممتلكاتهم وأعراضهم لقاء جرعة أفيون أو هيروئين أو غيرهما من السموم، ومنهم من اضطرته الفاقة والحاجة إلى السطو أو الاختلاس أو القتل، فأضحوا من نزلاء السجون، ومنهم من اعتدى على حرمات الناس، ومنهم من اغتصب ابنته أو أخته دون أن يدري؛ لأنه كان حينئذٍ تحت تأثير الخمرة التي حرّمتها شرائع السماء.

لأجل هذا كله علينا أن نشكر الله ليل نهار، في الحركات والسكنات، وفي الغدو والآصال، أن هدانا للإسلام وأبعد عنّا هذه الموبقات والمحرَّمات، وحافظ على عقولنا، وحصَّننا من هذه الفواحش، ولجم فينا جانبنا الحيواني الشرس.

سادساً: شبابهم البائس الضائع المنتحر:

فإذا كان هؤلاء الشباب عماد أمتهم، وإليهم ستؤول مقاليد أمورها ومستقبلها ومقدّراتها، فإن نهاية هذه الأمة وشيكة وحضارتها إلى زوال، لأنها حضارة جوفاء ظاهرها يفتن الأنظار وباطنها نتن يزخر ببذور هلاكها واندثارها.

بعد هذا الضياع الوجداني والفكري والثقافي والاجتماعي والتربوي والوطني أضحى شباب الغرب بائساً مشرداً، يعيش بلا أمل ولا هدف، لا يدري لماذا جاء إلى الدنيا وإلى أين هو ذاهب؟!.. يدب على الأرض كالبهائم لا يدري عن مستقبله ومصيره شيئاً ولا يأبه بهما! لقد ضلّوا الطريق، وسلكوا طريق الانتحار، ولم يجدوا عنه بديلاً، لأنه حسب تهتّكهم وإلحادهم سيوفِّر لهم راحة أبدية من شقائهم وبؤسهم وضياعهم.

إنهم يجهلون أن الروح من أمر الله، وأنها أمانة لديهم، وأن من يزهقها سيخلد في الجحيم المقيم لتحدِّيه لإرادة الله ومشيئته.

عن أبي هريرة ﵁، عن النبي الكريم ﷺ: أنه قال: «**من قتل نفسه بحديدة فحديدته في يده يتوجَّأ بها في بطنه في نار جهنم خالداً مخلداً فيها أبداً، ومن تردّى من جبل فقتل نفسه فهو يتردّى في نار جهنم خالداً مخلداً فيها أبداً**»[1].

لقد انتحر عام (١٩٩٤م) أربعون شاباً وشابة من خلال طقوس غريبة تنتمي إلى طائفة شاذة أطلقت على نفسها اسم (معبد الشمس)، ثم تكرّرت هذه الحوادث وازداد نفوذ هذه الطائفة، وعمَّ القتل والانتحار بين شعوب الغرب كافة! وأنا لا أستبعد أن تكون حكوماتهم وراء هذه المنظمة، لأن وسيلتها سهلة ومجدية لتنظيف المدن من دنس هؤلاء المتحضِّرين؛ وتخفيف العبء المادي عنها.

---

(١) مختصر مسلم (١٠٢٦)؛ وفي صحيح الجامع الصغير وزيادته (٦٤٥٩).

سابعاً: تبادل الأزواج في الغرب المتحضِّر!:

لقد درج الأزواج في الغرب المتحضِّر على تبادل زوجاتهم فيما بينهم، إمّا بالتراضي أو بالقرعة، كأن يجلس الزوج وزوجته مع أزواج آخرين حول طاولة مستديرة، ومن يأتي عليه الدور يمسك بزجاجة من زجاجات الخمر، التي خامرت عقولهم وأتلفت أحاسيسهم، فيدوِّرها على سطح الطاولة، وعندما تتوقف عن الدوران يأخذ المرأة التي أشارت إليها فوهة الزجاجة، وإذا أشارت إلى زوجته أعاد الكرة ليظفر بغيرها، فيأخذها ويواقعها إما في خلوة أو على مرأى من زوجها وكافة الحاضرين، وتبقى زوجته بانتظار فحل آخر فتستمتع به ويستمتع هو بها! إنه بنظرهم تغيير يجلب السرور والمتعة.

لقد أنفت الحمير والبقر عن عمل كهذا العمل، ومن الحيوانات من يدافع عن أنثاه ويأبى أن يمسها غيره، وقد يكلفه ذلك حياته.

أمّا الغربيُّ المتمدِّن فقد تردّى إلى ما دون مستوى الحمير والبقر! الغريب في الموضوع أنهم يتفاخرون بما يفعلون، ويعتبرونه علامة من علامات تطورهم وتحضّرهم وتميُّزهم!..

ولتسهيل هذا الأمر على الشابات والشبان، شاعت في إيطاليا جمعيات متخصِّصة بتبادل الزوجات! وبمجرد الإعلان في الصحف عن أول جمعية، انتسب إليها (٦٠,٠٠٠) زوج وزوجة، ثم تفاقم العدد فأضحى خياليّاً، وأضحت الفكرة عادية ومستحبة، كما أضحت هذه الممارسة الدنيئة عادة دارجة، وشاعت هذه الجمعيات وانتشرت مراكزها النشطة في أنحاء البلاد، وأضحت وسيلة ومراكز ترفيهية تفرِّج كرب الأزواج والزوجات.. قاتلهم الله.

ثامناً: تفكك الأسرة الغربية:

لقد انشغلت شعوب الغرب المتفسِّخة بأهوائها وإباحيتها وشذوذها ونزواتها وبمتع الحياة فيها عن تنظيم أسرها وبناء لبنات مجتمعاتها، فانحسر

بذلك نموّهم السكاني، ثم راح ينخفض باستمرار ليبشِّر بقرب نهايتهم واندثارهم.

فتفكَّكت الأسرة الغربية، وأضحى الزواج عادة بالية من عادات الماضي الرجعي المتخلِّف! لقد أعلنوها بصراحة ودون أدنى حياء من الله، أعلنوها ببجاحة واعتزاز وفخار، واعتبروا ذلك تحضُّراً وتمدُّناً لم يسبقهم إليهما أحد!..

كما اعتبروا الزواج إجحافاً بحقِّ المرأة وحجزاً لحريتها، لأنها من خلال الرابطة الزوجية ستكون ملكاً لرجل واحد طيلة حياتها، بينما تقضي مدنيَّتهم أن تمارس الحبّ مع من تشاء متى تشاء! لذا أضحت المرأة ـ وهي نصف المجتمع ـ مبتذلة رخيصة مذلولة ضائعة مستهلكة وبلا كيان! لقد سحبوا البساط من تحتها وتقاذفوها بين أسرَّتهم ومضاجعهم لينهلوا من رحيقها وينعموا بجسدها ومفاتنها، ثم يرمونها ويتخلّصون منها كما يرمون نفاياتهم وقاذوراتهم.

أمَّا من تحركت في أعماقها غريزة الأمومة، فإنها ستختار من الرجال من تهواه أو من تجد فيه الصفات التي تريدها لابنها، فتواقعه سِفاحاً حتى تحمل منه، ثم تهجره وتقطع صلتها به دون أن تخبره بالبذرة التي غرسها في أحشائها! وبذلك لن يعرف الابن أباه، ولا الأب ابنه ولا ابنته، وقد تجري عجلة الزمن سريعة فيواقع الأب ابنته والأخ أخته دون علم ودون قصد، فاختلطت أنسابهم وتدنَّت! وقد تلجأ المرأة إلى بنك النطاف فتختار من النطف ما يناسبها دون أن تعلم حتى اسم صاحب هذه النطف.

ستكتفي هذه الأنثى بهذا الابن أو الابنة، وستقوم على تربيته أو تربيتها تربية أنثوية رخوة وخليعة، وسترى البنت أمها وهي تلتقي من حين لآخر بشخص آخر، فتعتاد هذا النمط السلوكي القذر وستشبُّ على ذلك، ومن شبَّ على شيء شاب عليه.

بعد أن تفتَّتت لبنات المجتمع الغربي الملحد، أضحى بنيانهم متهالكاً ومهدداً بالسقوط في كل آنٍ وكل حين.

تاسعاً: الفوضى الجنسية والتشجيع على الإنجاب بطريق السِّفاح:

وبتتبُّع مسيرة حياة أيِّ طفلة في الغرب الملحد، نجد أنها تُغتصب قبيل بلوغها من أبيها أو أخيها وهي لا زالت في كنفهما، ثم تتحول ركوبة لزملائها في مرحلة دراستها الإعدادية والثانوية، ثم تُطرد من البيت الذي ولدت فيه وترعرعت؛ لأنها بلغت ربيعها الثامن عشر، وصار لزاماً عليها الاعتماد على نفسها وشق طريقها بنفسها، فتتشرَّد في الأزقَّة والحواري، وقد تنزلق في حمأة الرذيلة والفساد، وقد تسقط في الهاوية مع المومسات دون أن يأبه والداها لذلك، ودون أن يحرِّكا ساكناً.

هذا المصير كثير الحدوث، خاصة في الأُسر ذات الدخل المحدود، لأن الفتاة الصغيرة في هذا العمر المبكر قليلة الحيلة وليس لديها مهنة ولا شهادة تتسلَّح بهما، فتفشل في تأمين حاجاتها من الطعام والكساء والمأوى والحياة الكريمة، لذا تبيع نضارتها وأنوثتها وكرامتها وبأبخس الأثمان.

وبما أن الجنس رخيص لديهم، والفتيات أرخص، وهنّ متوفرات وجاهزات على الدوام، وبسبب صعوبة مسالك الحياة والمسؤوليات الجمَّة التي تقع على عاتق ربِّ الأُسرة والتي عجز عن تحمّلها الغالبية العظمى من شبابهم الضائع (المتحضِّر)، لذا أعرض هؤلاء عن الزواج.

وبعدما انخفض النمو السكاني في دول الغرب إلى الصفر، شجعت الحكومات على الإنجاب بطريق السفاح بغية البقاء والحفاظ على وجودهم واستمرارهم، وليبعدوا عن أنفسهم شبح الانقراض الذي يتهدّدهم! ولكي تسهِّل الحكومات الأمر على الفتيات قدّمت لهنّ العون المادي والمعنوي والصحي والاجتماعي، وبذلك ازداد عدد الأولاد من السفاح في السويد والنرويج إلى

النصف، وفي إنكلترا وفرنسا وألمانيا بلغت النسبة الثلث! أمّا في أمريكا فقد تبيّن أن أربعة من بين خمسة أولاد جاؤوا من السفاح!.

إنها حضارة الكفر والسفاح والمجون والحيوانية!..

عاشراً: طاعون العصر:

لذا ولبعدهم عن تعاليم الله وانتهاك حرماته، سلَّط عليهم العزيز الجبار طاعوناً وبيلاً انتشر بينهم انتشار النار في الهشيم، فأنهكهم وأعيا علماءهم، وزلزل أركان حضارتهم! لقد ذهب الإيدز بأرواح الملايين منهم ولا يزال، فتزايد بذلك الانخفاض المعهود في الولادات وفي النمو السكاني ازدياداً أقضَّ مضاجعهم، ودقَّ ناقوس الخطر معلناً عن قرب انهيار حضارتهم وزوالها! لذلك ودرءاً لهذا الخطر المحدق فتحت دول الغرب وفي مقدمتهم أمريكا أبوابها على مصراعيها لتستقبل المهاجرين من العالم الثالث بعد أن كانت تضيِّق الحصار عليهم وتمنعهم بسبب التخلخل الحضاري الكبير الذي انتاب بنيانهم ومجتمعاتهم.

وبسبب التفسُّخ الأخلاقي والإيدز وانتشار الإدمان على المخدرات وشيوع القتل والانتحار والاغتصاب والإقلاع عن الزواج وانتشار الرذيلة والموبقات وكافة الأمراض الاجتماعية، وبسبب بعدهم عن تعاليم السماء، فشلوا في ترميم الصدع وفي إعادة بناء كيانهم الأُسري والاجتماعي والحضاري! في هذا الشأن الخطير قال وزير خارجية أمريكا الأسبق جيمس بيكر: «أضحت جرائم العنف مرضاً من أمراض الأطفال والمجتمع في أمريكا! لقد أدرك الأمريكيون بشكل متأخِّر أن هناك خطأً كبيراً في مجتمعهم يشير إليه انتشار السلاح بأيدي كافة الأمريكيين، وجرائم القتل الفادحة التي تتكرّر كل (٢٢) دقيقة تقريباً، وكذلك حوادث الاغتصاب التي تتكرر كل خمس دقائق، وحوادث السطو المسلح التي تحدث كل (٤٧) ثانية، وتفكّك الأُسر وإنجاب الأولاد من السفاح وإعراض الناس عن الزواج».

حادي عشر: مقارنة بين مجتمعهم الغربي ومجتمعنا الإسلامي، وعداؤهم لنا:

أمّا الصحيفة الأمريكية الشهيرة هيلسيان ستانسري؛ فقد أوردت في هذا الصدد: «بمقارنة مجتمعنا الغربي بالمجتمع الإسلامي؛ نجد أن الأخير قوي متماسك وسليم البنيان، وخليق به أن يتمسَّك بتقاليده وشرائعه التي حافظت عليه قويّاً بهيّاً، والتي تحكَّمت في كافة مرافقه وشؤون حياة الناس فيه، خاصة منها حرية الفتيات وتحديد اختلاطهنّ، لأن الحرية التي أعطيت لفتيات الغرب وشبّانه قد جعلت منهم عصابات أحداث وعصابات للمخدرات! كما نجم عن هذا الاختلاط والحرية المطلقة بين الجنسين إباحية رعناء نسفت أركان الأسرة، وهدَّدت كيان المجتمع، وزلزلت القيم والأخلاق، ثم محتها من عالمنا الذي أضحى ماديّاً بحتاً».

بسبب هذا كله نما حقدهم الدفين ضد الإسلام والمسلمين..

قال تعالى: ﴿**وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ**﴾ [البقرة: ١٠٩].

﴿وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ أَن تَمِيلُوا۟ مَيْلًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٢٧].

لقد كانوا ولا زالوا يخشون انتشار ديننا الحنيف واستلامه مقاليد أمور العالم من جديد! وكما قال المفكر البريطاني **لورانس براون**: «يكمن الخطر في الإسلام في نظامه القوي المتماسك، وفي قدرته على التوسّع والإخضاع، كما يكمن خطره في حيويته ونضارته الدائمة المتجدِّدة، إنه الجدار المنيع الوحيد الذي يقف في وجه المدِّ الاستعماري الغربي، وسيبقى هذا الجدار صامداً ما دام هذا الدين في قلوبهم، وإذا اتَّحد المسلمون في إمبراطورية واحدة فإنهم سيصبحون لعنة على العالم الغربي بأكمله! لذا كان لا بد من تشتيت شملهم وإضعافهم ونزع روح الإيمان من قلوبهم».

من أجل ذلك، ولتحقيق هدفهم الدنيء، قال القس المبشِّر **صموئيل**

زويمر لزملائه المبشِّرين: «اسعوا دائبين حتى تخرجوا المسلمين من الإسلام، وحتى تبعدوهم عن الله، لأنهم بذلك سيتجردون من مكارم الأخلاق ومن مُثُلهم العليا التي رفعت شأنهم وشأن الأمم التي تمسكت بشريعتهم، لأن مكارم الأخلاق والمُثُل العليا وتعاليم السماء كانت ولا زالت ركائز ازدهار ورقيِّ الأمم».

وفي هذا قال أمير الشعراء أحمد شوقي:

وإنما الأممُ الأخلاقُ ما بقيتْ فإنْ هُمُ ذهبتْ أخلاقُهم ذهبوا

وقال:

وإذا أصيبَ القومُ في أخلاقِهِم فأقمْ عليهم مأتماً وعَوِيلا

من أجل تحقيق هذا الغرض القذر، سلَّط الغرب الملحد مفكِّريه ورجال الدين المنحرفين الحاقدين علينا.. لقد جاؤونا تحت راية الاستشراق والتغريب والتحديث والتجديد والعلمانية والعولمة، وغاية غاياتهم نزع الإيمان من قلوبنا والقرآن من صدورنا، وتفتيت شملنا من خلال نشر الرذيلة والإباحية وكافة ألوان الفساد، وتحرير المرأة وإخراجها من خدرها وحصنها الحصين وإطلاق العنان لها بعد سحب البساط من تحت قدميها بحجَّة التمدُّن والتحضُّر، آملين من وراء ذلك نسف كيان المجتمع الإسلامي المتماسك من خلال تفتيت لبناته وزعزعة أركانه.

لقد كرّسوا جهودهم وركزوا اهتماماتهم وبذلوا أموالهم من أجل إغواء المرأة المسلمة؛ علَّها تنزلق في مستنقع الرذيلة فتفقد عزّتها وكرامتها ومكانتها السامية التي خصَّها الإسلام بها، والذي حفظ لها حقوقها وجعل الجنة تحت أقدامها.

من محاولاتهم الحديثة نسبيّاً في هذا الصدد عقد المؤتمر الدولي للسكان في القاهرة سنة (١٩٩٤م)، الذي ركَّز فلاسفته على إغواء المرأة المسلمة

وإنزالها من برجها الحصين، وقذفها في جحيم التمدُّن الذي تكتوي بنيرانه نساء الغرب وفتياته، ولكن واحدة فقط من عشرات المشاركات من المفكِّرات الغربيات كانت معتدلة وغيورة على كرامة المرأة وعزَّتها، وهي الباحثة الأمريكية **دالي أولباري** التي انتفضت بعد هزَّة الضمير لتقول أثناء محاضرتها: «لقد دمَّروا المجتمع الأمريكي والأوروبي بفلسفاتهم ومجونهم، ثم جاؤوا الآن بأفكارهم الفاسدة ليبثّوها للمجتمعات الإسلامية لكي يدمِّروها ويدنِّسوها ويدمِّروا المرأة ودورها الفطري في هذه الحياة».

ثاني عشر: السقوط الحتمي لحضارتهم، والمستقبل للإسلام:

لهذا كله رأى الغربيون وخبراؤهم وعلماء الاجتماع لديهم أن حضارتهم آيلة للسقوط رغم ازدهارها وبلوغها الفضاء! كما رأى هؤلاء أن الإسلام هو الدين الوحيد الذي بقي بعيداً عن العبث والتدنيس والتحريف، وبما أنه ينتشر وبسرعة مذهلة في أصقاع الأرض بما فيها الغرب الأوروبي والأمريكي، لذا فإنهم يتوقعون له السيادة في الأرض، وستصبح تعاليمه الدستور الذي ستتَّبعه شعوب الأرض، شرقيِّها وغربيِّها، على حد سواء.

لذلك أرادوها حرباً شعواء ضد الإسلام والمسلمين، حرباً صليبية من نوع جديد، حرباً عسكرية وثقافية ودينية وتعليمية واجتماعية، حرباً غريبة ابتدعتها الإدارة الأمريكية، وشرعت بتنفيذها بحجة مكافحة الإرهاب الذي ألصقوه بالإسلام والمسلمين، والإسلام والمسلمون منه براء.. يريدون بهذه الحرب العصرية أن يزلزلوا أركان هذا الدين العظيم الذي بات يؤرِّقهم ويقضُّ مضاجعهم.

لقد نسوا أنهم قد سبق لهم أن شنّوا حرباً شعواء على أراضينا ومقدّساتنا، فعادت جيوش أوروبة التي كانت متفوقة في عددها وعتادها، عادت إلى بلادها تجر أذيال الهزيمة والخيبة والخذلان.

* * *

الفصل

١٣ وجود الله بالدليل العلمي والعقلي والمادي

أولاً: القرآن الكريم منهل عذب يفيض بالرحمة والهداية:

بما أن الإيمان كالنبع ينحسر ماؤه أحياناً، ثم يهيج ويتدفق أحياناً أخرى، وبما أنه معرَّض دائماً وأبداً للزلزلة والهواجس والشكوك بفعل الفلسفات الإلحادية التي تغزو عالمنا الإسلامي من كل حدب وصوب، لذا كان لا بد من وجود منهل عذب يرتوي منه العطشى ويغسلون بمائه الطاهر ما علق بهم من درن ودنس هذه الحضارة المادية القذرة، ويجدِّدون من خلاله إيمانهم.

لقد تكرّم علينا الرحمن الرحيم إذ جعل القرآن الكريم ذلك المنهل العذب الذي يفيض بالرحمة والهداية:

﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الإسراء: ٩].

﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الإسراء: ٨٢].

﴿هُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ عَلَىٰ عَبْدِهِۦٓ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ لِّيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ بِكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحديد: ٩].

ثانياً: الوقائع العلمية والأدلة القرآنية على وجود الله تعالى:

لقد أنزل ملك السموات والأرض في كتابه الجليل آيات بيِّنات وحقائق علمية ومادية كثيرة تنطق بوجوده سبحانه وبعظيم قدرته وببديع خلقه:

﴿وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الحشر: ٢١].

لقد بقيت كثير من هذه الآيات غامضة سنين طويلة دون أن يرفع ﷻ حجاب الغيب عن الأسرار والحقائق العلمية الموجودة فيها لحكمة أضحت واضحة لأولي الألباب وللعلماء ولأصحاب العقول النيِّرة المتفتّحة.

قال تعالى: ﴿سَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ فَتَعْرِفُونَهَا﴾ [النمل: ٩٣].

وقال: ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ﴾ [فصلت: ٥٣].

وقال: ﴿لِّكُلِّ نَبَإٍ مُّسْتَقَرٌّ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ [الأنعام: ٦٧].

وقال عزّ من قائل: ﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ [الزمر: ٢٧].

من خلال هذه الوقائع العلمية والأدلة الإلٰهية القرآنية التي تؤكد وجوده سبحانه ووحدانيته، سيفيض قلبك عزيزي القارئ بالإيمان بعد أن زاغ وشرد في خضمِّ تيارات هذا العصر ونظرياته وفلسفاته الملحدة كالماركسية والماسونية والوجودية والعقلانية والعلمانية والحداثة (التحديث) وغيرها كثير.

ثالثاً: آيات الآفاق والأنفس:

بعد أن أقنعَنا اللهُ ﷻ وأكّد لنا وجوده من خلال أدلّة قرآنية قريبة منّا وملموسة: ﴿وَفِى ٱلْأَرْضِ ءَايَٰتٌ لِّلْمُوقِنِينَ ﴿٢٠﴾ وَفِىٓ أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ [الذاريات: ٢٠ ـ ٢١] ضرب لنا سبحانه أمثلة بعيدة الإدراك، فحدَّثنا عن بداية خلق السموات والأرض الذي تمَّ قبل مليارات السنين، كما حدَّثنا في القرآن عن كروية الأرض وحركة الكواكب والنجوم وتباعد أجزاء الكون عن بعضها، وعن حقائق علمية كثيرة أخرى لم نعقلها ولم ندرك معناها ومغزاها إلا في القرن العشرين بعد خروج الإنسان إلى الفضاء، وبعد أن صنع التليسكوبات العملاقة، وبعد أن تسلَّح بتكنولوجيا العصر المتطورة.

لقد كان هذا حقّاً عليه ﷻ ووعداً منه ـ وهو الحقُّ ذو الوعد الأمين ـ أن

يُريَ العلماء والناس بعض آياته وأسراره؛ ليؤكِّد لهم وجوده وعظيم قدرته وخلقه؛ فقال: ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ﴾ [فصلت: ٥٣].

بهذه الإرادة الإلٰهية والأسلوب البديع صار القرآن معجزة المعجزات، معجزة قائمة نضرة على الدوام وعلى مرِّ العصور؛ ليدحض بها سبحانه ادِّعاءات الملحدين الحاقدين، ويفنِّد بها مكرهم وافتراءاتهم وتدليسهم: ﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ﴾ [الأنفال: ٣٠].

بهذا الأسلوب الإلٰهي الفذّ ستؤمن الأمم القادمة التي لم تعاصر النبوة ولم ترَ علاماتها في سيد الخلق، وسيتأكد لها أن الله حقّ، وأن الإسلام حقّ، وأن القرآن حقّ ومن عند الحقّ، وأن محمداً عليه أفضل الصلاة والسلام كان حقّاً نبيَّ الحقّ وإن لم يروا نوره ولم يسمعوا حديثه ولم يستمتعوا برؤية وجهه الكريم ولم يلمسوا صدق دعوته وحديثه من خلال التعامل معه ومن خلال رؤية علامات النبوة فيه، ولا المعجزات الكثيرة التي جعلها الله على يديه لتؤمن الناس بدعوته.

وكما سبق وأشرت فإن القرآن يزخر بالمعجزات وبآيات الإعجاز العلمي، وقد اخترتُ بعضاً منها فقط، وأنصح من أراد الاستزادة أن يعود إلى كتاب: (وجود الله بالدليل العلمي والعقلي)، وكتاب: (الإعجاز الإلٰهي)؛ وهما لدار القلم بدمشق ولدار البشير بجدة.

رابعاً: الإعجاز الإلٰهي في تخلُّق الجنين:

١ ـ القرآن الكريم يسبق العلم في الكشف عن حقيقة تخلق الجنين:

كان الاعتقاد السائد في عصر أرسطو (٣٨٤ ـ ٣٢٢ق.م) وحتى ما بعد نزول الوحي على سيد الأنام ﷺ أن الجنين موجود في نطاف الرجل مخلَّقاً وكاملاً، ولكنه صغير جدّاً فلا نراه، ثم ينمو بالتدريج في رحم أمه.

وفي عام (١٦٧٢م) اكتشف العالم غراف (Graff) البويضة في مبيض الأنثى، ولكنه لم يدرك دورها في الحمل والإنجاب.

وفي عام (١٦٧٥م) وبعد اختراع المُجْهِر تمكَّن العالمان لوفين هوك (L. Hook)، وهام (Hamm) من مشاهدة الحيوانات المنوية في نطاف الذكر، ولكنهما لم يدركا دورها في الإخصاب.. قبل هذا الاكتشاف لم يكن أحد من البشر يدري عن الحيوانات المنوية (النطف) شيئاً سوى الخالق العظيم الذي أورد ذكرها في القرآن الكريم قبل ذلك بأكثر من (١٢٠٠) سنة: ﴿إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ﴾ [الإنسان: ٢].

لقد أعاد هام ولوفين هوك أقوال أرسطو وقالا: إن الجنين موجود في النطف بشكل مصغَّر ثم ينمو في رحم أمه.

وفي عام (١٧٣٣م) اكتشف العالم وولف (Wolf) من خلال تجاربه على أجنَّة الدجاج التقاء الحيوان المنوي بالبويضة (الإخصاب)، ولاحظ أن الحيوانات المنوية وكذلك البويضات لا تحتوي على أجنَّة في داخلها، ولكن ما أن يتم هذا اللقاء حتى تتغيَّر معالم البويضة ويظهر داخلها أجسام وخلايا جديدة، ولكنه لم يدرك أن هذه الأجسام الدقيقة هي بداية تخلُّق جسم الجنين.

وفي عام (١٨٧٥م) ـ أي في القرن التاسع عشر ـ تمكَّن العالم هير تويغ من رصد اللقاء بين النطفة المذكَّرة والنطفة المؤنَّثة، ومن مشاهدة الانقسامات الخلوية التي تلي ذلك اللقاء، وبالتالي كان أول من عرف من بني البشر دور كلٍّ من الذكر والأنثى في إحداث الحمل.

أما القرآن الكريم والسُّنَّة النبوية الشريفة فقد قالا وبصريح العبارة: إن أصل الإنسان نطفة أمشاج ـ أي: مختلطة من نطفة الذكر ونطفة الأنثى ـ والتي تُعرف علمياً بالنطفة أو بالبويضة المخصَّبة.

لقد قدَّر الخالق الحكيم في كل خلية من خلايا الجسم ـ عدا النطف

والبويضات ـ (٢٣) زوجاً من الكروموسومات التي تحمل صفات الإنسان وصفات جنسه ووظائف أعضائه؛ كل اثنين من هذه الأزواج متقابلين ومتماثلين ومتطابقين، وهما يحملان نفس الجينات التي تحمل نفس المورِّثات ونفس الصفات الوراثية.

أما الحيوان المنوي فإنه يحتوي على (٢٣) كروموسوماً فقط، وكذلك البويضة، ولكن وبعد التخصيب واندماج الاثنين ببعضهما سيصبح عدد الكروموسومات في البويضة المخصَّبة (٢٣) زوجاً، شأنها في ذلك شأن كافة خلايا الجسم الأخرى.

الغريب في أمر هذه الأزواج التي أتت من مصدرين مختلفين: من الأم ومن الأب، أنهما يصبحان خلال بضع ساعات من الإخصاب متماثلين ومتطابقين.

فكما ترى عزيزي القارئ فإن الجنين قد تشكَّل من مزيج (مشيج) من كروموسومات أمِّه وأبيه.

وأجمع علماء اللغة أن الأمشاج هي الأخلاط التي تنجم عن اختلاط ماءين ببعضهما، وكما قال الحسن البصري: **مَشَجَ**: أي خلط، **والنطفة الأمشاج**: هي النطفة التي تشكَّلت من اختلاط نطاف الرجل بنطاف زوجته.

أما الربيع بن أنس ـ وهو علم من أعلام التفسير ـ فقد قال: تحدث الأمشاج إذا اجتمع ماء المرأة مع ماء الرجل، ويقال بالعربية: إذا مشجت هذا بذاك فقد خلطته وهو ممشوج به. ومشيج: أي خليط. وقال: إن النطفة الأمشاج التي وردت في الذكر الحكيم هي التي نجمت عن اختلاط الماءين، واستشهد على ذلك بقوله ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ﴾ [الحجرات: ١٣]، وبقوله ﷻ: ﴿هَلۡ أَتَىٰ عَلَى ٱلۡإِنسَٰنِ حِينٞ مِّنَ ٱلدَّهۡرِ لَمۡ يَكُن شَيۡـٔٗا مَّذۡكُورًا ۝١ إِنَّا خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ مِن نُّطۡفَةٍ أَمۡشَاجٖ نَّبۡتَلِيهِ فَجَعَلۡنَٰهُ سَمِيعَۢا بَصِيرًا﴾ [الإنسان: ١ ـ ٢].

نستدل من الآية الأخيرة أن الإنسان لم يكن موجوداً لا في الحيوان

المنوي ولا في البويضة؛ وهذا مغاير لمعتقدات ونظريات العلماء التي كانت سائدة وقت التنزيل؛ فالحيوان المنوي وكذلك البويضة موجودان، ولكن النطفة الأمشاج لم تكن موجودة أو لم تتشكَّل بعد: ﴿لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا﴾ [الإنسان: ١]، ثم وبالتقاء الزوج بزوجته واختلاط مائه بمائها واندماج نطفته مع بويضتها ستتشكَّل النطفة الأمشاج (الملقَّحة)، وسيتم الحمل بإذن الله تعالى، وسيتخلَّق الجنين ويتم تصويره حسب الشيفرة الإلٰهية الوراثية المذهلة التي قدَّرها العليم الحكيم عند تزاوج الكروموسومات الذكرية مع الأنثوية بعد الإخصاب مباشرة، والتي تحملها الجينات دون أدنى تحريف؛ لينتج عنها إنسان متميِّز بكافة خواصِّه وسماته عن كافة بني جنسه ولو كانوا يعدون بمئات المليارات.

٢ ـ حديث نبوي أذهل علماء الأجنة:

مرَّ يهودي بالنبي الأميِّ ﷺ فقال: يا محمد! ممّ يُخلق الإنسان؟ فقال الرسول الكريم ﷺ: «**يا يهودي! من كل يُخلق: من نطفة الرجل، ومن نطفة المرأة**». فقال اليهودي: هكذا كان يقول مَنْ قبلك مِنَ الأنبياء[١].

لقد دار هذا الحديث بين رسول الهداية والمحبة وبين الحبر اليهودي قبل أكثر من (١٤٠٠) سنة، أي: في القرن السابع الميلادي، بينما اكتشف علماء العصر هذه الحقيقة العلمية في القرن التاسع عشر فقط.

كيف أدرك النبي الكريم هذه الحقيقة العلمية المذهلة، وأنَّى له أن يعرف أن في النطاف نُطَف، وأن نطفة واحدة فقط ستُحدث الإخصاب والحمل، علماً بأن في نطاف الرجل ما يزيد عن (٥٠٠) مليون نطفة؟!.. وكيف للنبي العظيم أن يعلم أن جهاز المرأة التناسلي ينتج نطفة أنثوية؟! وأن الحمل سيتم من كلا النطفتين المذكّرة والمؤنَّثة؟!.

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده.

لقد جاءت هذه الحقيقة العلمية صريحة واضحة في القرآن المجيد:

﴿إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ﴾ [الإنسان: ٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّنَ ٱلْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ﴾ [الحج: ٥].

﴿مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُۥ فَقَدَّرَهُۥ﴾ [عبس: ١٩].

بينما لم يكتشفها العلم الحديث إلا في القرن العشرين بعد اختراع المجاهر!.

فهل كان عليه أفضل الصلاة والسلام عالماً أو طبيباً؟! وهل كان يقوم بدراسات على الأجنَّة والخلق؟! وهل كان لديه مجاهر ومخابر فشاهد النُّطف؟! أليس هذا دليل قويٌّ على صدق النبوّة يا معشر الماديين؟! وبرهان ساطع على وجود الله أيها الملاحدة؟! ألا تزخر هذه الآيات بأدلَّة مادية تؤكد أن القرآن كلام الله، وأنه منزَّل من السماء يا أتباع الماسونية؟! ألا ينبئ هذا الحديث الشريف أن ما جاء به النبي العربيّ الأميّ كان وحياً أُوحِيَ إليه به من لدن خالق السموات والأرض، العليم بأسرار خلقه؟!..

لقد أذهل هذا الحديث الشريف عالم الأجنَّة البروفسور **كيت مور (Keit Moore)** أستاذ الجنين في الجامعات الأمريكية، وصاحب كتاب (The Developing Human) الذي يعتبر الأول من نوعه في العالم، فقال: «كلنا يعلم أن النبي محمداً كان أميّاً وبسيطاً، وقد عاش ومات في القرن السابع الميلادي، أي: في وقت لم يكن فيه لعلم الأجنَّة أساس ولا خبر، كما لم يكن هناك مجاهر ولا مخابر على الإطلاق، فمن أين له بهذه المعلومة العلمية المذهلة؟! وكيف شاهد اندماج نطفة الذكر بنطفة الأنثى؟ وكيف عرف أن في النطاف (السائل المنوي) نُطف (حيوانات منوية) دون أن يشاهدها تحت المُجْهِر؟!..».

لقد أجاب أحد علماء المسلمين الذين شاركوا في مؤتمر الإعجاز العلمي للقرآن على تساؤلات البروفسور كيث مور؛ فقال له: مَنْ خلق الإنسان؟ فأجابه البروفسور: الله طبعاً.. ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾ [الزمر: ٣٨].. فأجابه الشيخ الجليل: ألا يجوز لمن خلق الإنسان وصوّره أن يلمَّ بأسرار خلقه؟ فأجاب البروفسور كيث مور وهو غارق في التأمّل والتفكّر وقد نفذ نور الحقِّ إلى أعماقه ولامس شغاف قلبه: نعم، ثم أردف يقول: والله لا أشك أبداً أن هذه الآيات وهذا الحديث من عند الله، كما لا أشك أبداً أن محمداً رسول الله..

﴿وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ الَّذِي أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ الْحَقَّ وَيَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾ [سبأ: ٦].

﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ [فاطر: ٢٨].

٣ ـ معجزة إلٰهية في رحلة الإخصاب:

نعود إلى قصة الإخصاب لنرى معجزة إلٰهية أخرى تجمع بين الحيوان المنوي الذي لا يزيد قطر رأسه عن بضعة ميكرونات (الميكرون واحد من ألف من الميلي متر) وبين البويضة التي لا يزيد وزنها عن جزء واحد من مليار جزء من الغرام، ولا يزيد قطرها عن (٢٠) ميكروناً، في قناة الرحم المظلمة، التي أشبه ما تكون بشارع عريض مظلم بالمقارنة بحجم النطف! فكيف يتم ذلك يا ترى؟! وهل في البويضة منارة تبدِّد أحجبة الظلام الداكن فتجذب إليها جحافل النطف المذكرة الساعية إليها؟! أم أن مقدِّمة الحيوانات المنوية مزوّدة بمصابيح تنير لها الطريق، أم أن لها أعين تبصر بها وعقل يدرك ويفسِّر ويوجّه؟!.

ما أن يقترب العريس المُنتظَر حتى ترسل عروسه الودودة المتلهِّفة امتدادات وكأنها الأيدي لتحتضنه وتكتنفه! ولكن لكي يكون اللقاء ناجحاً لا بدَّ لجدار البويضة الغليظ نسبياً أن ينفرج عن ثغرة دقيقة تكفي لعبور أقوى وأفضل

السبّاحين المتنافسين على الظفر بها؛ لذا يقوم كلاهما بإفراز خميرة الهيالورونيديز الهاضمة عند نقطة العبور التي اختاراها، ثم ينفذ الحيوان المنوي إلى مملكته الوادعة، ويذوب في حنايا محبوبته وندّته في عملية الإخصاب، فيندمجان ببعضهما اندماجاً لا فكاك بعده أبداً (النطفة الأمشاج)، لأن كروموسوماتهما ستندمج بعضها بالبعض الآخر، وستتبادل الجينات فيما بينها، وستتنحّى بعض الجينات التي كانت سائدة، وستطغى أخرى كانت ضعيفة ومتنحية، فتكون حصيلة هذا الاندماج والإبداع الإلٰهي البالغ الدقة تشكُّل (٢٣) زوجاً من الكروموسومات التي تحمل صيغة صبغية مميّزة لمخلوق جديد ومتميِّز عن كافة بني البشر.

يبدو كل زوج كروموسومي متطابقاً في شكله وطوله وفي عدد جيناته وفي تركيب هذه الجينات وفي خواصها، فيبدوان كتوءمين متشابهين ومتطابقين رغم أن في كلٍّ منهما (٥٠) ألف جين، وفي كل جين (٥٠٠٠) مورِّثة، وفي كل مورثة عشرات الآلاف من الصفات الوراثية، علماً بأن الصبغي الواحد مكوَّن من مليارات الأحماض النووية! كل هذا يحدث خلال بضع ساعات من اللقاء بين النطفتين المستمدتين من جسمين مختلفين! فسبحان الذي خلق فسوّى، والذي قدَّر فهدى، والذي خلق الذكر والأنثى.

٤ ـ رحلة الانقسام والعلقة والمضغة والتمايز:

بمجرد أن يتم هذا الاندماج الكروموسومي المذهل تنقسم النطفة الأمشاج إلى خليتين، فأربع، فثمانٍ، فست عشرة، فاثنتين وثلاثين خلية.. وهكذا حتى تصبح كتلة صغيرة من الخلايا تشبه التوتة في شكلها الخارجي.. أمّا حجمها فإنه يصبح في اليوم السادس إلى الثامن من الإخصاب بحجم رأس الدبوس، وتصبح في تجويف الرحم بعد أن تقطع المسافة من نهاية قناة الرحم الخارجية إلى تجويفه خلال (٥ ـ ٨) أيام.

تتمايز بعض خلايا التوتة وتنمو لتصبح نتوءات تشبه الأصابع، تمتد هذه

النتوءات داخل جدار وبطانة الرحم لتستمد الغذاء بواسطتها من دم الأم!.. وتتطور هذه النتوءات بسرعة كبيرة لتشكّل المشيمة.

أما بقية خلايا التوتة فإنها ستنمو وتتمايز إلى أعضاء مختلفة، ومن ثم الجنين.. بسبب النتوءات المجهرية سابقة الذكر سيعلق الجنين في مراحل نموه المبكرة في جدار الرحم؛ من هنا أطلق العليم الخبير على هذه المرحلة من تطوّر الجنين اسم العلقة، وهي مرحلة مبكرة تحدث في الأيام الأولى من الحمل، وفيها يكون الجنين صغيراً جدّاً ولا يُرى بالعين المجردة.

بعد (٣ ـ ٤) أسابيع تظهر براعم الأعضاء، فيبدو الجنين تحت المُجْهِر كقطعة لحم صغيرة ممضوغة لا يزيد قطرها عن (١سم)؛ لقد أطلق عليها الكبير المتعال اسم المضغة.

٥ ـ جميع مراحل تخلق الجنين وردت في القرآن الكريم بالوصف الدقيق:

نقول للملاحدة الذين اتهموا نبيَّ الهداية والرحمة بافتراء القرآن: هل كان لديه ﷺ مُجْهِراً مكَّنه من رؤية المضغة وتضاريسها وبراعم الأعضاء فيها، فأعطاها هذا الوصف الدقيق وذاك الاسم الغريب والجديد على علوم وعلماء ذلك العصر؟! وهل رأى سيِّد الخلق من خلال منظار الرحم العلقة المجهرية وهي تنغرس في بطانة الرحم؟! وهل كانت تلك المناظير موجودة آنذاك؟! وهل كان لديه مُجْهِرٌ مكَّنه من رؤية تركيب المضغة وكونها تحتوي على خلايا مخلَّقة وأخرى غير مخلّقة؟! أليست هذه أدلَّة علمية مادية على وجود خالق عظيم؟!..

يقول الحكيم العليم: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ ۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ﴾ [المؤمنون: ١٢ ـ ١٤].

وقال سبحانه مخاطباً أعداءه وأعداء هذا الدين: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ

فِي رَيْبٍ مِّنَ ٱلْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي ٱلْأَرْحَامِ مَا نَشَآءُ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا﴾ [الحج: ٥].

يذكِّرنا الخالق العظيم في كل آنٍ وكل حين وحتى قيام الساعة أنه أول من كشف النقاب عن بعض أسرار الخلق التي وردت في الآيات الكريمة السابقة، والتي اكتشفها العلم الحديث بعد أكثر من (١٢٠٠) سنة من بيانه سبحانه لحجاب الغيب عنها في كتابه الذي أنزله.

لقد ذكر ﷻ بأنه خلق الإنسان من نطفة: ﴿ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ﴾، فمن كان يدري أيام التنزيل الحكيم أن في السائل المنوي نطف؟! ومن كان يدري أن واحدة فقط من هذه النطف ستكوِّن الجنين؟! علماً أن في النطاف ما يزيد عن خمسمئة مليون نطفة!.

لقد انكشف حجاب الغيب عن هذه الحقيقة المذهلة في القرن التاسع عشر، أي: بعد (١٢٠٠) سنة من نزول الآيات الكريمات. فسبحان الله!..

وإذا أخذنا مقاطع نسيجية رقيقة من المضغة، ثم قمنا بتثبيتها وتلوينها ومن ثم فحصها تحت المُجْهِر فإننا سنرى فيها أنواعاً عديدة من الأنسجة والخلايا، منها الذي تخلَّق فأضحى واضح المعالم كبراعم الأطراف والدماغ والقلب والعينين والأنف والرئتين وغيرها، ومنها الذي لم يتخلَّق بعد ولم تتبلور معالمها وما ستؤول إليه، لذا لا يمكننا بَعدُ أن ننسبها إلى عضو معين: ﴿ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ﴾، هذا عدا عن أن تضاريس المضغة لا تُرى بالعين المجرَّدة.

فلو سألنا عالماً من العلماء الغربيين قبل (٢٠٠) عام فقط، أي: قبل تطور علم الأجنَّة والتشريح، وقبل أن يتمكن الإنسان من تحضير شرائح نسيجية من مختلف أعضاء الجسم ومن الجنين في كافة مراحل تكوينه، ومن ثم تلوينها

وتثبيتها بالمواد المختلفة لنتمكن من الاستدلال على دقائقها تحت المُجْهِر، لو سألناه: هل المضغة مخلَّقة أم غير مخلَّقة؟ فإنه سيقف عاجزاً كل العجز عن الإجابة، وسيبدو له السؤال وكأنه لغز غريب!..

أمّا القرآن الكريم فقد أكَّد وبلسان عربي مبين وقبل أكثر من (١٤٠٠) سنة أن بعض الأجهزة والأعضاء قد تخلَّقت في هذا الطور (طور المضغة) من عمر الجنين، وبقي البعض الآخر بدون تمايز ولا تخليق: ﴿مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ﴾.

فهل كان لدى النبي الأميّ مجاهر ومختبرات ومعدات وملوِّنات؟! وهل كان عنده عيادة يستقبل فيها المراجعات من النساء ويجري تجاربه ودراساته عليهن؟! أم أنه افترى هذه الآيات المعجزات التي كشفت حجاب الغيب عن هذه العلوم؛ علماً بأنه عاش في عصر ساد فيه الجهل والتخلّف والأمية؟! أم تظن أنه استمد هذه العلوم من الحضارات السالفة التي لم تبحث قطّ في علوم الطب والفلك والجيولوجيا ولا في غيرها؟! هذا عدا عن كونه ﷺ لا يقرأ ولا يكتب!..

٦ ـ آيات مراحل خلق الإنسان منارة يهتدي بها من ضل الطريق:

لذا وكما قال أساتذة وجهابذة هذه العلوم الغربيين: «**لا يمكن لهذه الآيات العظيمة والأدلة المادية العلمية أن تكون اختلاقاً بشريّاً، ولا نسج خيال حالم، ولا بد أن يكون قائلها هو بارئ الكون وخالق الإنسان، العليم بما خلق والخبير بما أبدع**».

﴿وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ الَّذِي أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ الْحَقَّ وَيَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾ [سبأ: ٦].

لقد كشف الحكيم العليم حجاب الغيب عن مدلولات هذه الآيات لحكمة أضحت واضحة بعد مرور قرون عديدة على نزولها؛ لقد اقتضت حكمته ﷻ أن يجعل من الإسلام ومن هذه الآيات منارة يهتدي بها من ضلَّ

الطريق، وفيضاً إيمانيّاً ينقّي نفوسنا من شوائب الحضارة وفلسفاتها الضالة المضلِّلة، ودليلاً علميّاً يسطع دائماً وأبداً بعظمة الله وينطق بوجوده ويؤكد وحدانيته وتفرّده في الخلق والإبداع والتصوير، وحجّة داحضة تفنِّد مزاعم الشيوعيين والماديين والماسونيين والعلمانيين والمستشرقين وكافة المارقين على الله والمعادين لدينه الحنيف..

﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْـَٔافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ﴾ [فصلت: ٥٣].

لقد أراد اللهُ ﷻ أن تكون هذه الآيات البيِّنات قبساً من نوره الجليل، وأدلَّة مادية وعلمية حية تدلُّ على علمه الواسع سبحانه، وتظهر قدراته التي لا حدود لها.. بهذا الأسلوب الإلهي الرائع جعل ﷻ من القرآن الكريم البلسم الشافي لكل من خالطه شكٌّ في دينه أو وهن في عقيدته، فيردّه إلى سواء السبيل وإلى الدين الحنيف؛ لهذا بقي القرآن المجيد معجزة دائمة نضرة متجدِّدة ومتمشِّية مع كل عصر وفي كل زمان ومكان، فأضحى بذلك معجزة المعجزات التي جاءت على أيدي الرسل الكرام، لأنها برمَّتها اختفت بانتقالهم إلى الرفيق الأعلى، بينما بقي القرآن معجزة حيّة قائمة إلى يوم الدين، وحجَّة قوية تدحض افتراءات وفلسفات الملحدين والكافرين وكافة المتنطِّعين على الله والدين.

٧ ـ الحقائق العلمية تتفق مع ما جاء في حديث آخر لنبي الهدى ﷺ:

لقد تأكَّد للعلماء أن التخلُّق يتم في الأيام الأربعين الأولى من الحمل، حيث تتميَّز خلايا المضغة بالتدريج فتعطي كتلاً جسدية وبراعمَ للأعضاء، فيبدو الأمر وكأن قوة خفية تأمر بعض الخلايا لتشكِّل الخصيتين، بينما توجِّه أخرى لتكوّن الكليتين والجهاز التناسلي والبولي، في حين تنصاع مجموعات خلوية أخرى لهذه القوَّة الخفية لتصبح براعمَ للدماغ أو القلب أو الرئتين أو العينين أو غير ذلك.

تأمَّل عزيزي القارئ كيف تمايزت هذه الخلايا وتنوعت فأضحت خلايا كثيرة الاختلاف في شكلها وخواصها ووظائفها وفي بنيانها الخلوي، علماً بأنها برمَّتها ظهرت من خلية أمٍّ واحدة، هي النطفة الأمشاج! فيا لعظمة الخالق! ويا لروعة الخلق والإبداع!..

لقد حيَّرت هذه القوة الخفية علماء العصر، فسعوا باحثين عقوداً عديدة علَّهم يصلون إلى كنهها، ففشلوا ويئسوا! لقد فشلوا لأنهم ركَّزوا دراساتهم على النواحي المادية الملموسة، وغفلوا عن القوة الإلٰهية الحكيمة التي تسيطر على خلايا الجنين وتوجِّهها حتى يتم التخلّق العجيب: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُصَوِّرُكُمْ فِى ٱلْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَآءُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [آل عمران: ٦]..

أمّا الآية: ﴿ذَرْنِى وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا﴾ [المدثِّر: ١١] فإنها تعني أن الله ﷻ كان الخالق الوحيد للجنين في رحم أمه، وبمعنى آخر فإن الله ﷻ هو وحده صاحب هذه القوة الخفية المذهلة التي تتحكَّم وبشكل عجيب ومدهش في تطور ونمو وتصوير وتخليق الجنين، ولولا هذه القدرة الإلٰهية الفذَّة لما كان بإمكان هذه الخلايا التي لا تعقل ولا تدرك من أمر نفسها شيئاً أن تتمايز وتتنوَّع وتتخصَّص لتصبح غدداً وأجهزة وأعضاء وأطرافاً بعد أن كانت خلية أرومية واحدة، ثم تجتمع بعضها مع البعض الآخر وتتَّحد بشكل متناسق يأخذ بالألباب؛ لتصبح إنساناً كاملاً عاقلاً جميل الخلق والتصوير ويقوم بملايين الوظائف والأعمال الإرادية واللاإرادية، كل هذا وقد كان بالأمس القريب نطفة من ماء مهين لا تكاد تبين.

ورد في الحديث الشريف عن نبي الهدى والرحمة: أنه ﷺ قال: «**إن أحدكم يُجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوماً نطفة، ثم يكون في ذلك علقة مثل ذلك، ثم يكون في ذلك مضغة مثل ذلك**»[١].. أنَّى لسيد الخلق عليه أفضل

---

(١) رواه مسلم، في كتاب القدر.

الصلاة والسلام أن يعرف أطوار خلق الجنين دون أن يكون لديه علم مسبق بعلوم الطب والجنين، ودون سابق دراية بالمجاهر والمناظير؟! وكيف له أن يكون السبَّاق إلى كشف هذه الحقائق العلمية التي قال فيها رب الأرباب الكبير المتعال: ﴿مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ۝١٣ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا﴾ [نوح: ١٣ ـ ١٤]؟!.

كيف له ﷺ أن يلمَّ بهذه العلوم وهو ذلك الأميّ الذي أمضى عمره في بيئة نائية ومنعزلة عن العلم وفنونه؟!.. ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ﴾ [فصلت: ٥٣].. هذا الكلام الإلٰهي الجليل موجَّهٌ للضالين والملحدين، أعداء الله والدين، ليتَّعظوا ويعودوا إلى جادة الحق وإلى الصراط المستقيم.

٨ ـ حديث نبوي ثالث معجز:

من المعروف أن الإنسان يقذف في اللقاء الجنسي من (٣٠٠ ـ ٥٠٠) مليون نطفة، ينفق منها (٢٠٪) فور قذفها بسبب ضعف في بنيانها، ثم يموت (٢٠٪) أخرى عند قمة المهبل بسبب حموضة سوائله ومفرزاته ومفرزات عنق الرحم.. بعد ذلك تسلك نصف النطف المتبقية الاتِّجاه الخاطئ عبر قناة الرحم (قناة فالوب) التي لا تستقر فيها البويضة، بينما يسبح ما تبقى من حيوانات منوية (٣٠٪ من عددها الأصلي عند القذف) في الاتجاه الصحيح ليتم اللقاء بين أقوى وأكفأ وأسرع حيوان منوي وبين البويضة العروس التي تنتظره في النهاية الخارجية لقناة الرحم قريباً من المبيض.

حتى هذه الفرقة الأخيرة من الجيش الجرّار من النطف الزاحفة ستنفق أثناء رحلتها الشاقة في قناة الرحم، فلا يصل إلى البويضة سوى (٥٠٠) نطفة، وذلك من أصل (٥٠٠) مليون، قال رسول الله ﷺ: «**ما من كل الماء يكون الولد، وإذا أراد الله خلق شيء لم يمنعه شيء**»[1].

---

(١) رواه مسلم، في كتاب النكاح، باب العزل.

٩ ـ آيات أخرىٰ معجزات:

أمّا الآية الكريمة التي تحدثت عن مصير هذا الجيش الجرار من النطف فهي: ﴿ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُۥ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ﴾ [السجدة: ٨]، و**السلالة**: تعني خلاصة الشيء، وخلاصة **الماء المهين**: هو ما سيبقى منه من نطف حيَّة تمكنت من الصمود والسباحة والزحف من المهبل إلى البويضة من (٨ ـ ٤٨) ساعة.

هل يعتقد أحد من الملحدين الذين تعرَّضوا للإسلام ولنبي الإسلام أنه ﷺ قد درس هذه القصة في إحدى الجامعات الألمانية أو الأمريكية أو في غيرها؟! أم يظنون أنه استورد مُجْهِراً ومنظار رحم وراح يفحص النساء ويراقب ما يجري في أرحامهنّ أثناء رحلة الإخصاب؟! وهل كان سيد الأنام طبيباً؟! وهل كان لديه عيادة وتجهيزات متطورة؟! وهل تطرَّقت الحضارات الغابرة لمثل هذه العلوم؟! كيف له عليه أفضل الصلاة والسلام أن يلمَّ بهذه الحقيقة العلمية المذهلة قبل أكثر من (١٤٠٠) سنة من اكتشافها لولا أنه نبيٌّ مرسل وأنه تلقاها بطريق الوحي الإلٰهي الأمين؟!.. ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ﴾ [النجم: ٣ ـ ٥]..

إنها يا أخي أدلة علمية مادية قرآنية تُثبت أن الله هو الخالق المبدع.

لقد ذكر العليم الحكيم من خلال الوحي وفي كتابه الكريم الكثير من أسرار الخلق، ثم كشف حجاب الغيب عنها بعد مئات السنين ليؤكد للملحدين والماسونيين وللمتفلسفين والمتنطعين أن الله حق، وأن النبي حق، وأن القرآن حق، وأن الإسلام حق، وأن البعث حق، وأن عالم الغيب بكل ما يحتويه حق، وأن ما يدعو إليه أعداء الإسلام وأعداء نبي الإسلام باطل وضلال وعدوان.

لقد ورد في الذكر الحكيم قوله ﷻ: ﴿قُتِلَ ٱلْإِنسَٰنُ مَآ أَكْفَرَهُۥ ﴿١٧﴾ مِنْ أَىِّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ ﴿١٨﴾ مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُۥ فَقَدَّرَهُۥ﴾ [عبس ١٧ ـ ١٩].

يُعلمنا خالق السموات والأرض من خلال هذه الآية أن خلق الإنسان يكون أو يبتدئ من نطفة! لقد كانت هذه العبارة غريبة أيام التنزيل؛ لأن أحداً لم يكن يعلم أن في النطاف نطف!.

١٠ ـ نطاف الرجل هو الذي يحدد جنس الجنين كما جاء في الآيات والعلم الحديث:

وفي آية أخرى قال الخالق تعالى: ﴿وَأَنَّهُۥ خَلَقَ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰ ﴿٤٥﴾ مِن نُّطْفَةٍ إِذَا تُمْنَىٰ﴾ [النجم: ٤٥ ـ ٤٦]. تشير الآيتان بوضوح ما بعده وضوح أن تحديد جنس الجنين ذكراً سيكون أم أنثى يكون بالنطفة التي تُمنى؛ والتي **تُمنى**: هي التي تتدفَّق، والذي يتدفَّق هو نطاف الرجل لا نطاف المرأة..

قال تعالى: ﴿أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى ﴿٣٦﴾ أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِىٍّ يُمْنَىٰ ﴿٣٧﴾ ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٣٨﴾ فَجَعَلَ مِنْهُ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰٓ﴾ [القيامة: ٣٦ ـ ٣٩].

لقد حدَّد ربُّ الأرباب، الخالق العليم فقال: ﴿فَجَعَلَ مِنْهُ﴾ ولم يقل: منها، وهذا يعني التذكير، أي: إن الحيوان المنوي المذكر هو المقصود وليست البويضة المؤنثة.

أمَّا التفسير العلمي والمادي لذلك فقد أضحى واضحاً في القرن العشرين بعدما اكتشف العلماء وجود نوعين من الحيوانات المنوية؛ الأول سريع الحركة ورأسه صغير طويل، والآخر بطيء الحركة ورأسه كبير وذيله قصير.. الأول يحمل صفات الذكورة، وهو يقطع المسافة من المهبل إلى البويضة المستقرة في النهاية الخارجية لقناة الرحم خلال (٤ ـ ٧) ساعات، أما الآخر فإنه يحمل صفات الأنوثة، ويقطع نفس المسافة خلال (٢٤ ـ ٤٨) ساعة.

فإذا التقى الحيوان المنوي ذكري الصفات والذي يحمل الصبغي (y) بالبويضة التي تحمل فقط الصبغي الأنثوي (x)، فيكون ناتج الحمل جنيناً يحمل الكروموسومين (xy) أي: إنه سيكون ذكراً. أمَّا إذا التقى الحيوان

المنوي أنثوي الصفات والذي يحمل الصبغي الأنثوي (x) مع البويضة؛ فسيكون ناتج التخصيب (xx) أي: إنه سيكون مولوداً أنثى.

فالزوجات غير مسؤولات عن تحديد جنس الجنين؛ وهن أرض تُنبت ما نزرع فيها أو فيهنّ نحن معشر الرجال! وهذا بالضبط ما رمت إليه الآية الكريمة: ﴿وَأَنَّهُۥ خَلَقَ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰ ﴿٤٥﴾ مِن نُّطْفَةٍ إِذَا تُمْنَىٰ﴾ [النجم: ٤٥ ـ ٤٦]، وكذلك الآية العظيمة: ﴿نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُوا۟ حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ﴾ [البقرة: ٢٢٣]. **والحرث**: في اللغة: يعني الأرض المخصَّصة للزراعة.. وهذان دليلان قرآنيان علميان آخران.

١١ ـ إعجاز نبوي في تحديد جنس الجنين:

هذا، ومن ناحية أخرى علينا ألا ننسى أن العلقة تنغرس في بطانة وجدار الرحم تماماً كما تنغرس حبّة الزرع في الأرض، فتعطي الأولى مولوداً ذكراً أو أنثى، بينما تعطي الأخرى حبّاً وقضباً وزيتوناً ونخلاً وحدائق غلباً؛ فسبحان مالك الملك، خالق السموات والأرض.

لقد تبيَّن لعلماء العصر أن من أهم العوامل التي تتحكَّم بتحديد جنس الجنين تفاعل مفرزات عنق الرحم عند رعشة الزوجة وبلوغها قمة متعتها.

لقد تبيَّن حديثاً أن الحيوانات المنوية التي تحمل الكروموسوم (y) ـ أي: ذكرية الصفات ـ تنشط وتزداد سرعة سباحتها في تجويف الرحم وأبواقه إذا كان تفاعل مفرزات عنق الرحم قلويّاً، وتتثبَّط وقد تموت إذا كان تفاعل هذا السائل حامضيّاً أو شديد الحموضة.

أمّا الحيوانات المنوية ذات الصفات الأنثوية والتي تحمل الصبغي (x) فإنها تنشط في الوسط الحامضي، وتتثبَّط إذا كان سائل ومفرزات عنق الرحم والمهبل قلوي التفاعل.

بناءً على هذه الحقيقة العلمية ستنشط النطف المذكرة الصفات إذا لاقت

سائلاً قلويّاً لتسبح فيه، بينما تتخلَّف ذات الصفات الأنثوية فيكون ناتج الحمل ذكراً بإذن الله تعالى، والعكس بالعكس.

كما تبيَّن علميّاً أن مفرزات عنق الرحم ستزداد وستبلغ أشدها عند الإثارة الجنسية، وستتحول من وسط حامضي خفيف إلى آخر قلوي التفاعل، فإذا قذف الزوج بعد أن بلغ بزوجته قمة النشوة والرعشة فسيكون الحمل ذكراً بإذن الله تعالى.

أمَّا إذا تمَّ القذف والزوجة لا زالت دون إثارة، كأن تكون مصابة بالبرود الجنسي، فستنفق النطف المذكرة الصفات في وسط مهبلها الحامضي، وستنشط أنثوية الصفات ليكون المولود أنثى بإذن الله تعالى.

لقد توصَّل العلماء لهذه الحقيقة العلمية قبل بضع سنين فقط، أمَّا نبينا الأميّ فقد نوَّه إليها قبل أكثر من (١٤٠٠) سنة من خلال حواره مع حبر من أحبار اليهود، وإليك يا أخي هذا الحوار:

جاء في (صحيح مسلم): أن أحد أحبار اليهود جاء إلى الرسول الكريم عليه أفضل الصلاة والتسليم فقال له: جئتك أسألك عن واحدة لا يعلمها إلا نبيّ.. فقال له رسول الهدى والمحبة ﷺ: «**هل ينفعك إن أخبرتك؟**» فقال الحبر: أسمع بأذني، فقال الحبيب ﷺ: «**سل عمّا بدا لك**» فقال اليهودي: من أين يكون شَبَهُ الولد؟ فقال الرسول العظيم ﷺ: «**أمّا ماء الرجل فهو غليظ أبيض، وأمّا ماء المرأة فهو أصفر رقيق، فإن علا ماء الرجل ماء المرأة أذكرا بإذن الله تعالى، وإن علا ماء المرأة ماء الرجل أنَّثا بإذن الله تعالى**» فقال الحبر اليهودي: صدقت وأنت نبي، ثم ذهب! فقال رسول الله ﷺ لأصحابه الذين شهدوا هذا الحديث: «**لقد سألني حين سألني وما عندي علم؛ حتى أنبأني الله تعالى**»، أي: أنزل له الوحي بالجواب.

أمّا معنى الحديث النبوي الشريف فهو واضح وضوح الشمس في كبد

السماء: تفرز المرأة عند بلوغها ذروة النشوة سائلاً رقيقاً يميل لونه إلى الأصفر، وهذا ما يُدعى علميّاً بنطاف أو ماء المرأة، يستقر ماء المرأة في قاع مهبلها وحول عنق رحمها؛ فإذا جاء القذف بعد ذلك ببضع دقائق فإن مني (ماء) الزوج سيتوضّع فوق ماء زوجته «**إذا علا ماء الرجل ماء المرأة أذكرا بإذن الله تعالى**». . أما إذا سبق الزوج زوجته في القذف والرعشة فسيتوضع ماؤه في قعر مهبلها؛ فإذا ارتشعت بعده فإن ماءها سيقع فوق مائه «**وإذا علا ماء المرأة ماء الرجل أنّثا بإذن الله تعالى**».

فالقاعدة التي اكتشفها علماء العصر موجودة مذ خلق الله آدم وحواء، ولكنه ﷻ لم يكشف حجاب الغيب عنها إلا لرسله الكرام لتكون حجّة لهم على من يعاديهم من ملاحدة وطبيعيين، ودليلاً علميّاً ومادّياً قويّاً لأولي الألباب ليؤمنوا بوجود الله، وليتأكدوا أنه وحده الذي خلق الإنسان والحيوان والنبات.

وبنفس هذا الأسلوب الإلٰهي الفذّ بيّن ﷻ أن البعث والحساب آتيان لا محالة، فضرب لنا أمثلة عن أمور حقّة كانت غيبيّة عندما جاء ذكرها في القرآن الكريم أيام التنزيل، ثم وبعد أن تطوّرت مداركنا وعقولنا وعلومنا كشف لنا ﷻ حجاب الغيب عنها، فأضحت يقينيّة ومرئيّة فآمنّا بها واستيقنتها أنفسنا.

١٢ ـ حقيقة خلق الإنسان من تراب:

من هذه الأمور الغيبية حقيقة خلق الإنسان من تراب: لقد تأكّد لعلماء العصر بعد تحليل رميم الإنسان بعد فنائه أنه مطابق تماماً لتراب الأرض، وكلاهما يحتوي على نفس العناصر، وعددها (١٨).

١٣ ـ مثل إلٰهي مذهل:

لقد جاء المثل الإلٰهي مذهلاً يأخذ بالألباب: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمۡ فِي رَيۡبٖ مِّنَ ٱلۡبَعۡثِ فَإِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن تُرَابٖ ثُمَّ مِن نُّطۡفَةٖ ثُمَّ مِنۡ عَلَقَةٖ ثُمَّ مِن مُّضۡغَةٖ مُّخَلَّقَةٖ

وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي ٱلْأَرْحَامِ مَا نَشَآءُ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا﴾ [الحج: ٥].

فبعد أن خلق الله الإنسان من تراب وقدَّر فيه أجهزة جسمه المختلفة جعله يتناسل ويحافظ على جنسه من خلال الزواج والتقاء نطفة الذكر بنطفة الأنثى: ﴿إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ﴾ [الانسان: ٢].

صحيح أننا نرى النطاف، إلا أننا لا نرى النطفة إلا بالمُجْهِر! وهذا يعني أن الصحابة الكرام والسلف الصالح لم يعرفوا شيئاً عن النُّطف، لذا كان أمرها غيباً بالنسبة لهم، ثم أصبحت حقيقة يقينيّة ومرئية في القرن العشرين، وهذا دليل علمي وماديٌّ آخر.

وهكذا حال البعث الذي أنتم في ريب منه يا بني آدم ويا أتباع المادية والشيوعية والماسونية والإلحاد، ستعلمونه علم اليقين بعد أن تشهدونه.

١٤ ـ إعجاز إلٰهي في خلق الذكر والأنثى من نطفة واحدة فقط:

يكمن في هذه الآية إعجاز إلٰهي آخر؛ وهو أن الله قد خلق الذكر والأنثى من نطفة واحدة: ﴿وَأَنَّهُۥ خَلَقَ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰ ﴿٤٥﴾ مِن نُّطْفَةٍ إِذَا تُمْنَىٰ﴾ [النجم: ٤٥ ـ ٤٦] ولم يقل ﷻ من ملايين النطف الموجودة في النطاف.

لقد كانت هذه الحقيقة العلمية الأخيرة من عالم الغيب ثم أضحت مُسلَّماً بها في هذه الأيام.

١٥ ـ يُستدل على عالم الغيب بعالم الشهادة:

وكذلك الحال بالنسبة للعلقة، فهي لم تكن معروفة قبل القرن العشرين، والمضغة وإن كانت مرئية بالعين المجرَّدة إلا أن خلاياها وأعضاءها التي تخلَّقت والتي لم تتخلَّق بعد في هذه المرحلة من عمر الجنين لم تكن مرئية في الماضي البعيد، وقد كُشف حجاب الغيب عنها بعد تطوّر العلوم وبعد اختراع

المجاهر، لقد أضحت يقينية بعد أن كانت في عالم الغيب! **فكما كشفنا لكم حجاب الغيب عن النطف وعن العلقة وعن تكوين وحقيقة المضغة فإنكم سترون رأى العين الحشر والبعث والحساب والجنة والنار التي لا زالت بالنسبة إليكم يا معشر الملحدين غيبية ومن عالم الغيب الذي تنكرونه..**

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمۡ فِي رَيۡبٖ مِّنَ ٱلۡبَعۡثِ فَإِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن تُرَابٖ ثُمَّ مِن نُّطۡفَةٖ ثُمَّ مِنۡ عَلَقَةٖ ثُمَّ مِن مُّضۡغَةٖ مُّخَلَّقَةٖ وَغَيۡرِ مُخَلَّقَةٖ لِّنُبَيِّنَ لَكُمۡۚ﴾ [الحج: ٥].

ولكن الكافرين بآيات الله يجحدون.. ﴿بَلِ ٱدَّٰرَكَ عِلۡمُهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِۚ بَلۡ هُمۡ فِي شَكّٖ مِّنۡهَاۖ بَلۡ هُم مِّنۡهَا عَمُونَ﴾ [النمل: ٦٦].

١٦ ـ نقرُّ في الأرحام ما نشاء إلى أجل مسمّى:

كما بيّنت الآية الكريمة السابقة أن إرادة الله ﷻ ومشيئته فوق العمل بالأسباب، أي إن البويضة، وإن تخصَّبت قد تسقط ويمجّها الرحم إن أراد الله ذلك.. ﴿وَنُقِرُّ فِي ٱلۡأَرۡحَامِ مَا نَشَآءُ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى﴾ [الحج: ٥].

لقد أكَّد العلم الحديث أن (٨٤٪) فقط من البويضات ستخصَّب، وستتلاشى الـ (١٦٪) المتبقية!.. كما تبيَّن أن (٦٩٪) من التي تخصَّبت ستنغرس في بطانة الرحم لتصبح علقة، وستموت الـ (٣١٪) المتبقية أثناء رحلتها في قناة الرحم! كما تبيَّن حديثاً أن (٧٥٪) من هذه العلقات التي انغرست وثبتت في بطانة وجدار الرحم ستتابع مسيرة الحمل والتخليق والتصوير، وستسقط الـ (٢٥٪) المتبقية، فتظنّ المرأة أن دورتها الشهرية قد حضرتها بعد بعض التأخير غير المعتاد؛ وهي لا تدري أنها كانت حاملاً فأجهضت: ﴿وَنُقِرُّ فِي ٱلۡأَرۡحَامِ مَا نَشَآءُ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى﴾ [الحج: ٥]، فسبحانك يا عليم يا حكيم يا مبدع السموات والأرض ومن فيهن!..

كما تبيِّن الآية الكريمة أن فترة الحمل مقدَّرة من الخالق جلَّ شأنه منذ

الأزل لتكون (٢٨٠) يوماً: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا﴾ [الفرقان: ٢]، ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ عِندَهُ بِمِقْدَارٍ﴾ [الرعد: ٨].

فلو تأخّرت الولادة عن موعدها المقدَّر فسيصبح حجم الجنين أكبر من الطبيعي، فيتعذّر خروجه عبر حوض وفرج أمه! لقد قدَّر العليم الحكيم نموَّ جسم ورأس الجنين بحيث تتناسب أقطار جمجمته مع أقطار فوهة خروجه من حوض أمه؛ لذا وقبل أن يتطوَّر الطب، وقبل أن توجد العملية القيصرية، كان مصير هؤلاء الأطفال وكثير من أمهاتهم الموت الأكيد.

أمّا ولادة الطفل قبل الأجل المقدَّر لها فإنها ستتمخَّض عن أطفال خدَّج ضعفاء ناقصي النمو، وفُرَصُ بقائهم على قيد الحياة لا زالت ضئيلة رغم ازدهار علوم الطب وتطورها الكبير، أمّا في الماضي البعيد فقد كان مصيرهم الموت الأكيد! فسبحان الخالق الحكيم الذي قال في محكم كتابه: ﴿أَلَمْ نَخْلُقكُّم مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ﴿٢٠﴾ فَجَعَلْنَٰهُ فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿٢١﴾ إِلَىٰ قَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴿٢٢﴾ فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ ٱلْقَٰدِرُونَ﴾ [المرسلات: ٢٠ ـ ٢٣].

١٧ ـ وهكذا نستدل على وجود الله سبحانه، وأنه الخالق القادر:

من خلال هذا العرض السريع لبعض آيات الخلق والإعجاز التي جاءت في الذكر الحكيم يتأكد لنا بما لا يدع مجالاً للشك أن الله ﷻ موجود، وأنه الذي خلق الإنسان وأبدع السموات السبع والأرضين وما فيهنّ.. وبما أنه وحده الذي خلق الكون أول مرة، فإنه قادر على إعادة الخلق ثانية وثالثة ورابعة وألف مرة، لأن تكرار العمل أسهل وبكثير من إبداعه للمرة الأولى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَلَمْ يَعْىَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْۦِىَ ٱلْمَوْتَىٰ بَلَىٰٓ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الأحقاف: ٣٣]، أي: إن خلق الإنسان بسيط إذا ما قارنّاه بخلق السموات والأرض: ﴿لَخَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [غافر: ٥٧].

وكما أكَّد لنا ﷻ أنه الخالق، وأنه القادر على إعادة الخلق، صار لزاماً

علينا أن نؤمن بالبعث والحساب والجنة والنار، وكل من يجحد ذلك فهو آثم قلبه ومكابر! . .

﴿لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ﴾ [الأعراف: ١٧٩]؛ أما **الأنعام**: فهم البهائم.

في الختام أذكِّر هؤلاء بقوله ﷻ: ﴿قُلِ ٱللَّهُ يَبْدَؤُاْ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ﴾ [يونس: ٣٤]. . عد يا أخي إلى محراب الإيمان واحرص على رضاء الله لتسلم في آخرتك فتكون من المقربين إلى الله.

خامساً: أصل الكون دخان:

أثبت العلم الحديث أن الكون كان بعد الانفجار الكبير (قبل ١٥ مليار سنة) سديماً دخانياً هائلاً وقاتماً، ثم بدأت مكوِّناته الغازية والمعدنية تبرد وتتكثَّف حتى تشكَّل منها ما يزيد عن (١٠٠) مليون مجرَّة عملاقة، في كل مجرة ما يزيد عن (١٠٠) مليون نجم! أمّا ما تبقَّى من السديم الدخاني فقد بقي على حاله سديماً دخانياً كبيراً يدعى درب التبّانة المترامي الأطراف.

يمكننا مشاهدة درب التبَّانة في الليالي الحالكة الظلام عند اختفاء القمر، خاصة إذا نظرنا إليه من مكان بعيد عن المدن والإضاءة الشديدة.

في أحد المؤتمرات العلمية التي أقيمت في الرياض والقاهرة والتي بحثت في آيات الإعجاز العلمي في القرآن الكريم، والتي حضرها حشد كبير من علماء الأرض الذين جاؤوا من كل فج عميق ليشهدوا وقائع إسلامية علمية؛ شرح أحد علماء المسلمين الآية: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ﴾ [فصلت: ١١].

وأصيب العلماء المتخصِّصون في الفلك والفضاء بالذهول، وأبدوا

إعجابهم بهذه الحقيقة العلمية التي نزلت في القرآن الكريم في القرن السابع الميلادي في عصر الضعف والتخلّف العلميين، لذا قال أحدهم وهو البروفسور **يوشيدي كوزاي**؛ رئيس مرصد طوكيو العالمي: «لم يصل العلماء إلى هذه الحقيقة العلمية المذهلة إلا منذ عهد قريب، وذلك بعد أن خرجوا بسفنهم الفضائية من الغلاف الجوي للأرض، والتقطوا بكاميراتهم المتطورة وبتليسكوبات أقمارهم الصناعية صوراً وأفلاماً حيَّة تُظهر نجوماً وهي تتكوَّن من الدخان الكثيف القاتم في درب التبَّانة.

كانت معلوماتنا السابقة عن الكون مجرد نظريات وفرضيات، وكانت خاطئة لأننا كنا نعتقد بأن أصل الكون ضبابٌ، وأن الذي نراه في درب التبَّانة ضباب يتخلَّل النجوم والمجرات. . والدخان كما تعلمون حار، وهو ينجم عن نيران قوية، أمّا الضباب، فهو بارد وخامل، ولذا لا يمكن أن تتشكَّل منه نجوم تشهد انفجارات نووية هائلة مستمرة، والتي لا تنطفئ إلا بانطفاء النجم بعد ملايين أو مليارات السنين من تشكّله».

وبما أنه وحده سبحانه الحيُّ القيُّوم الذي لا تأخذه سنّة ولا نوم، وهو الفرد الصمد الموجود منذ الأزل، لذا فهو وحده القادر على إخبارنا عن بداية تشكّل الكون، كيف كان؟ وكيف صار؟.

لقد كان هذا بالضبط ما قاله البروفسور يوشيدي كوزاي وغيره من العلماء في مؤتمر الشباب الإسلامي الذي عُقد في الرياض من (١٨ ـ ٢٥) مارس/ آذار (١٩٧٩م)، الموافق (٢٠ ـ ٢٧) ربيع الثاني (١٣٩٩هـ).

لقد بلغ ذهول العلماء المؤتمرين أشدَّه عندما ألقى أحد علماء المسلمين على مسامعهم الآية: ﴿أَوَلَمْ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَٰهُمَا﴾ [الأنبياء: ٣٠]؛ لقد ذهلوا لأنهم يعلمون علم اليقين أن بداية الكون كانت سديماً دخانيّاً واحداً متجانساً، ويتركّب من الهيدروجين وبعض العناصر

الأخرى المعروفة؛ أي: كان رتقاً، ثم تفتَّق عن المجرات والنجوم والكواكب والأقمار والنيازك والمذنَّبات.

بعد سماع الآيتين الكريمتين نهض العالم البروفسور **بالمر (Palmer)** وقال: «إن ما قيل الآن لا يمكن بحالٍ من الأحوال أن يُنسب لإنسان مات قبل أكثر من (١٤٠٠) سنة، لأنه لم يكن لديه لا تلسكوبات ولا سفن فضاء ولا محطات فضائية تسبح في أجواء الفضاء ليتمكن من خلالها من اكتشاف هذه الحقائق العلمية والمادية المذهلة عن بداية تشكّل الكون، فالذي أخبر محمداً عنها لا بد وأنه كان موجوداً أثناء تشكُّل الكون، كما لا بد وأنه كان موجوداً أيام حياة محمد، كما لا بد له أن يكون حيّاً قيّوماً منذ الأزل، ويعلم أسرار الكون وعلومه، وهذا لا ينطبق على عالم حكيم غير الله العلي القدير».

لقد أصاب البروفسور بالمر في تحليله وفي تأمّله: ﴿قُلْ أَنزَلَهُ ٱلَّذِى يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الفرقان: ٦]؛ أي: يعلمه من قدَّره وخلقه.

﴿وَيَرَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ ٱلْحَقَّ وَيَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ﴾ [سبأ: ٦].

لقد كشف لنا سبحانه حجاب الغيب عن بعض آياته وآلائه؛ لندرك وجوده وعظمته وقدرته فنسبِّح بحمده ونؤمن به ونعبده.

سادساً: كروية الأرض:

لكي نثبت للناس أن القرآن من عند الله لا بد أن نبيِّن لهم تطابق علومه مع ما أثبته وما سيثبته العلم القديم والحديث من حقائق؛ ولكن فَهْمَ الآيات واستخراج الإعجاز الكامن فيها يحتاج إلى عقول نيِّرة ناضجة، ومعرفة جيدة باللغة العربية؛ فعندما نقرأ الآية: ﴿وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا﴾ [الحجر: ١٩] بشكل عابر سطحي ودون تأمّل؛ فإننا سنظن أنها ـ أي: الأرض ـ ممدودة (مسطَّحة).

والواقع أن الأرض لا تكون ممدودة (مبسوطة) إلا إذا كانت كروية، وإلا

فإننا سنبلغ نهايتها وحوافها، ولكن هذا لم ولن يكون ولو سرنا على سطحها الدهر كله؛ فلو ذهبت عزيزي القارئ إلى أمريكا (أقصى الغرب) فإنك ستجدها مبسوطة، ولو عدت إلى الشرق الأوسط ثم ذهبت إلى اليابان (في أقصى الشرق) فستجدها مبسوطة ممدودة أيضاً، وإذا توجهت إلى القطبين فتسجد الحال نفسه؛ فكيف يكون هذا المدُّ والانبساط متصلاً ببعضه في كافة بقاع الأرض إن لم تكن الأرض كروية؟!..

فالذي أدرك الإعجاز اللغوي الكامن في الآية الكريمة أدرك أن القرآن الكريم كان أول من أشار إلى كروية الأرض، ومن خانته فطنته سخر واستهزأ وازداد كفراً على كفر..

﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَيَقُولُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرًا وَيَهْدِى بِهِۦ كَثِيرًا وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ [البقرة: ٢٦].

هناك آيات أخرى أشارت إلى كروية الأرض بشكل أوضح، ولكن أحداً من السابقين لم يتمكّن من تفسيرها، منها:

﴿وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ﴾ [يس: ٤٠].

والآية: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ خِلْفَةً لِّمَنْ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا﴾ [الفرقان: ٦٢].

والآية: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ﴾ [لقمان: ٢٩].

لن يخلف الليل النهار بشكل منتظم على مدى العصور إلا إذا كانت الأرض كروية، ولو كانت مكعبة أو هرمية أو غير ذلك لوصلنا إلى أحد حوافها، ولانتابها ليلان أو ثلاثة قبل النهار، أو نهار أو اثنان قبل الليل... وهكذا ﴿وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ﴾ [يس: ٤٠].

أمّا الآية التي أشارت إلى هذه الحقيقة بصراحة أكثر فقد كانت: ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ يُكَوِّرُ ٱلَّيْلَ عَلَى ٱلنَّهَارِ وَيُكَوِّرُ ٱلنَّهَارَ عَلَى ٱلَّيْلِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى أَلَا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفَّٰرُ﴾ [الزمر: ٥]؛ فلا يمكن بحال من الأحوال أن يتكوَّر الليل والنهار على سطح ما إلا إذا كان هذا السطح كرويّاً، وبذلك سنشاهد نصف هذه الكرة مضيئاً ونصفها الآخر غارقاً في ظلام دامس، ولا يوجد على سطحها لا نهار سرمدي ولا ليل سرمدي.

أما الآية التي كانت أكثر صراحة في إظهار كروية الأرض فقد كانت: ﴿وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ﴾ [النازعات: ٣٠]؛ **والدحية**: في العربية هي بيضة النعام، وقد تمَّ رصد هذه الحقيقة من الفضاء الخارجي بعدما خرج الإنسان إلى الكواكب الأخرى! والذي يجدر ذكره أن بعض الشعوب العربية لا زالت تسمِّي البيضة دحية.

وبسبب دوران الأرض حول نفسها أمام الشمس فستشرق الشمس في كل لحظة على بقعة طولانية من بقاعها، وتغرب على البقعة المقابلة لها من الجهة الأخرى: ﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِرَبِّ ٱلْمَشَٰرِقِ وَٱلْمَغَٰرِبِ﴾ [المعارج: ٤٠].

بهذه الآيات أعطى القرآن الكريم وصفاً دقيقاً لواقع الأرض ولحركتها ودورانها في وقت كان العلم فيه في سبات عميق ومديد، وخيَّم فيه الجهل وغشَّى شعوبه التخلف والظلام.

بعد أن تمكَّن إنسان القرن العشرين من الانفلات بمركباته الفضائية خارج الغلاف الجوي للأرض، رأى رأيَ العين أن الأرض مفلطحة قليلاً عند القطبين، ومتَّسعة بعض الشيء عند خط الاستواء، كما تمكَّن من قياس قطري الأرض بشكل دقيق، فتبيَّن له أن قطرها بين القطبين (٧٩٠٠) ميل، وعند خط الاستواء (٧٩٢٦,٥) ميل، وبذلك تأكد للعلماء وللناس أن الأرض شديدة الشبه ببيضة النعام، تماماً كما ورد في الذكر الحكيم قبل أكثر من (١٤٠٠) سنة.

وبما أن سيدنا محمداً ﷺ لم يخرج من مجال الأرض الجوي مستكشفاً، فمن البديهي إذن أن يكون القرآن كلام مبدع السموات والأرض.

● قد يتساءل البعض: طالما أن الله أراد أن يبيِّن للناس كروية الأرض في كتابه المجيد، فلماذا لم يذكر ذلك بشكل صريح؛ كأن يقول: والأرض كوَّرناها مثلاً؟ الجواب بسيط وبسيط جدّاً؛ لو جاء القرآن بمفاهيم غريبة على عقول الناس ومداركهم التي كانت محدودة في ذلك العصر فإنهم سيرفضونها، وقد يخرج من الإسلام من سبق وآمن واستيقنت نفسه، لا لشيء، إلا لأنه يرى الأرض ممدودة مسطَّحة ويدبُّ عليها هو وأنعامه دون أن يترنَّح ودون أن يسقط.

لذا ترك الله ﷻ تفسير الكثير من الحقائق العلمية القرآنية رهن الزمن والتطور العلمي والعقلي، فيصبح ما ورد في القرآن معجزات تؤكِّد وجود الله، وأنه الواحد الأحد الفرد الصمد خالق الأرض والبشر..

قال تعالى: ﴿لِّكُلِّ نَبَإٍ مُّسْتَقَرٌّ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ [الأنعام: ٦٧].

وقال الحكيم العليم: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ ﴿٨٧﴾ وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ﴾ [صٓ: ٨٧ ـ ٨٨].

وقال سبحانه: ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَاتِنَا فِى ٱلْآفَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ﴾ [فصلت: ٥٣]، نعم حتى يتبيَّن لهم أن الله حقّ، وأنه موجود، وأنه وحده الذي خلق الكون بكل ما فيه، وأنه وحده المشرِّع وموجد الإسلام، وأن القرآن كتابه ومحمداً ﷺ نبيه.

بهذا الأسلوب الإلٰهي المذهل أضحى القرآن معجزة المعجزات، وبقي عبر مئات السنين غضّاً نضراً بهيّاً، وسيبقى الإسلام بهذه القوة والروحانية حتى قيام الساعة: ﴿أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰٓ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [الرعد: ١٩].

سابعاً: حركة الكون:

زعم **كارل ماركس** ومَنْ هم على شاكلته من الوجوديين والملحدين أن الكون ثابت لا يتحرك؛ لينفوا وجود إلهٍ حافظٍ ومسيِّر لما فيه من نجوم وكواكب ومجرّات، وقال: إن هذه الأجرام قد وُجدت نتيجة إرادة مجهولة، ثم خضعت لقوانين الطبيعة التي حافظت عليها من الزوال، ولكن خالقها ومبدعها أكَّد في كتابه المجيد أن كل شيء في هذا الكون في حركة دائمة، فقال: ﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلۡخُنَّسِ ۝١٥ ٱلۡجَوَارِ ٱلۡكُنَّسِ﴾ [التكوير: ١٥ ـ ١٦].

وقال: ﴿وَٱلشَّمۡسُ تَجۡرِي لِمُسۡتَقَرّٖ لَّهَاۚ ذَٰلِكَ تَقۡدِيرُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ﴾ [يسٓ: ٣٨].

وقال: ﴿وَكُلّٞ فِي فَلَكٖ يَسۡبَحُونَ﴾ [يسٓ: ٤٠].

وقال عزّ من قائل: ﴿وَسَخَّرَ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَۖ كُلّٞ يَجۡرِي لِأَجَلٖ مُّسَمًّىۗ﴾ [الزمر: ٥].

لقد أكَّد العلم الحديث هذه الحركة للأجرام السماوية، كما أكد أنها تتباعد عن بعضها من خلال هذه الحركة، وبذلك فالسماء تتَّسع باستمرار.. ﴿وَٱلسَّمَآءَ بَنَيۡنَٰهَا بِأَيۡيْدٖ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾ [الذاريات: ٤٧].

بعد أن خرج الباحثون عن نطاق الجاذبية الأرضية تمكنوا من مشاهدة حركة وجريان الأرض ودورانها حول نفسها، كما تمكنوا من مشاهدة ورصد حركة الكواكب والنجوم! لقد قدِّرت سرعة جريان الأرض في فلكها حول الشمس بـ (٦٥,٠٠٠) ميل في الساعة، أي: ما يزيد عن (١٠٠,٠٠٠) كم في الساعة، كما قدِّرت سرعة دورانها حول نفسها بـ (١٠٠٠) ميل في الساعة. والشمس تجري بسرعة (٧٠,٠٠٠) كم في الساعة، وتدور حول محورها بسرعة (٦٠٠٠) قدم في الثانية، أمّا مجرتنا العملاقة فإنها تجري بسرعة (٦١٢) مليون ميل في الساعة، وهي سرعة فلكية مذهلة! إنها تجري بهذه السرعة منذ تشكّلها قبل (١٥) مليار سنة وحتى الآن! فإلى أين تسعى يا ترى؟ وأين سيكون منتهاها هي وباقي المجرات التي يزيد عددها عن (١٠٠) مليون مجرة؟ ولماذا لا

يصطدم بعضها بالبعض الآخر أثناء جريانها بهذه السرعة الخيالية، علماً بأن لكل مجرة سرعتها الخاصة بها واتجاهاً ومساراً خاصاً تسلكه؟!..

فلو ارتطمت شمسنا بنجم آخر قريب فإنها ستتلاشى بعد أن تنفجر، وستتلاشى معها كواكبها بما فيها كوكبنا الجميل خلال ثوانٍ معدودات، وستعود هذه الأجرام إلى حالتها قبل تشكلها فتصبح سديماً دخانيّاً كدرب التبّانة.

لماذا لا تصطدم الأجرام السماوية ببعضها؟! وهل تمتلك عقلاً مدبراً ولغة تتفاهم من خلالها؟! أم أن صدفة بلهاء سنَّت لها قوانينها البالغة الدقة والتعقيد فحافظت عليها مليارات السنين؟ أم أن الأقرب للعقل والمنطق أن إلٰهاً حكيماً بالغ العلم والدراية والقوة والقدرات خلقها وحافظ عليها الدهر كله؟.. ﴿وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَاۚ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

عندما اطَّلع العالم الفلكي البروفسور **نيل آرم سترونغ** على آيات الإعجاز الإلٰهي سابقة الذكر؛ قال: «إنني أتعجب وأتساءل كيف يمكن لكتابات ونصوص بهذا القِدَم أن تصف جريان الكواكب والمجرات والنجوم على هذا النحو الدقيق الذي لم يتعارض مع مشاهداتنا ونظرياتنا الحديثة؟».

ثامناً: وفي الأرض آيات للموقنين:

هل تأمَّل أحدنا في الأرض التي استخلفنا الله فيها؟ كيف أضحت ملائمة للحياة، بينما بقيت ملايين الملايين من الكواكب الأخرى ميتة وليس فيها أي شكل من أشكال الحياة؟!..

١ ـ لو كانت الأرض صغيرة أو بحجم القمر مثلاً فإنها ستعجز عن الاحتفاظ بغلافها الجوي الذي يحميها من الأشعة الكونية القاتلة فيرجعها من حيث أتت، تماماً كما تعكس المرآة الضوء الساقط عليها.. ﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلرَّجْعِ﴾ [الطارق: ١١]، ولولا هذا الغلاف الجوي المحيط بالأرض ـ السقف المحفوظ ـ

لتسرَّب الأوكسجين إلى الفضاء الخارجي، ولأضحت الحياة مستحيلة على سطحها.

٢ ـ ولو كانت الأرض أصغر مما هي عليه فلن تتمكَّن من المحافظة على مياه بحارها ومحيطاتها، وبالتالي فإن دورة الماء فيها ستنعدم، وستختفي الأمطار ومعها كافة أنواع الحياة.. ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾ [الأنبياء: ٣٠].

٣ ـ ولو كان قطر الأرض ضعف قطرها الحالي لتضاعفت مساحة سطحها أربعة أضعاف مساحته الحالية، وبالتالي ستزداد قوة جاذبيتها للأجرام السماوية التي تعبر بالقرب منها، وستقل سماكة غلافها الجوي ـ السقف المحفوظ ـ فيفشل في صدِّ النيازك والأجرام السماوية المختلفة، فتسقط على الأرض وكأنها قذائف كونية مدمِّرة تفوق في قوتها التدميرية ملايين القنابل الذرية والهيدروجينية، فتمحو كل أثر للحياة، وستحرق الأخضر واليابس، وتدكّ الجبال وناطحات السحاب في ثوانٍ معدودات.

٤ ـ وإذا ازداد حجم الأرض إلى الضعف، فسيزداد ضغطها الجوي من كيلوغرام واحد على السنتيمتر المربع الواحد من سطحها، إلى كيلوغرامين، كما ستزداد مساحة المناطق القطبية وتتقلّص مساحة الأراضي الزراعية بشكل كبير يحتّم على الناس التجمّع في رقع صغيرة وقليلة تفصلها عن بعضها مساحات شاسعة من أراضٍ جرداء قاحلة، وبذلك ستعاني الكائنات الحية من فاقة كبيرة في الماء والغذاء، فيتعذَّر الاستمرار في هذا الكوكب.

٥ ـ ولو جاء حجم الأرض كحجم الشمس مثلاً فإن جاذبيتها للأجرام السماوية المجاورة لها ستزداد (١٥٠) ضعفاً، وبذلك سترتطم في كل آنٍ وكل حين بجرم عابر! وإذا كان هذا الجرم كبيراً أو أكبر من الأرض فإنه سيحوِّلها إلى أشلاء في لمح البصر! ومن ناحية أخرى سيزداد الضغط الجوي (١٥٠) ضعفاً؛ الأمر الذي سيؤدي إلى تقليص أحجام المخلوقات وازدياد وزنها،

فيصبح الإنسان على سبيل المثال بحجم القطة أو السنجاب، وقد يمشي على أربع وقد يسعى زاحفاً على بطنه.

أليست هذه نِعمٌ كبيرة وعظيمة من نِعَم الله الكثيرة علينا.

٦ ـ وإذا ازدادت نسبة الأوكسجين في الغلاف الجوي عن (٢٠٪) فستزداد حرارة الكوكب وسيشتعل ليصبح محروقاً مهجوراً كغيره من الكواكب التي تعدُّ بالملايين.

أمَّا إذا انخفضت نسبة الأوكسجين عن (٢٠٪) فإنه سوف لن يكفي لعيش الإنسان والحيوان والنبات.

٧ ـ وإذا كانت الجاذبية أقلَّ من جاذبية الأرض، فلن نتمكن من المشي والسعي على سطح كوكبنا وسنطير كالقطن المندوف.

٨ ـ ولو ازدادت سرعة دوران الأرض حول الشمس فأضحت السنة شهراً أو بضعة أشهر، فسيختل التوازن بين قوة الشمس الجاذبة لها وبين القوة النابذة، فتنفلت عن جاذبية الشمس لتسبح ضائعة في الفضاء الفسيح البارد المظلم وستصبح حرارتها مئة تحت الصفر، وبذلك ستصبح مهجورة وغير مناسبة لأي نوع من أنواع الحياة على سطحها.

٩ ـ ولو كانت أقرب إلى الشمس مما هي عليه الآن فسترتفع حرارتها فتصبح كالزهرة وعطارد، وستصبح مثلهما مهجورة موحشة، ولو كانت أبعد عن الشمس عمَّا هي عليه الآن فستصبح باردة جدّاً، وستتجمَّد وتموت كافة الكائنات الحية فيها.

١٠ ـ ولو كانت نسبة الماء إلى اليابسة أقلَّ من (٧٠٪) فلن يكون هناك دورة للماء، ولن يبقى الكوكب رطباً، ولن يصلح لأشكال الحياة التي قدَّرها الحكيم العليم فيه.

١١ - ولولا انحراف محور الأرض (٢٣,٥) درجة لغطّى القطب الشمالي ليل سرمديّ، ولأضحت مساحته شاسعة جدّاً وباردة جدّاً ولا يصلح للحياة.. وإذا استقام محور الأرض فأضحى قائماً فسيذوب الثلج وترتفع حرارة القطب والأرض، وسترتفع نسبة مياه البحار والمحيطات فتغمر الكثير من الجزر والبلدان.

١٢ - ولو كانت سماكة الأوزون أكثر من (١٢٠) ميلاً، فلن تتمكّن أشعة الشمس من عبوره، وبذلك لن تنمو النباتات ولن يكون الكوكب دافئاً ممتعاً، وسيصبح شديد البرودة فنتجمّد ونموت.

وإذا كانت سماكة طبقة الأوزون في السقف المحفوظ أقلَّ من (١٢٠) ميلاً، فستعبره الأشعة الكونية الضارة القادمة من الشمس والنجوم والمجرات القريبة كأشعة ألفا وبيتا وغاما، وستحرق الأخضر واليابس، وستقتل الإنسان وكافة الكائنات الحية.

فالأرض بحجمها وحجم مياهها ومحيطاتها وبُعدها عن الشمس والقمر وسرعة دورانها حول نفسها وجريانها حول الشمس وسماكة غلافها الجوي الذي يحيط بها وتركيبه ووظائفه و... لا يمكن أن تجتمع معاً بمحض مصادفة بلهاء لتجعل منها كوكباً جميلاً زاهراً زاخراً بألوان الحياة، وغنيّاً بالموارد الطبيعية والغذاء والكنوز، وبأسباب المعيشة اللازمة لحياة الإنسان الذي اجتباه ربه وأنعم عليه وفضَّله على كثير ممن خلق تفضيلاً، ثم اختاره ليكون خليفته فيها.

١٣ - ولو توفرت كل العوامل سابقة الذكر وذهب ماء الأرض بقدرة قادر فستصبح الأرض مهجورة ميتة كباقي كواكب المجموعة الشمسية..

قال تعالى: ﴿أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَآؤُكُمْ غَوْرًا فَمَن يَأْتِيكُم بِمَآءٍ مَّعِينٍ﴾ [الملك: ٣٠].

وقال مبدع السموات والأرض: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ﴾ [الأنبياء: ٣٠].

● **هل يمكن للأرض أن توجد نفسها بنفسها على هذا النحو المدروس المثالي والمتكامل؟! وهل هي عاقلة وقادرة على الإبداع؟! أم أن أمَّها الشمس قد صنعتها وأبدعتها على هذا النحو؟! أم أن الطبيعة التي لا تعي ولا تدرك قامت بتكوين وتقدير وخلق هذا الكون الفسيح اللانهائي؟! وبما أن للأرض تصميم عظيم وكبير، لذا فهي تحتاج إلى مصمِّم أعظم منها وأكبر ليوجدها، وهذا لا يكون إلَّا الكبير المتعال، ملك السموات السبع وما فيهنّ.**

لقد قدر سبحانه فأحسن التقدير والتصميم، ثم خلق فأبدع الخلق، لقد ترك ﷻ آثار قدرته المذهلة في كل ما خلق وفلق وبرأ، ثم دعانا إلى البحث عن هذه الآثار من خلال التفكُّر والتأمّل والتبصُّر، فنستشعر وجوده فنؤمن به إيماناً يقينيّاً راسخاً لا تتقاذفه فلسفات الملحدين ولا الماديين ولا الطبيعيين ولا الماسونيين ولا الشيوعيين..

قال تعالى: ﴿وَفِي ٱلْأَرْضِ ءَايَٰتٌ لِّلْمُوقِنِينَ ﴿٢٠﴾ وَفِيٓ أَنفُسِكُمْۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ [الذاريات: ٢٠ ـ ٢١].

وقال سبحانه: ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِي ٱلْءَافَاقِ وَفِيٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّۗ﴾ [فصلت: ٥٣].

يقول العالم البروفسور **سيسل هيمان** الأستاذ في جامعة كينتاكي الأمريكية: «لو تأملت المجرّات والنجوم والكواكب والأقمار يوماً بعد يوم وشهراً بعد شهر وسنة بعد سنة، بل وطيلة حياتك، فإنك ستكتشف بأم عينك أنها تسبح وفق نظام محدَّد دقيق سليم وثابت، حتى أضحى بإمكاننا أن نتنبأ وقبل مئات السنين بموعد الخسوف والكسوف، وموعد مرور مذنَّب هالي بالقرب من الأرض... وغير ذلك من الظواهر الطبيعية العجيبة باليوم والساعة والدقيقة والثانية؛ فسبحان الذي أحسن كل شيء خلقه»..

﴿مَا خَلَقَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ إِلَّا بِٱلْحَقِّۚ يُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [يونس: ٥].

ينصح البروفسور هيمان كافة المتشكِّكين والضالين فيقول: «قد يجادل المتشكِّك طويلاً، ولكن ما إن تقوده الخبرة الشخصية إلى إدراك أحد المعجزات الإلٰهية حتى تنزاح عنه الغمَّة وينير الإيمان قلبه». .

والله سبحانه يقول: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ لَا يَهْدِيهِمُ ٱللَّهُ﴾ [النحل: ١٠٤].

يردف البروفسور هيمان قائلاً: «من كان بحكم دراسته وعمله بعيداً عن مجال البحث العلمي والاستقصاء، فإنه عليه أن يثق بما توصَّل إليه العلماء من مكتشفات وأدلَّة تؤكد وجود الله، فيستمدُّ منهم قبساً من النور الإلٰهي الجميل الذي أنار قلوبهم وبصيرتهم، فكُتبت لهم النجاة في الدنيا الآخرة».

تاسعاً: حقيقة فلكية مذهلة:

لقد كشف لنا ﷻ حجاب الغيب عن حقيقة فلكية مذهلة؛ إن دلَّت على شيء فإنما تدلُّ على وجود خالق عظيم بالغ الحكمة والعلم، كما تدلُّ على كمال قدرته سبحانه وعلى جلال قدره وعظيم شأنه.

لقد أنكر الملحدون وجود الله وإبداعه وخلقه لكل ما في الكون، وقالوا: إنّ المجرات بكل ما فيها من نجوم وكواكب وأقمار ومذنبات وأجرام أخرى قد تشكَّلت بمحض المصادفة وبشكل تلقائي بعد الانفجار الكبير الذي حدث قبل حوالي (١٥٠٠٠) مليون سنة.

وبما أن المجرّة كبيرة وكبيرة جدّاً، وفيها ما يزيد عن (١٠٠,٠٠٠) مليون نجم، ولكل نجم مجموعة من الكواكب، ولكل كوكب أقماره التي تدور حوله، فإن من المستحيل لمجرة بهذا الحجم المذهل أن تأتي إلى عالم الوجود مطابقة لمجرة أخرى وكأنهما بصمتين لإبهام واحد دون خالق أبدعهما على هذا النحو ليري عباده آيات قدرته، وليؤكد لهم وجوده وعظمته وألوهيته.

لقد تطابقت المجرتان بحجمهما وشكلهما وسرعة دورانهما، وبعدد

وحجم النجوم فيهنّ، وبعدد الكواكب التابعة لكل نجم، والأقمار والأجرام التابعة لهنّ، والأفلاك التي تتَّبعها في جريانها وباتجاه وسرعة دوران كلٍّ من أجرامهما!.

ليس هذا وحسب، بل تبيَّن أن تسبيح كلتا المجرتين واحد؛ وهنّ يصدران بفعل دورانهما نفس الصوت الرهيب المهيب.. ﴿تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبۡعُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهِنَّۚ وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمۡدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفۡقَهُونَ تَسۡبِيحَهُمۡۚ﴾ [الإسراء: ٤٤].

لو كانت المجرة صغيرة وفيها عدد قليل من النجوم والكواكب لكان احتمال تطابقها مع مجرة أخرى ممكناً، ولكن تطابق كهذا ضرب من المستحيل.

لقد خلق الله ﷻ هاتين المجرتين على هذا النحو الفذّ ليرينا كمال قدرته، وليجعلهما دليلاً علميّاً وماديّاً على وجوده سبحانه وعلى عظيم قدرته: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجۡحَدُونَ﴾ [الأنعام: ٣٣].

لهؤلاء نقول: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ فَأَنَّىٰ تُؤۡفَكُونَ ۝٦٢ كَذَٰلِكَ يُؤۡفَكُ ٱلَّذِينَ كَانُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجۡحَدُونَ﴾ [غافر: ٦٢ ـ ٦٣]..

هل يعقل أن يبقى بعد هذا الدليل الماديِّ المذهل على وجود الله وعلى عظمته وقدراته ملحد على وجه الأرض؟! وهل نصدِّق أيَّ مُنكر لوجود الله، أم نلعنه وإن كان زعيم الشيوعية الأكبر أو حاخام الماسونية الأول أو شيطان العلمانية أو ذنباً من أذنابها؟!..

● **وختاماً**: إن الأدلة المادية والعقلية على وجود الله كثيرة وكثيرة جدّاً ولا يحصيها عدّ، وهي موجودة في كل عضو من أعضائنا، بل وفي كل خلية من خلايا أجسامنا، في الكون كله، وفي كل ما يحيط بنا، من فوقنا ومن أسفل منّا، واعلم يا أخي أن في كل شيء في الوجود آية تدل على أنه سبحانه الخالق الواحد الأحد الفرد الصمد.

وكما أثبتنا للماديين والملحدين أن الله موجود، وأنه حيٌّ قيّوم بالأدلة العلمية والعقلية والمادية، فإننا نسألهم أن يبيِّنوا لنا عدم وجوده سبحانه بأدلَّة من مثل أدلتنا وبقوتها ووضوحها، لهؤلاء قال الكبير المتعال: ﴿إِنَّكُمْ لَفِى قَوْلٍ مُّخْتَلِفٍ ﴿٨﴾ يُؤْفَكُ عَنْهُ مَنْ أُفِكَ ﴿٩﴾ قُتِلَ ٱلْخَرَّٰصُونَ ﴿١٠﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى غَمْرَةٍ سَاهُونَ ﴿١١﴾ يَسْـَٔلُونَ أَيَّانَ يَوْمُ ٱلدِّينِ ﴿١٢﴾ يَوْمَ هُمْ عَلَى ٱلنَّارِ يُفْتَنُونَ ﴿١٣﴾ ذُوقُوا۟ فِتْنَتَكُمْ هَٰذَا ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تَسْتَعْجِلُونَ﴾ [الذاريات: ٨ ـ ١٤]، أمّا **الخرّاصون**: فهم الكاذبون.

* * *

الفصل

١٤

انتهاك حرية الفكر والتعبير

أولاً: حقيقة الرسوم المسيئة للإسلام ولحبيب الله ﷺ:

في يناير/ كانون الثاني (٢٠٠٦م) الذي تزامن مع المحرم من عام (١٤٢٧هـ) نفث مستنقع الإلحاد الغربي فقاعة نتنٍ جديدة، خرجت هذه المرة من موقع جديد بعيد عن المواقع المعتادة، خرجت من بلد لطالما كان مسالماً وملتزماً جانب الحياد في ما يسمونه صراع الحضارات. . والدانمارك ـ ذلك الموقع المعني ـ بلد صغير لا يكاد يبين على الخارطة.

قام أحد الصحفيين المغمورين في جريدة يولاندس بوسطن الدانماركية مدفوعاً من الصهيونية العالمية بنشر صور كاريكاتورية تسيء للإسلام ولحبيب الله ولأشرف وأجلِّ خلق الله على الإطلاق منذ بداية الخلق على سطح الأرض وحتى قيام الساعة.

كانت دول الغرب الاستعمارية الملحدة تفتعل أفعالاً مشينة كهذه الأفعال بغرض استفزاز المسلمين والإساءة لديننا الحنيف، وتشكيك الناس بوجود الله وبالديانات السماوية، وإفهامهم بأن الرسل ادّعوا النبوة وافتروا الكتب السماوية، وغير ذلك من التخريف والتهريف الذي مارسته إنكلترا وفرنسا وإيطاليا، ثم لحقت بهم أمريكا في نهاية القرن العشرين.

فما سرُّ انجراف دولة صغيرة مسالمة لا حول لها ولا قوة على الصعيد الدولي ـ لا من الناحية العسكرية ولا السياسية ولا الاستعمارية ولا غير ذلك ـ

في تيار العداء للإسلام والمسلمين، ضاربة عرض الحائط بمصالحها الاقتصادية الكبيرة مع الدول العربية والإسلامية؟!.

ستصل عزيزي القارئ إلى الجواب وإلى لبِّ الموضوع، وستعرف من نفسك مَنْ الذي دفع هذا الصحفي المغمور ليقوم بالتطاول على سيد الخلق أجمعين؛ عندما ترى أمريكا وإنكلترا وفرنسا وإيطاليا يدافعون عنه وبحماس، ويؤيدون حقّه في كتابة ما يريد بحجة حرية الرأي والتفكير والتعبير التي يعتبرونها سمة من سمات حضارتهم وتمدنهم.

أراد الغرب الملحد أن يجرف معه أكبر عدد ممكن من دول الغرب في حملته الغاشمة ضد الإسلام والمسلمين؛ ليبدو العداء دوليّاً من ناحية، وليُضفوا عليه سمة مشابهة للحروب الصليبية الغابرة التي نادى بها بوش الصغير من ناحية أخرى.

وكما هو معلوم، فإن الدول الغربية التي تتَّخذ موقف المحايد المتفرِّج من عداء الدول الاستعمارية الملحدة للإسلام والمسلمين كثيرة، وهي تشكل الغالبية العظمى من دول أوروبة، وأخصّ بالذكر منهم الدول الإسكندنافية ـ السويد والنرويج وفلندا والدانمارك ـ وسويسرا وألمانيا والنمسا وبولندا وبلغاريا وهنغاريا وإسبانيا ودول البلقان ودول شرق أوروبة ومعهم روسيا.

لدى معظم هذه الدول علاقات اقتصادية وسياسية وثقافية وعلمية متميِّزة مع الشعوب الإسلامية، وبينها وبينهم تعاون كبير في مجالات عدَّة؛ من هذه الدول الأوروبية من فتحت بواباتها على مصراعيها ورحبت بالقادمين إليها من عرب ومسلمين ليقيموا وليستقروا في ربوعها، وأعطتهم الجنسية وسمحت لهم بممارسة شعائرهم الدينية بحرية تامة، وبنت لهم المساجد والمدارس والنوادي الخاصة بهم! لقد اندمج هؤلاء بالمجتمعات الغربية ونالوا بفضل أخلاق وسمات الإسلام التي يتمتعون بها إعجاب تلك الشعوب، فاعترفت بهم

وبدينهم السماوي، حتى صار لهم ممثلون في الوزارات والبرلمانات، فشاركوا بذلك وبشكل فعَّال بمسك زمام الأمور وبصناعة القرارات في تلك البلاد. وهذا بالضبط ما كانت تخشاه رموز الإلحاد والاستعمار ومعهم الصهيونية العالمية؛ فالأمر بالنسبة لهم لوبي عربي كبير وانتشار مماثل لرقعة الإسلام والمسلمين في كافة أنحاء الأرض، وفي عقر ديار الكفر والإلحاد الذي طالما نادى بالتحرّر من سلطة الدين ومن فكرة وجود الله والأنبياء والرسالات وعالم البرزخ والبعث والحساب والجنة والنار.

وكما تفيد الإحصاءات الحديثة أن المسلمين سيصبحون الغالبية العظمى من سكان فرنسا بعد خمسين سنة، علماً بأن فرنسا بلد استعماري، ومنها ظهرت أولى وأكثر الفلسفات الإلحادية التي ناصبت الإسلام والمسلمين وكافة الديانات العداء، وذلك منذ انفجار الثورة الفرنسية وحتى يومنا هذا.

لقد أراد دهاة الغرب الملحد أن يجذبوا كافة الدول الأوروبية إلى صفّهم، وأن يجنّدوهم ـ بالخديعة والمكر ـ ليتصدّوا للإسلام وليحدّوا من تغلغل المسلمين في بلدانهم، وليقاوموا الصحوة الإسلامية الحديثة التي باتت تؤرّقهم وتقضّ مضاجعهم، وتقف سدّاً منيعاً أمام توسّعهم الاستعماري الغاشم الذي يرمي إلى استغلال الشعوب المستضعفة، وسلب ثرواتها ومقدّراتها.

بعد أن يئسوا من محو ديننا من عالم الوجود بقوة السلاح وبالتنكيل وبالاحتلال وبتهديم بيوت الله وبقتل المسلمين وإرهابهم، ارتأوا اتّباع أساليب المكر والدهاء والمعاداة الفكرية والفلسفية، وبثّ بذور الفتنة بين الطوائف الإسلامية المختلفة (كما يجري الآن في العراق ولبنان وفلسطين)، وإشعال الحروب بين القوميات المتباينة، والاستهتار والاستهزاء بالإسلام وبمتبعيه واعتبارهم متخلفين رجعيين وقاصري الوعي والتفكير! ثم راحوا ينفّرون المسلمين من الدين، وينكرون وجود الله والرسالات السماوية عن طريق المستشرقين والمبشّرين تارة، وبالضغط على الحكومات الإسلامية لتقوم

بتحديث مناهج التعليم وحذف كل ما لا يناسب تخريفهم وتهريفهم، وغير ذلك من الوسائل الكثيرة التي انتهجوها لتغيير معالم ديننا الحنيف وتحديثه وتغريبه (أي جعله يتطابق ومبادئ وفلسفة وتفكير الغرب الملحد المتمدِّن!)، وقد أتيت على شرح هذه الوسائل بين جنبات هذا الكتاب.

وكما قال مؤسس الاستعمار البريطاني الحديث ووزير خارجيتها الأسبق اللورد **غلادستون**: «ما دام القرآن موجوداً في ديار المسلمين فلن تتمكن أوروبة من السيطرة على الشرق الأوسط ولا على مسلمي العالم، بل لن تكون بريطانيا ولا أوروبة في مأمن من خطر هذا الدين ومن قوة ومنعة أتباعه ما دام القرآن في صدورهم».

لذلك فهم دائبون ومنذ زمن بعيد على تشويه صورة الإسلام ونبي الإسلام عليه الصلاة والسلام، حتى إنهم والعياذ بالله تطاولوا على الكبير المتعال، على ربّ الأرباب، على ذي الجلال والإكرام.

ولكي ينزعوا فتيل الخطر الذي يتهدَّدهم ـ حسب زعمهم ـ ويتهدَّد حضارتهم وبلادهم، راحوا يُضعفون روح الإسلام، وينسفون أركانه بالإساءة إلى رموزه، فقاموا بما قاموا به بكل خسَّة ودناءة! ولكن ردّة الفعل الإسلامية كانت قوية وقوية جدّاً هذه المرة، إذ نهض المسلمون في كل أصقاع الأرض نهضة رجل واحد ينددون بالعمل المشين الذي صدر عن جريدة اليولاندس بوسطن الدانماركية! لقد تظاهر المسلمون معترضين ومستنكرين، وحرق بعضهم بعض السفارات الدانماركية والأمريكية، وهدَّم البعض الآخر سفارات أخرى! لقد دوّى هدير الغاضبين يهدّد كل من تُسَوِّلُ له نفسه المساس بعظمة وكبرياء النبي ﷺ. لقد قاطع المسلمون في أرجاء الأرض كافة البضائع الدانماركية، وهدَّدوا بوقف التعامل باليورو إن استمرت الدول الاستعمارية الملحدة بمعاداة الإسلام وفي نشر الصور الكاريكاتورية المشؤومة، وفي دعم الحركة المناهضة لهذا الدين الحنيف.

لقد أعلنوها حرباً إسلامية جديدة من نوعها، وبسلاح جديد، بدا بسيطاً ولكن تأثيره كان عظيماً وفعالاً.

وبما أن تعداد المسلمين يزيد على تعداد معتنقي باقي الديانات على وجه الأرض، وقد تجاوز المليار، وهم في ازدياد مستمر وبشكل كبير ومتسارع، لذا صار لهم وزن وتأثير على المستوى العالمي، وصار يُحسب لهم ألف حساب، إذ لا يمكن للغرب الملحد مهما أوتي من قوة وحزم وسلاح دمار شامل أن يُخضع هذا الكمّ الهائل من المسلمين، بل على العكس، لقد بات المسلمون في توادّهم وتعاضدهم ووحدة صفِّهم وتمسّكهم بدينهم الحنيف يشكلون خطراً محدقاً بكل من تسوِّل له نفسه الإساءة لديننا الحنيف ولرموزه، وبشكل خاص لله ورسوله ﷺ، الذي أحبوه أكثر من أولادهم وأنفسهم.

ثانياً: ولا يحيق المكر السيئ إلا بأهله:

لقد خنعت وخنست صحافة الدانمارك والنرويج، وأقلعت باقي الصحف الأوروبية عن إعادة نشر ما نشرته اليولاندس بوسطن، واضطر رئيس وزراء الدانمارك إلى الإسراع بالاعتذار رسميّاً لكافة مسلمي العالم، ووعدهم بعدم تكرار ما حدث، وناشد المسلمين أن يخفّفوا من حدة توتّرهم وثورة غضبهم.

لقد قاطع المسلمون وبشكل خاص في دول الخليج العربي كافة البضائع والأغذية الدانماركية، فأصيبت هذه الدولة بانهيار اقتصادي حاد وكبير، مما دعا بعض الدول الملحدة إلى المناداة بضرورة دعم اقتصاد الدانمارك المنهار ريثما تخرج من محنتها! لقد دعموها لأنهم كانوا وراء تورّطها وتورّط صحافتها.

لقد حاق المكر السيِّئ بأهله، وأضحى معلوماً علم اليقين للغرب الملحد وبما لا يدع مجالاً للشك بأن الصحوة الإسلامية الجديدة قوية جدّاً وعنيفة جدّاً ومؤثرة جدّاً، وصار يُحسب لها ولمسلمي العالم ألف حساب! كما تأكد للغرب

الملحد أن هذه الصحوة لا تنحصر في بلد معين، بل انتشرت حتى شملت كافة مسلمي العالم، عربيّهم وأعجميِّهم على حد سواء.

ثالثاً: أسلحة أخرى بيد المسلمين:

لقد تبيَّن للغرب المستعمر ومن والاه أننا وإلى جانب قوة الإيمان بالله التي تزودنا بقوة التصدّي والمجابهة، لدينا أسلحة أخرى كثيرة، وهي أشد فتكاً وتأثيراً من أسلحتهم التقليدية وغير التقليدية التي يتبجّحون بها ويتفاخرون.. هذه الأسلحة التي لا يقدِّرها البعض حقَّ قدرها صار لها آثار اقتصادية مدمِّرة وكارثية إن سلطناها على الغرب الملحد:

١ ـ فالمقاطعة الاقتصادية لمنتجات الدانمارك أثبتت فاعليتها وجدواها من دون أن تؤثر سلبيّاً علينا.

٢ ـ والبترول عصب حضارتهم والدم الذي يجري في شرايينها، ودونه ستتوقف مصانعهم وسينهار اقتصادهم وتضمحل حضارتهم وسيجمدون في بيوتهم في الشتاء القارس.

٣ ـ وبمقاطعة عملاتهم أو الإقلاع عن التعامل بها ستصاب بانهيار كبير يودي باقتصادهم دون أن ننسف مصانعهم بصواريخ باليستية، وإذا فرضنا التعامل بالعملات العربية أو بعملة عربية ندَّة لليورو فإننا سنتفوَّق عليهم اقتصاديّاً.

وهناك وسائل أخرى يمكن اللجوء إليها إن دعت الحاجة لها، وقد أثبتت جدواها، والغرب يخشاها وتهتز أوصاله من خشيتها ويحسب لها ألف حساب.

٤ ـ علينا معشر المسلمين أن نعتمد على أنفسنا في إنتاج كافة أغذيتنا بأيدينا وفي مصانعنا، وما يدرينا بما قد يدسُّه الغرب في الأغذية التي يصدِّرها إلينا؟! وعلى سبيل المثال لا الحصر: تُنتج المملكة العربية السعودية الحليب

بأشكاله وأنواعه، كما تنتج كافة منتجات الحليب التي نستوردها من أوروبة.. ومنتجات السعودية رائعة، وهي تتفوّق على المنتجات الغربية بجودتها وبمذاقها وثمنها وفي كل شيء! فلماذا نستوردها إذن؟! ولماذا لا نستورد نحن المسلمين من دول إسلامية شقيقة ونكتفي ذاتياً؟! علماً بأن دولنا الإسلامية تكمِّل بعضها البعض الآخر بحيث لن نحتاج لاستيراد شيء من الغرب، خاصة إن نافست منتجاتنا منتجاته جودة وسعراً..

وفي العالم الإسلامي دول شديدة الخصوبة وغنية بالمنتجات الحيوانية وبالخضراوات بأكملها وبالفواكه بأنواعها وألوانها، وهناك دول تنتج أجود أنواع القطن والرز في العالم، وأخرى تنتج الحبوب والبقوليات، وغيرها تنتج البترول والبتروكيماويات، ودول كثيرة برزت في صناعة الألبسة بكافة أنواعها، وقد نافست الصناعات الغربية والشرقية على حدٍّ سواء وتغلبت عليها، وقد تمكنت دول عربية وإسلامية كثيرة من صناعة السيارات والحافلات والبرادات والغسّالات والمكيفات وغيرها من الأجهزة الكهربائية والآلات، وقد خطت دول عديدة خطوات كبيرة في مجالات هامة مغايرة كالتسلّح وغيره.

فالتكامل الاقتصادي متوفر والحمد لله، ولدينا الكوادر العلمية والفنية المؤهلة، ولدينا المال والبترول والخامات المعدنية وكل مقوّمات النجاح والتطور والمنافسة صناعيّاً وفي كافة المجالات، وإن نحن اتَّحدنا ومن ثم اتخذنا الخطوة الأولى في هذا الطريق؛ فإننا لا بد لنا وأن نحقِّق أهدافنا، وسنؤسس لحضارة جديدة تنافس الحضارات المعاصرة التي بدأت هي الأخرى قبل أقلَّ من قرنين ومن لا شيء! وقد تمكَّن الألمان واليابانيون من بناء حضارتيهما خلال بضع سنين! ولقد ابتدؤوا من الصفر بعد أن دمَّر الحلفاء البلدين بشكل كامل! ونحن العرب والمسلمين لسنا أقلَّ حظّاً ولا ذكاءً من الألمان واليابانيين، ولكن على قدر أهل العزم تأتي العزائم.

رابعاً: لماذا الدانمارك؟:

نعود إلى موضوعنا الأساسي لنجيب على سؤال يطرح نفسه بإلحاح: لماذا خرجت آخر فقاعات النتن من دولة صغيرة مسالمة كالدانمارك بعد أن كانت تصدر على الدوام من عواصم الكفر ومراكز الإلحاد والاستعمار؟!..

١ ـ لقد خطط الغرب الملحد ومعه إسرائيل لهذا الحدث المشين؛ لأنهم توقعوا حدوث ردة فعل إسلامية ستسيء لهذه الدولة وللنرويج التي سارعت بإعادة نشر الصور المسيئة، فتنجرُّ الدانمارك مع الدول العظمى في عدائها للإسلام والمسلمين! وبتكرار هذا العمل وهذه المكيدة في دول أوروبية أخرى محايدة ومسالمة سيزداد عدد الدول والشعوب الأوروبية التي سَتُجنَّد دون أن تدري في صراع الحضارات والديانات، علماً بأن معظم الدول الأوروبية على وفاق تام مع الإسلام والمسلمين، خاصة منها الدول الإسكندنافية.. ولو تمكنت الدول العظمى من جرِّ هذه الدول إلى معاداتنا، فإن موقفنا الصعب وأزمتنا مع أمريكا وأطماعها الاستعمارية في الشرق الأوسط سوف لن تجد من يتصدّى لها في الاتحاد الأوروبي الذي يمثّل العملاق الثاني على مستوى العالم، والذي نتوقع منه أن يتصدّى للعملاق الأمريكي الشرس والمتوحش، وبذلك ستنفرد الأخيرة بالقرار وبمصير الشرق الأوسط، وستسطو وتستعمر وتقسِّم وتسلب ثروات الشعوب المستضعفة والغنية بالثروات دون رادع! وهذا مكر لا بد للعرب أن يعالجوه بالحكمة والروية وبحسن التدبير.

٢ ـ يحاول الغرب الملحد إفهام العالم أجمع أن معاداة الإسلام لا تنحصر بالدول العظمى وحسب، بل هي اتِّجاه عالمي، وهي امتداد للحروب الصليبية التي يتعذَّر عليهم نسيانها رغم مرور مئات السنين عليها بسبب الخذلان والهزيمة التي مُنوا بها، وهي حرب ضد الإرهاب الذي يتمثّل حسب زعمهم بالإسلام وبمبادئ الإسلام وبمعتنقيه.

٣ ـ إنهم يتجاهلون الهدف الأساس وراء عدائهم لنا وينكرونه، رغم أن

العالم بأجمعه يعلم أن أمريكا نهبت (٣٦٠٠٠) مليار دولار من العراق دون ذنب اقترفه شعب أو حكام العراق، ولم يمارسوا ما يسيء لأمريكا ولا لشعب أمريكا، ولم يكن لهم إصبع أو دور يذكر في (١١) سبتمبر! وقد ادّعوا بأن العراق يمتلك أسلحة نووية وأسلحة دمار شامل! ورغم أنهم على يقين تام بأنه لا يملك هذه الأسلحة (وهذا ما أثبتته حملات التفتيش المبتعثة من الأمم المتحدة) إلا أنهم ركبوا رؤوسهم واحتلوا العراق، وقتلوا آلاف الأبرياء فقط لغناء العراق بالبترول الذي سال له لعاب بوش ومافيا البترول التي تؤزّه أزّاً.

لقد انتهكوا حرمة العراق بحجة حيازته على قنابل ذرية! وتناسوا إسرائيل التي تمتلك أكثر من (٢٠٠) رأس نووي كافية لتدمير جميع أشكال الحياة على سطح الأرض.

إنه مخطط أمريكي ـ صهيوني يرمي إلى إضعاف إحدى القوى العربية والإسلامية المجاورة لإسرائيل والمناهضة لسياستها التعسُّفية في المنطقة.

٤ ـ بسبب الصحوة الإسلامية الجديدة والازدياد الكبير لتعداد المسلمين ونشاطهم في كثير من الدول الأوروبية ـ أي في عقر ديار الكفر ـ صار الخطر يُحدق بهم ويتهدَّد وجودهم وحضارتهم ـ حسب زعمهم ـ ولذلك صار لا بد من الإيقاع بينهم وبين أصحاب الأرض من خلال الفتن المفتعلة وردَّات الفعل المتوقعة، فيعيدوهم من حيث أتوا، ويوصدوا أبوابهم دون دخولهم إلى بلادهم، وبالتالي يحولوا دون إعطائهم الجنسيات الأوروبية.

بعد أن تستعر نيران الغضب والكراهية والحقد بين الأوروبيين والمسلمين المقيمين في ربوعهم، ستعمل أمريكا ومعها الصهيونية العالمية على تغذيتها بمكرهم ودهائهم، فيحولوا بذلك دون تمكّن المسلمين من دول الغرب، كما تمكّن اللوبي الصهيوني من الإرادة والإدارة الأمريكية حتى أصبح المهيمن المسيطر على اقتصاد وبنوك أمريكا ومصانعها وثرواتها، كما هيمن اللوبي الصهيوني على صناعة القرارات، وعلى سياسة أمريكا العالمية والمحلية.

٥ ـ وكما اعتدنا نحن العرب والمسلمين فإن كافة المحن والكوارث التي انتابتنا في العصر الحديث جاءتنا من أمريكا وإنكلترا وإسرائيل، وستمر الأيام وستنكشف الدوافع التي جعلت صحفيّاً مغموراً في بلد صغير ومسالم للمسلمين يقوم بافتعال ضجَّة كبيرة كان من الممكن أن تسبِّب فتنة دموية تذهب بأرواح الكثيرين من الغربيين والمسلمين! فاليهود دائماً وأبداً وراء كل خبيث ووراء كل ما يسيء للإسلام والمسلمين، وهم قتلة الأنبياء والمطرودون من رحمة الله، وهم المغضوب عليهم من الله ﷻ.

٦ ـ عندما سيتأكد لك أن أمريكا وإسرائيل كانتا وراء هذه الفتنة الأخيرة، سيتأكد لك عزيزي القارئ أنهم فعلوا ما فعلوه في بلد أخرى بعيدة عنهم صوناً لبلادهم وخوفاً عليها وعلى شعوبهم من (١١) سبتمبر جديد، خاصة وأن الذين خططوا (١١) سبتمبر لا زالوا أحياء يرزقون.

هذا التصرّف الأمريكي ـ وإن كان خبيثاً ـ ليؤكد أن جرح الأمريكان لم يندمل بعد، كما يؤكد جهل بوش الصغير وقلَّة درايته في التعامل مع الأمور الدولية! وبكل سذاجة وبشكل صبياني متهوِّر أعلنها في بداية ولايته الأولى حرباً صليبية جديدة على الإسلام والمسلمين.

علينا معشر المسلمين أن نكون حذرين من أمريكا وإسرائيل لأنهما يفتعلان صراع الحضارات، ويَصِمون الإسلام والمسلمين بالإرهاب وبمعاداة المدنيَّة والتحضّر والحرية وكافة الرموز والادِّعاءات التي يتشدَّقون بها، وعلينا في الوقت ذاته توطيد علاقتنا بالغرب الأوروبي وبالاتحاد الأوروبي؛ لأنه بعد الله سيكون سنداً لنا في حربنا الضروس مع أمريكا التي تخطّط للفتك بشعوب الأرض وبشعوب الشرق الأوسط بشكل خاص؛ ليتم تقسيمها ومن ثم نهبها الواحدة تلو الأخرى! لقد ابتدأت بأفغانستان، وأتبعته بالعراق، ثم راحت تمهِّد السبيل للانقضاض على سورية ولبنان وإيران.. إنها تخطِّط لشرق أوسط كبير أو جديد يخضع لهيمنتها وسطوتها، لا لشيء، إلا لكونه غنيّاً بالثروات

والموارد الطبيعية من ناحية، ولكونه لم يخضع ولم ينفِّذ ما تطلبه منه إسرائيل من ناحية أخرى.

خامساً: الحوار البنَّاء مع الأوروبيين:

علينا بالحوار البنَّاء مع الأوروبيين، ومعالجة ما قد يبرز من خلافات ومشاكل بيننا وبينهم بأسلوب يؤكِّد لهم أننا على درجة كبيرة من الوعي والفهم والتحضُّر، وعلينا توعيتهم بما يخصّ مقدساتنا ورموز ديننا، وإفهامهم مبادئ الإسلام، وأنه دين المحبة والحرية والسلام، وعلينا أن نبيِّن لهم وبلغاتهم مدى شفافية ديننا الحنيف، وأن نثبت لهم أنه بحق دين سماوي، وأن الله حق وموجود، وأن في التعرُّض لجلالته إثم كبير وجرم عظيم، وعلينا أن نثبت لهم وبشكل علمي وعقلي مقنِعَيْنِ أن القرآن كلام الله، وأن محمداً ﷺ بحق رسول الله، عليهم أن يعلموا أن التعرّض لرموزنا الدينية قد يؤجِّج ثورة غضب في العالم الإسلامي قد لا تُحمد عقباها، وأنهم ونحن معهم في غنى عنها.

وعلينا أن نبيّن لهم أن الإسلام ضد العنف والإرهاب، وأن الصهيونية العالمية كانت ولا زالت وراء تشويه صورة الإسلام! وعليهم أن يعلموا أن الاستعمار هو أقسى أشكال الإرهاب، وأن إذلال الشعوب وسلب مقدّراتهم وثرواتهم سبب الجهاد والمقاومة التي يسمونها خطأً بالإرهاب، كما أن التعرُّض لجلال الله وعظمته وللإسلام ولرسول الإسلام ﷺ ستؤذي مشاعر المسلمين، وقد تدفع بالبعض إلى الثورة وإلى العنف.

لقد قام بعض المسؤولين في الدول الإسلامية بمثل هذه المساعي الحميدة، فوجدوا تجاوباً مستحبّاً من حكومات الغرب ومن خافيير سولانا ممثل الاتحاد الأوروبي.. وأدانت حكومات الغرب بأكملها ومعهم بابا الڤاتيكان نشر الرسوم المسيئة للنبي الكريم ﷺ.. وعزوا سبب هذا العمل المشين إلى جهل فاعله بالدين الإسلامي وبعظمة الرسول ﷺ.. كما أعلن رئيس وزراء الدانمارك قائلاً: إن هذا التصرُّف غير مسؤول ولا يمثِّل موقف

الدانماركيين لا حكومة ولا شعباً، ووعد بوضع سقف عالٍ لحرية الفكر والتعبير بحيث لا يُسمح لأيٍّ كان أن يعتدي على مقدسات وديانات الآخرين ولا على رموزهم الدينية، ووعد وأكَّد بعدم تكرار هذا الخطأ مستقبلاً.

كما أصدر مجلس اتحاد الكنائس البروتستانتية في سويسرا بياناً استنكر فيه الرسوم المسيئة لحبيب الله ﷺ، وقال: إن حرية التعبير لا تتضمن حق الاعتداء على مشاعر الآخرين الدينية، ولا على مقدساتهم، وإذا كان احترام حرية التعبير والصحافة مقدسين، فالأديان أكثر قدسية وأجدر بالاحترام من كل شيء آخر، وهذا يتضمن احترام الرموز الدينية التي يجب أن تعلو فوق حرية التعبير والصحافة.

وقد سارع مسؤول السياسة الخارجية للاتحاد الأوروبي السيد خافيير سولانا إبّان هذه الأزمة إلى العاصمة السعودية (الرياض)، وحاول الوصول إلى حلٍّ يحدُّ من ثورة الغضب الجامحة ومن تفاقم هذه الأزمة.

كما حاول إقناع القادة والمسؤولين بفصل المصالح الاقتصادية عن التوجُّهات والأخطاء الإعلامية التي ارتُكبت بحق سيد الأنام عليه أفضل الصلاة والسلام.

كما وَعَدَ سولانا قادة المملكة العربية السعودية بضبط حرية الرأي والتعبير للحيلولة دون وقوع مثل هذا الخطأ مجدداً، وقد تعهّد سولانا بإصدار ما أسماه «وثيقة الشرف الأوروبية» التي تتعهد بعدم المساس بالأديان وبالإسلام ورموزه بشكل خاص، ووعد بأن من سيتجاوزها سينال العقاب، وأن الدول الأوروبية سوف لن تتركه يفعل ما يشاء بحجة حرية الفكر والتعبير.

لقد كانت ردَّة الفعل سريعة ومتجاوبة وبنَّاءة؛ لأن الأوروبيين خافوا من مقاطعة اليورو بعد أن قاطعنا المنتجات الدانماركية، ليس إلا.

ولو تمَّت مقاطعة اليورو فسيتدمّر الاقتصاد الأوروبي بأكمله وستنهار قيمته عالميّاً، خاصة أمام العملات العالمية الأخرى كالدولار والإسترليني

والين والفرنك السويسري وغيرها. . وبانهيار اليورو والاقتصاد الأوروبي ستكون الطامة كبيرة وكبيرة جدّاً، وسيكون الدرس قاسياً وقاسياً جدّاً وأقسى من أن يحتملوه.

على الغرب الملحد أن يعلم علم اليقين أن لدينا أسلحتنا (غير التقليدية)، وأن بإمكاننا ودون سفك دماء أن نقوِّض عروش مجدهم وحضارتهم واقتصادهم.

من هذا المنطلق سارعت رئيسة وزراء السويد مصرِّحة: «إننا لا نرغب أن ينال بلدنا ما نال الدانمارك، ولا نريد الانهيار الاقتصادي، إننا شعباً وحكومة نحترم المسلمين ورسولهم وكافة رموزهم، كما أننا نحترم الأقلية المسلمة في بلدنا؛ لأنهم أثبتوا حسن السلوك والتحضُّر. . إن اعتدادهم بدينهم وتراثهم جعلنا نحترمهم أكثر وأكثر، وهم يبادلون المجتمع السويدي المحبة والاحترام، وقد أضحى لهم حقوق وتمثيل حكومي وبرلماني تماماً كالسويديين الأصليين».

هذا وقد أغلقت حكومة السويد موقعاً لحزب يميني متطرِّف ومناوئ للإسلام والمسلمين كان قد بثَّ صوراً مشينة بحق النبي ﷺ على الإنترنت، فأغلقت الحكومة هذا الموقع أيضاً.

لقد كان الدرس قاسياً ومعبِّراً وقد فهمه الغرب جيداً، ولذلك لن يتجرؤوا على الله ورسوله ثانية، كما لن يتجرؤوا على حرمة كتاب الله في سجن غوانتانامو الأمريكي، كما لن يحاول صهيوني مشاكس تدنيس بيت المقدس الشريف بعد الآن بسبب انتفاضة الأقصى العظيمة التي حدثت احتجاجاً على تدنيس شارون للأقصى بدخوله إليه.

سادساً: أسباب وجود فجوة كبيرة بين الحضارتين:

هذا ومن ناحية أخرى لا بد لنا من إدراك الفجوة الكبيرة بين الحضارتين التي يمكن لها أن تتّسع أكثر مما هي عليه للأسباب التالية:

١ ـ الصورة المشوّهة للإسلام التي رسمها للغرب الملحد جحافل المبشرين والمستشرقين وفلاسفة الإلحاد والمستعمرين المخذولين.

٢ ـ الصحوة الإسلامية الكبيرة التي لا تنحصر في بلاد العرب والشرق الأوسط وحسب، بل امتدت لتشمل المسلمين في أندونيسيا والهند والباكستان وإيران وتركيا وأوروبة والدول الإسكندنافية وأمريكا وكندا وأستراليا وغيرها.

إنهم يستاؤون جدّاً من هذه الصحوة؛ لأنهم كانوا ولا زالوا يبذلون قصارى جهدهم لمحو هذا الدين، ولنزع القرآن الكريم من صدور المسلمين، لأنها تقف في وجه المدِّ الاستعماري والإلحاد كالسدِّ المنيع.

٣ ـ انتشار الإسلام واتّساع رقعته وازدياد عدد متّبعيه الكبير، مع نموِّ الدول الإسلامية المتسارع؛ مسألة تقضّ مضاجعهم وتؤرِّقهم لأنهم يخشون من بروز حضارة إسلامية جديدة مشابهة لتلك التي عاصرت الخلافة الأموية وما بعدها.. لقد شيّدوا حضارتهم على رقعة كبيرة من الأرض شملت العديد من الدول الأوروبية، وآثار تلك الحضارة لا زالت قائمة في إسبانية، وهي تشهد بمدى عظمة وروعة تلك الحضارة، وبمدى قوة بُناتها وتقدّمهم العلمي.

٤ ـ كلما اعتدى الغرب على دولة عربية أو إسلامية، وكلما تسلّطوا على ثروات وخيرات شعب من الشعوب، وكلما تدخّلوا بأمورنا الداخلية والخارجية، وكلما دعموا إسرائيل بشكل مجحف وظالم ضدنا، خاصة في المحافل الدولية وفي الأمم المتحدة، فإن كراهيتنا لهم ستزداد أكثر وأكثر.. هذا السبب الأخير هو في واقع الأمر السبب الرئيس للفجوة الكبيرة بيننا وبين أمريكا وحليفتها إنكلترا.

٥ ـ أصبح الوجود الإسلامي في الدول الأوروبية وفي أمريكا يُقلق الغرب؛ إنهم يخشون تشكّل لوبي عربي ـ مسلم على شاكلة اللوبي الصهيوني

في أمريكا! وهذا ما يقلق إسرائيل والصهيونية العالمية بشكل رئيس، ولذلك تسعى إسرائيل للإيقاع بين الغرب والمسلمين حتى أضحى هذا الأمر من أولويّاتها.

سابعاً: الحد من تفاقم النزاع بين الغرب والمسلمين:

لذلك ولكي نتمكن من الحدِّ من تفاقم هذا النزاع بين الغرب والمسلمين، ولكي نحول دون حدوث كوارث بشرية واقتصادية بين الطرفين، على الغرب:

أ ـ أن يُقلع عن معاداة المسلمين ورموز المسلمين.

ب ـ عدم التعرُّض لجلال الله وعظمته.

ج ـ عدم التعرُّض للسيد المسيح عليه السلام؛ لأنه بالنسبة لنا نبي ومن أولي العزم من الرسل.

لقد نشروا مؤخراً صوراً للسيد المسيح عليه السلام وهو يمارس الشذوذ الجنسي دون أن يحرِّك أحد من الغربيين ولا أيّ من رجال الدين ساكناً!.

د ـ عدم وصف المسلمين بالإرهابيين، ثم يتّخذوا من ذلك حجة لاحتلال بلادنا وسلب بترولنا وكنوزنا وثرواتنا.

على المؤسسات الدينية والحكومية أن يوضحوا هذه النقاط للحكومات وللشعوب الغربية كل بلغته الخاصة، فلا ينجرفوا في كراهيتهم وعدائهم للإسلام والمسلمين وراء ما تمليه عليهم إسرائيل واللوبي الصهيوني، وعليهم أن يُفهموهم أن الإسلام دين محبة وسلام، وأنه ضد الإرهاب ليكفّوا عن وصفنا بما لا يليق بنا من ناحية، وليُقلعوا عن هذه الاتهامات وعن اتخاذها حجَّة لمهاجمة بلادنا وإذلالنا وسلب ثرواتنا من جهة أخرى.. وعلينا أن نفهمهم أن ما يسمونه إرهاباً إنما هو جهاد مشروع ومعترف به عالميّاً ومن قِبَلِ

الأمم المتحدة، وهو جهاد ضد الاستعمار والإرهاب الدولي الذي يمارسه الغرب على الشعوب المستضعفة منذ عشرات بل ومئات السنين.

يريدون أن يحتلوا بلادنا وأن يروِّعوا نساءنا وشيوخنا وأطفالنا، وأن ينسفوا حضارتنا وتراثنا، وأن يدنّسوا مقدساتنا، وأن يهاجموا معتقداتنا، وأن يسلبونا إرادتنا، وبعد ذلك إن قاومناهم يتهموننا بالإرهاب والرجعية وبالقسوة والتخلّف، ثم ينسبون هذا إلى القرآن وإلى تعاليم الإسلام!.

على الهيئات الإسلامية أن تُفهم الغرب كل بلغته الخاصة وبالوسائل الإعلامية المختلفة أن الله حق، واحترامه وطاعته وتوقيره واجب على كل إنسان، وعلينا أن نثبت لهم أن الإسلام حق، وأن القرآن الكريم كلام الله ﷻ بحق، وأن محمداً ﷺ نبي بحق، فيقلع كل متنطّع أو كاتب أو فيلسوف مغمور ويتطلّع إلى البروز السريع والشهرة عن طريق التعرُّض لله ولرسوله وللإسلام وللقرآن الكريم.

هـ - على أمريكا أن تخرج من العراق وأفغانستان دون شروط ودون أن يخلِّفوا وراءهم جنوداً أو قواعد عسكرية.

في لقاء لـ **بوش** مع جنود وضباط إحدى القواعد العسكرية في أمريكا وبحضور عدد كبير من المسؤولين من إدارته ومن مافيا البترول المقربين جدّاً منه، قال: «إنني أريد الخروج من العراق، ولكني لا أريده خروجاً كخروجنا السابق من ڤيتنام»! يريده خروجاً يحفظ ماء وجهه ووجه أمريكا، خروجاً لا يُضحك المسلمين والعالم عليه، خروجاً لا يصمه بالعار أمام شعبه لئلا يسخر منه ومن إدارته ومن مافيا البترول التي خطّطت له كل شيء.

وقال في ذلك الاجتماع ومن خلال حديث ودّي مع الجنود والسياسيين: «إنني أعرف أنكم تتمنون لو أننا لم ندخل العراق! وأنا مثلكم أتمنى لو أني لم أذهب إلى هناك! ولكننا وبعد أن فعلنا وسقطنا في ذلك الجحيم لم يعد

خروجنا منه بالأمر اليسير! علينا قبل أن نخرج أن نحقِّق نصراً كاملاً على الإرهاب». . قاتلك الله يا أكبر إرهابي عرفته الأرض حتى الآن.

الإرهاب الذي يدّعيه لم يكن له وجود في العراق قبل أن يحتلوه، وليس له وجود أبداً بعد ذلك الاحتلال المشؤوم! إنَّها المقاومة الشرعية يا بوش، وهي من حق الشعوب إن جاءها مستعمر غاشم يفرض سطوته وسلطانه عليها بالنار والحديد وبالصواريخ وبالطيران والدبابات، ثم يسلب (٣٦٠٠٠) مليار دولار التي هي من حق الشعب العراقي، وليس لمافيا البترول أيّ حقٍّ فيها!.

وفي نفس الاجتماع أردف بوش قائلاً: «إنني والإدارة معي لم نكن نفكِّر بمعاداة العراقيين والعالم بأجمعه لنا؛ كما لم نكن نتوقع هذه المقاومة ولم نكن نفكر بعواقب هذا الاحتلال وما سيجلبه من ويلات، كما لم نكن نفكر بتكلفته الباهظة التي ثقلت على أمريكا وعلى دافعي الضرائب، ولكننا وقد فعلنا وتورّطنا صار من الواجب عليكم وعلى كل أمريكي مخلص لبلده أن يدعمنا حتى نتمكن من الخروج من ذلك الجحيم سالمين معزّزين مكرمين ومنتصرين».

هذا هو الخزي والعار بعينه يا بوش الصغير، لقد شاهدنا سحنتك والاكتئاب والارتباك مرتسمين في وجهك، والغيوم متلبِّدة في عالمك أثناء ذلك الخطاب!. . إنك تحلم كثيراً؛ لأن خروجك معززاً مكرماً من العراق يا زعيم الإرهاب لن تظفر به أبداً.

إنها بحقٍّ سخرية الحياة أن يصل أمثالك إلى سدَّة الحكم، وأن يديروا دفّة السياسة العالمية بعقولهم الصبيانية القاصرة! كلنا والعالم بأكمله والشعب الأمريكي أيضاً نعلم بأن شركات النفط الكبيرة في أمريكا والتي كنت تتعامل معها كرجل أعمال ـ وهذه كانت مهنتك ـ قد خطَّطوا لاحتلال العراق ونهب بتروله! وبما أنهم يعرفون كل شيء عن طبيعتك وتفانيك من أجل كسب المال بالحلال أم بالحرام على حدٍّ سواء، حتى وإن كان في ذلك إزهاق آلاف الأرواح البريئة، وبما أنك كنت الأصغر والأقل شأناً ونضجاً ودراية من باقي

المرشحين (في نظر رجال البترول الأمريكيين)، فهذا يعني أنك ستكون سهل الانقياد، بل وألعوبة بأيديهم، خاصة وأنك لا تؤمن بالقيم ولا بالمبادئ وأنك مستعد لعمل أي شيء من أجل معبودك وهو المال، لذا أنفقوا مليارات الدولارات في الحملة الانتخابية حتى فازوا هم وليس أنت بالرئاسة! . .

لقد نصَّبت مافيا البترول أعواناً ومستشارين لهذا الرئيس، وكلهم من رجال الأعمال العاملين في مجال البترول من أمثال **ديك تشيني** وهو يهودي، **وكوندوريزا رايس وكولن باول ورامسفيلد** وغيرهم.

لقد جابه مسلمو العراق وبالإمكانات المتواضعة المتوافرة بين أيديهم جابهوا الجيش الأمريكي الجرّار المُبتعث من مافيا البترول، وقتَّلوا منهم الكثير، حتى بات كل جندي يتوقع موته في كل لحظة وكل حين، لذا طغى عليهم الخوف، واستبدَّ بهم الاكتئاب والقلق والرعب. . ولما لم يكن بإمكانهم الهرب والعودة إلى وطنهم راحوا ينتحرون برصاص بنادقهم قبل أن تتناثر أجسامهم إلى أشلاء كثيرة تدوسها الأرجل والعربات والآليات العسكرية، وتنهش أحشاءهم الكلاب الضارية التي جاءت من الصحراء إلى شوارع المدن باحثة عن اللحم الأمريكي المتناثر.

لقد أضحى هذا المشهد مألوفاً يا أعداء الله والإنسانية والمدنيَّة التي تتشدَّقون بها! اعلموا أيّها الغربيون الإرهابيون المعتدون أن هذا سيكون مصير كلِّ من تسوِّل له نفسه تدنيس أيٍّ من بلاد العرب والمسلمين.

ورغم معارضة الشعب الأمريكي والبريطاني لوجود جيشهم في العراق، ومطالبته المستمرة لبوش وبلير بإخراج أبنائهم من المأزق الكبير هناك، فإن هذين الرئيسين يريدانه خروجاً يحفظ ماء وجهيهما! لقد صار ماء وجهيهما أهمَّ وأنفس من دماء وأرواح بني جلدتهم! . .

على الأمريكيين أن يدركوا هم ورؤساؤهم وصانعو القرار لديهم أن

مصلحتهم مع العرب، لا مع إسرائيل، وإسرائيل دولة دخيلة، ومهما بلغت من قوة ستبقى دخيلة وسيكون مصيرها إلى زوال، إن لم يكن عاجلاً فآجلاً، وهذا واقع محتوم.

على الأمريكيين أن يعرفوا أن إسرائيل تشكل عبئاً اقتصاديّاً على أمريكا وعلى دافعي الضرائب، بينما بلدان العرب والمسلمين كثيرة وكثيرة جدّاً، فإن أحسنت أمريكا علاقتها بنا وأقلعت عن دعمها المُجحف لإسرائيل ضدنا ودون وجه حق، فإن بلادنا ستكون أسواقاً كبيرة مفتوحة أمام الصناعات والمنتجات الأمريكية. .

هذا، ومن ناحية أخرى فإن على الشعب الأمريكي وكافة الشعوب الغربية أن يعلموا أننا قادرون على التصدِّي لطغيانهم وإرهابهم، والتأثير باقتصادهم دون حروب ولا سفك دماء.

من الأمور الأخرى التي يتوجَّب على الغرب أن يعيها جيداً لكي تزول الفجوة الكبيرة بين شعوبنا المسلمة وبين شعوبه وحكوماته الملحدة:

و ـ عدم تهديد بلادنا ومحاصرتها سياسيّاً واقتصاديّاً.

ز ـ عدم تخطِّي حدودنا كمعتدين غاشمين، وإلا فالموت والدمار سيحل بكل معتدٍ على أراضينا في عقر دياره، وقد أصبح هذا واقعاً ملموساً، ويعرفه العالم أجمع. . ويحسب له المستعمرون ألف حساب وعلى رأسهم أمريكا وإنكلترا.

ح ـ عدم مساندة إسرائيل وبشكل سافر ضد العرب، وعدم هضم حقوق المسلمين الفلسطينيين. . لقد لعب هذا الأمر دوراً رئيساً في كراهية العرب والمسلمين لإنكلترا التي زرعت هذه الغرسة الخبيثة في أرض عربية مقدّسة، ثم رعتها أمريكا وأغدقت عليها المال والعلم والتكنولوجيا والسلاح والرؤوس النووية والدعم العالمي في الأمم المتحدة، حتى أضحت رغم صغرها ترسانة

كبيرة قادرة على تهديد وتدمير كافة دول العالم، ثم يمنعوننا من التسلُّح للدفاع عن أنفسنا، ويحاصروننا اقتصاديّاً لنبقى ضعفاء وأضعف من أن نجابه أيّاً كان، حتى وإن اعتدى علينا واحتلَّ جزءاً من أراضينا.

ط ـ عدم المناداة بما يسمونه «صراع الحضارات»؛ لأننا لا نصارع أحداً، ولا نقاوم ولا نهاجم أحداً، ولا نعتدي على أحد، ولكننا في الوقت ذاته غير عاجزين عن التصدي لإرهابهم الكبير ولعنفهم ولمدِّهم الاستعماري الغاشم، وسنحول دون أن ينهبوا ثرواتنا ومقدَّراتنا ومياهنا.

ي ـ عدم استئجار عملاء ملحدين من أمثال سلمان رشدي والصحافي المغمور في الدانمارك وتجنيدهم للإساءة للإسلام والمسلمين ولسيد الخلق أجمعين محمد ﷺ، كما كانوا يجندون في الماضي أعداداً كبيرة من المستشرقين والمبشرين والمتفلسفين وغيرهم.

فالأسلوب رخيص ودنيء ومرفوض، خصوصاً وأن سيد الأنام عليه أفضل الصلاة والسلام لم يُعاصر هؤلاء المتنطِّعين الملحدين، ولم يؤذ أحداً منهم أبداً، ولم يَرِدْ ذكر أحدهم في سيرته النبوية الشريفة! فلماذا يهاجمونه ويسيئون إليه على هذا النحو المشين؟!.

ك ـ إقلاع رؤساء دول الإلحاد كـ **بوش وتوني بلير** عن المناداة بحروب صليبية جديدة كاستعراض للقوة والبلطجة، لأن في هذا استفزازاً كبيراً للمسلمين! وهل نسيت يا بوش أن الجيوش الصليبية الجرَّارة قد اندحرت في بلادنا؟! وأن **ريتشارد قلب الأسد** قائد الجيوش الصليبية عاد بقلب أرنب؟! رغم أنه في ذلك الوقت كان أكبر قائد جيش في العالم! أي على شاكلتك!.

ل ـ انسحاب إسرائيل من الجولان والضفة الغربية ومن مزارع شبعا في جنوب لبنان؛ لكي تستقر المنطقة وتنعم بالأمان والرخاء والتقدُّم.

● قبل أن أنهي حديثي هذا عن التصدِّي للغرب الملحد، أتوجَّه

بالاحترام والتقدير الكبيرين لأطفال الحجارة ولمجاهدي الانتفاضة الفلسطينية المباركة الثانية التي انفجرت كالبركان الهادر إبَّان تدنيس شارون لبيت المقدس الشريف.

لقد ذُهل العالم بأجمعه وعلى رأسهم الرئيس الأمريكي كلينتون بردة الفعل غير المتوقّعة التي فهموا من خلالها مدى تمسُّكنا بديننا وبرموز ديننا وبقداسة بيوت الله، ومدى تفانينا في الحفاظ عليها من النجس والدنس ومن كل تصرّف مشين! لقد تصدَّى الأطفال للدبابات الإسرائيلية العملاقة بأجسامهم الهزيلة وبحجارتهم العظيمة، وبذلوا عدداً كبيراً من الشهداء بغية أن تبقى راية الإسلام عالية خفَّاقة وطاهرة، وستبقى كذلك إلى يوم الدين مهما حاول اليهود والغرب الملحد إخماد جذوة ديننا الحنيف.

أخيراً: أحب أن أشكر إخواننا في الأرض والدم ـ المسيحيين العرب ـ الذين شاركوا في التظاهرات الشعبية ضد الغرب الملحد إبّان إساءة الصحافة الدانماركية لنبينا العظيم ﷺ.

لقد كان موقفهم من هذه المحنة مُشرِّفاً، ونحن نشكرهم عليه، كما نشكر لهم عدم انجرافهم في تيار الإلحاد.

فنحن وإياهم شركاء في الأرض والعرق والدم، كما أننا شركاء في الآلام والآمال والتطلّعات، ونقاوم نفس المستعمر الغاصب وعملاءه وفلاسفته وأُجَراءَه.

* * *

الفصل

١٥ ۞ الردّ على طواغيت الإلحاد

أولاً: الحقد والإجرام الغربي الصليبي:

تعتمل مراجل الحقد والغضب في صدور الغربيين ضد الإسلام والمسلمين منذ اندحارهم المرير في حروبهم الصليبية التي شنُّوها علينا.. لقد جاؤونا معتدين، وكل غايتهم إيقاف المدِّ الإسلامي ومحو هذا الدين الجديد، وقتل ما أمكن من متَّبعيه.

لقد ذبحوا سبعين ألفاً من أهل القدس في يوم واحد، وهو يوم احتلالهم لمدينتنا المقدَّسة!.. ذبحوهم ذبح الخراف ولم تأخذهم رأفة ولا رحمة لا بالشيوخ ولا بالنساء ولا بالأطفال الصغار أحباء الله؛ ذبحوهم فقط لكونهم مسلمين موحِّدين.. إنها همجية ووحشية ودموية لم يسبقهم إليها أحد!.

وكما فشلوا في حروبهم الصليبية فشل لاحقاً مخططهم الاستعماري الحديث، ولكنهم قتلوا مئات الآلاف من المسلمين الأبرياء الأطهار في كل من سورية ولبنان ومصر وفلسطين وليبيا، وفي الجزائر الأبيَّة التي ضحَّت بمليون شهيد في مسيرة التحرير.. كما أعملوا أسلحتهم الفتَّاكة في مسلمي الفيليبين، فقتلوا الكثيرين وشرَّدوا كثيرين ودمّروا البيوت على سكانها ووضعوا الناجين منهم أمام خيارين اثنين لا ثالث لهما: الارتداد عن الإسلام أو الموت!.. كما تكررت الأحداث والمحن نفسها في الهند وأندونيسيا وفي كافة أصقاع الأرض التي عمرها المسلمون.. كما قتلوا مئات الآلاف من مسلمي البوسنة والهرسك والشيشان الأبيَّة، وكل ذنبهم أنهم يسبِّحون بحمد ربهم.

أما في روسيا فقد قتل البلشفيون (١٨) مليوناً من المسلمين لأنهم رفضوا أن يمتثلوا لأوامر لينين بترك الدين؛ لقد نفوهم إلى سيبيرية وتركوهم دون غذاء ولا كساء ولا تدفئة، وأذاقوهم ألوان المهانة والعذاب.. لقد قُتلوا بوحشية ما بعدها وحشية سوى وحشية شارون وطواغيته، الذين انقضّوا كالوحوش الكاسرة على الآمنين والعزَّل في كافة مدن الضفة الغربية في إبريل/نيسان (٢٠٠٢م) فقتلوا الآلاف ونسفوا البيوت على رؤوس أصحابها بالصواريخ الأمريكية وبطائرات أمريكا ودباباتها ومدافعها.. وليحولوا دون افتضاح وحشيتهم وإرهابهم فرضوا منع التجوّل ستة أيام وتركوا الشعب الفلسطيني الأبيّ بلا طعام ولا شراب ولا كهرباء ولا دواء للمرضى والمسنين، وبلا حليب للأطفال الأبرياء.. لقد فرضوا حظر التجوُّل ليتسنّى لهم إخفاء الشهداء في قبور جماعية لئلا ترى شعوب الأرض وحكوماتها نتائج العدوان الغاشم فيُقلعوا عن دعمها المُطلق ومؤازرتها المجحفة.

ولكن الحديد والنار وإرهاب الدولة والإذلال وسفك الدماء ما كانت في يوم من الأيام وسيلة لتحقيق مآرب المعتدين الغاشمين، لذا فشلت خطط الغرب الملحد ضد شعوبنا، وذهبت مساعيهم وآمالهم أدراج الرياح، وأضحت في خبر كان، وبقي الإسلام وسيبقى حتى يوم الدين قويّاً شفافاً روحانيّاً نضراً وصامداً يتحدَّى ويصدّ ويقاوم.

ثانياً: استخدام أسلوب المكر والخداع والطعن بالإسلام والقرآن والرسول ﷺ:

بعد الحروب الصليبية نهج مفكرو الغرب الملحد المتعصّبون ضد الإسلام أسلوب المكر والخداع والطعن بالإسلام ونبي الإسلام وبالقرآن، علّهم يزلزلوا أركان هذا الدين الحنيف ويحدّوا من انتشاره السريع.

لقد ناصبوا ديننا العداء لأنهم وجدوه دين محبة وسلام، دين عدل ومساواة، ولأنهم وجدوه روحانيّاً إلٰهيّاً شفافاً ومحمياً من قِبَلَ الله من العبث والتحريف والمادية التي آلت إليه أديانهم وكتبهم.. لقد ناصبونا العداء لأنهم

يخشون أن يستلم المسلمون مقاليد أمور العالم من جديد، وهذا ما كان عندما كانوا مجتمعين متحدين في دولة واحدة قوية تحكم باسم الله وتطبِّق شريعته.

في هذا الشأن قال اللورد الإنكليزي المتعصِّب **كرزون**: «تصطدم أمواج التبشير بسدٍّ منيع من صخور إسلامية صلدة، وهي تحاول عبثاً تفتيتها أو هدمها، ولكنها لن تحقِّق غايتها طالما بقي القرآن وبقيت الشعوب المسلمة منقادة لتعاليم هذا الكتاب السماوي، وإذا اتَّحد المسلمون في إمبراطورية واحدة فإنهم سيكونون لعنة على الغرب وعلى العالم».. هذا هو سرُّ حقدهم وكراهيتهم لنا ولديننا وكتابنا الجليل.

أمَّا المستشرق الألماني **بيكر** فقد كشف من خلال تصريحاته عن نوايا الغرب الملحد والهدف من وراء حركات التنصير والتبشير والتغريب، كما بيَّن أسباب كراهيتهم وحقدهم وعدائهم للإسلام والمسلمين؛ فقال: «العداء بين النصرانية والإسلام قائم منذ قرون وسيظل.. لقد كان سبب هذا العداء انتشار الإسلام في العصور الوسطى في أماكن كثيرة وواسعة كانت تخضع لسيطرة الكنيسة، كما أن انتشار الإسلام السريع يشكل عائقاً كبيراً وسدّاً منيعاً في وجه الاستعمار والنصرانية.. إن الهدف الرئيس للتنصير والتبشير والتغريب هو تمكين الغرب النصراني من البلاد الإسلامية كمقدمة لاستعمارها وإذلالها وإضعاف أهلها ونزع الإسلام منها».. وهذا ما خطط له جورج بوش الابن.

لقد حثَّ الداهية المبشِّر **زويمر** أتباعه وجنده المجنَّدة في بلاد المسلمين فقال: «ينبغي على المبشرين ألا يقنطوا إذا وجدوا أن نتيجة تبشيرهم ضعيفة؛ لأن هذا متوقَّع، ولكن ومن خلال جهودكم المستمرة سينمو لدى المسلمين الميل إلى الغرب وإلى علومه وثقافته وغير ذلك من أفكار التبشير (أي: الإباحية والشذوذ وتحرير المرأة وغيرها من الأفكار الهدَّامة)، وبالاستمرار دون كلل ولا ملل سيحدث التغيير المرجوّ لا محالة، إن لم يكن عاجلاً فآجلاً».

وفي مؤتمر القدس التنصيري قال هذا الماكر اللعين: «إن المهمة التي ندبتكم لها دولكم في البلاد الإسلامية ليست لإدخال المسلمين في المسيحية، لأن في ذلك هداية لهم وتكريماً لا يستحقونه، ولكن مهمتكم هي إخراجهم عن دينهم وإبعادهم عن الله، وبذلك سيتجرّدون من مكارم الأخلاق ومن مُثُلهم العليا التي رفعت شأنهم وشدَّت شعوب الأرض إليهم، والتي تعتبر أساس ازدهار ورقيِّ الأمم».

وفي مناسبة لاحقة قال هذا الشيطان لجنوده المجنَّدة: «إنكم أعددتم نشئاً لا يعرف الصلة بالله ولا يريد أن يعرفها، وأخرجتم المسلم من الإسلام ولم تدخلوه في المسيحية، وبالتالي فقد جاء النشء طبقاً لما أراده الغرب المستعمر؛ لا يهتم بعظائم الأمور، ويميل إلى الكسل والراحة، وإذا تعلَّم تعلَّم لأجل الشهرة، وإذا تبوَّأ منصباً فإنه لا يفكر إلا بالشهرة، وفي سبيل الشهرة يجود بكل شيء».

أمَّا المبشِّر **ميبز** فقد قال: «لا زالت الحروب الصليبية الباردة التي بدأها مبشرونا في القرن السابع عشر مستمرة حتى أواخر القرن العشرين.

وإلى يومنا هذا لا زال عدد كبير من الرهبان والراهبات الفرنسيين يعملون وبنشاط كبير في الشرق الأوسط، وهم ينفِّذون المهام الموكلة إليهم بالخفاء وبحذر شديدين وبدقة ونجاح بالغين».

نعم، إنهم وبسبب حقدهم الدفين لا زالوا يعتبرون الحروب الصليبية قائمة بيننا وبينهم.. لقد جعلوا منَّا أعداء وكرسوا جهودهم وفكرهم ودهاتهم وأكابر مجرميهم وجيوشهم للفتك بالمسلمين وبالدين العظيم، وكل ذنبنا أن ديننا محفوظ من العبث والتغيير، ولأنه انتشر في القرون الوسطى في أماكن كثيرة كانت تخضع لسيطرة الكنيسة ورجالاتها.

● وفي القرن الواحد والعشرين وبعد الهجوم على نيويورك وواشطن يوم (١١/ ٩/ ٢٠٠١م) كشَّر **جورج بوش الابن** عن أنيابه البشعة، وأعلن عن حرب

صليبية جديدة ضد الإسلام والمسلمين، وكأنهم برمَّتهم مسؤولون عن هذا الهجوم، متجاهلاً الموساد الإسرائيلي الذي كان وراء هذا الحَدَث! ثم راح يقذف الشعب الأفغاني البسيط بالحمم والصواريخ، ثم أعطى الضوء الأخضر للربيبة إسرائيل لتنهج نهجه في فلسطين، فكان الدمار والخراب والقتل الجماعي، وحرق الأطفال والأمهات بشكل مريع اشمأزت لبشاعته شعوب الأرض كافة.

وبعد أن سوَّت أمريكا كافة مدن أفغانستان بالأرض أعلن بوش الابن عن عزمه على ضرب العراق والصومال وكافة المناضلين ضد الاحتلال الإسرائيلي في فلسطين ولبنان، واعتبرهم إرهابيين!.

لم يكتفِ جورج بوش بهذا، بل راح يفرض رغباته ورغبات المبشِّرين على الدول الإسلامية لتغيِّر منهاج الدين ولتقلِّل ساعاته الأسبوعية، وطالبوهم بحذف الكثير من الأفكار؛ كالجهاد في سبيل إعلاء كلمة الله، وأمروهم أن يعتبروا الجهاد لتحرير الأرض من المغتصب إرهاباً.

هذه هي حضارتهم ومدنيَّتهم التي يتشدّقون بها!..

● لقد نهج المستشرقون والملحدون أساليب ماكرة كثيرة في حربهم الباردة ضد المسلمين، وراحوا يشكِّكون بديننا الحنيف، وأصدروا لنشر أفكارهم وترهاتهم كتباً كثيرة أساءت للإسلام ولنبيِّ الإسلام وللصحابة الأجلاء.

ولتحقيق غايتهم أنشؤوا الكثير الكثير من المراكز المتخصِّصة والمدارس التبشيرية، وأوكاراً كثيرة للفساد والغدر والخيانة والتخريب.. كما حاكوا المؤامرات وأشعلوا نيران الحروب بين طوائف المسلمين وقوميَّاتهم المختلفة؛ ليضعفوهم وليشتِّتوا شملهم، وليوهنوا عزيمتهم، وليزلزلوا أركان حضارتهم الإنسانية الروحية، وليمحوا الإسلام من ديارهم وصدورهم.

وافترى الملحدون الغربيون الأكاذيب تلو الأكاذيب على سيد الخلق أجمعين، ثم نهج نهجهم الفلاسفة الماديون والشيوعيون والعلمانيون والماسونيون.. لقد اختلقوا الأراجيف وأتبعوها بالكثير الكثير من التهريف والتخريف والتدليس.

والأنكى من هذا كله أنهم كانوا يفترون الفرية ثم يصدقونها، ثم يتبنّونها، ثم يروِّجون لها وكأنها حقيقة لا مرية فيها، ولا نفاق، ثم ينفقون المال الوفير على نشرها وإيصالها إلى عامة المسلمين.

ثالثاً: بعض افتراءاتهم الماكرة والرد عليها:

١ ـ من افتراءاتهم الهزيلة: اعتبارهم الراهب بحيرى، الذي عاش ومات في بصرى الشام، أستاذ سيدنا محمد عليه أفضل الصلاة والسلام، وأنه لقّنه القرآن وشريعة الإسلام!..

ولهؤلاء نقول: كيف يمكن لإنسان مثل بحيرى أن يلمّ بكل هذه العلوم والحقائق العلمية المذهلة، الدينية منها والدنيوية؟! وكيف يمكن لرجل دين عادي أن يكشف حجاب الغيب عن أمور موغلة في القدم لم يدركها العلماء إلا بعد أكثر من (١٠٠٠) سنة؟! وكيف له أن يتحدث عن حقائق علمية اكتشفت في القرن العشرين؟! كيف لبحيرى أن يكتب القرآن ويحفظه ويسنَّ التشريع وينظِّم علاقات الناس بعضهم بالبعض الآخر، وكذلك علاقتهم ببارئهم على هذا النحو الجميل المتناسق؟!.

ولو فرضنا أن القرآن وشريعة الإسلام مستمدّان من بحيرى! فكيف لسيدنا محمد ﷺ أن يلمّ بهذا كله، وأن يؤسس حضارة إسلامية سامية وعريقة من خلال لقاءين عابرين مع بحيرى، كان أولهما عندما كان الحبيب المصطفى ﷺ في ربيعه التاسع برفقة عمه أبي طالب عندما كان في تجارة له إلى الشام، بينما تمَّ اللقاء الثاني وعمره ﷺ (٢٥) سنة عندما كان برفقة ميسرة الذي كان غلاماً

لدى السيدة خديجة أم المؤمنين ـ فيما بعد ـ التي أرسلتهما على رأس قافلة تجارية إلى الشام؟!.

فهل يمكن لإنسان مهما بلغ من النبوغ والعبقرية أن يحفظ القرآن من خلال لقاءين عابرين، ناهيك عن كونه أميّاً لا يقرأ ولا يكتب؟!.

ولو كان القرآن وعلومه من لدن بحيرى، فلماذا لم ينسبه لنفسه ويبقه لشخصه ويدَّعي النبوَّة؟! ولماذا لم يلقِّن هذه العلوم وهذا القرآن العظيم لأحد غير سيد الأنام عليه أفضل الصلاة والسلام؟! ولماذا لم تحذِّر الديانات السماوية السابقة من هذا المتنبئ كما حذَّرت من المسيح الدجّال؟!..

قال تعالى: ﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ﴾ [الأنفال: ٣٠].

وفي هذا الشأن الكبير قال الحكيم العليم: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ٨٢].

وقال عزّ من قائل: ﴿قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ لِيُثَبِّتَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾ [النحل: ١٠٢].

هذا ومن ناحية أخرى، لم تتطرق الأناجيل ولا كتب العهد القديم لأيٍّ من علوم القرآن التي بحثت في الفلك والجيولوجية، ولا لعلوم البحار والجنين، ولا لتشكُّل الكون... ولا لغيرها من العلوم! فمن أين لبحيرى هذا كله؟!.

٢ ـ نسب المستشرقون القرآن وعلومه لجبر الرومي تارة، ولورقة بن نوفل تارة أخرى، كما نسبوه لسلمان الفارسي ولزيد بن حارثة ولمارية القبطية ولأم المؤمنين خديجة رضي الله عنها.

وفي العصر الحديث، وبعد أن انكشف بطلان هذه الافتراءات، راح سلمان رشدي وبتوجيه من أسياده الملحدين الماسونيين في إنكلترا يدَّعي بأن الشياطين لقَّنوا الحبيب المصطفى ﷺ هذه الآيات، وألف في ذلك كتابه (آيات

شيطانية) افترى فيه الكذب على الله ورسوله، وحادّهما، وخاض في الحديث عن زوجات الرسول ﷺ وعن صحبه الكرام وعن جبريل عليه السلام.

أ ـ بالنسبة لجبر الرومي أقول: إنه كان غلاماً نصرانيّاً امتهن الحدادة وطَرْقَ الحديد، ولم يكن لديه باعٌ في الدين والتشريع، وكان فقيراً بسيطاً ولا يتقن اللغة العربية، ولسانه لا يكاد يبين، ولم يكن يفقه شيئاً من علوم العقيدة والفقه والتوحيد والتشريع، وكان لا يدري شيئاً عن السياسة والاقتصاد، ولا عن الفلك والجيولوجية والطب وعلوم البحار! فكيف له إذاً وهو ذاك الغلام الصغير أن يأتي بكتاب عظيم معجز، وأن يكشف أموراً غيبية سالفة وأخرى مستقبلية لم يكشف العليم الخبير حجاب الغيب عنها إلا في القرن العشرين، أي بعد أكثر من (١٤٠٠) سنة من التنزيل؟! وكيف له والعربية ليست لغته أن يأتي بكتاب معجز في بلاغته وفصاحته، ويتطلّب عمل سورة من مثل سوره عقلاً فوق مستوى عقول الجن والإنس مجتمعين؟!.

وإن كان جبر الرومي قد ابتدع القرآن! فلماذا لم يبقه لنفسه ويدّعي النبوة؟! ولماذا آمن جبر بمحمد عليه أفضل الصلاة والسلام واتّبع دينه الجديد إن كان هو معلّمه الذي لقّنه القرآن وعلومه؟! إنها فرية ما فيها مرية..

قال تعالى: ﴿بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُكَذِّبُونَ ﴿٢٢﴾ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ ﴿٢٣﴾ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [الانشقاق: ٢٢ ـ ٢٤].

كما قال سبحانه رادّاً كيد الكافرين إلى نحورهم: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌۗ لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ﴾ [النحل: ١٠٣].

يكشف الحكيم العليم سرَّهم وغايتهم الدنيئة فيقول: ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [الصف: ٨].

ب ـ أما الصحابي الجليل سلمان الفارسي: فقد كان من أصبهان من

بلاد فارس، اعتنق المسيحية في بلاد الشام، ولما حضرت المنية أسقف عمورية، الذي لقَّنه الدين المسيحي، سأله سلمان: إلى من توصي بي؟ فأجابه بأنه لم يبقَ على دين النصرانية الحقِّ أحد يمكنه أن يتعلَّم منه؛ لأن الرهبان حرَّفوا الدين، ولكنه قال لسلمان: لقد أظلَّ زمان نبيٍّ مبعوث بدين إبراهيم عليه السلام في أرض العرب، وهو من سادات قريش، يأكل الهدية، ويرفض الصدقة، بين كتفيه خاتم النبوة، فالحق به.

لقد أعطاه هذا الأسقف بعضاً من علامات نبوة نبي آخر الزمان التي وردت في الإنجيل والتوراة، ليلتحق به ويتيقَّن منه ومن نبوّته بنفسه، فيؤمن به ويتَّبعه.

لقد جاءت هذه العلامات في كتب اليهود والنصارى؛ حتى إنهم عرفوه عليه أفضل الصلاة والسلام كما يعرفون أبناءهم: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ ۖ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٤٦].

غَذَّ سلمان الفارسي السير إلى المدينة، حتى إذا بلغ وادي القرى غدر به من كان برفقتهم من التجار، فاستعبدوه وباعوه لرجل يهودي، ثم باعه هذا إلى ابن عمه من بني قريظة ـ يهود المدينة المنوّرة ـ فلما وصل سلمان مع سيده الجديد إلى مشارف المدينة ورأى نخلها الذي وصفه له أسقف عمورية فرح واستبشر بقرب لقاء الحبيب.

يقول سلمان: فوالله إني لفي رأس عِذْقٍ لسيدي أعمل فيه بعض العمل وسيدي جالس، إذ أقبل ابن عمٍّ له فقال: قاتل الله بني قِيْلَة، والله إنهم يجتمعون على رجل قدم عليهم من مكة اليوم يزعمون أنه نبيّ.. فلما سمعتها أخذني الفرح حتى ظننت أني ساقط على سيدي، فنزلتُ عن النخلة فجعلتُ أقول لابن عمه ذلك: ماذا تقول؟ ماذا تقول؟.. فغضب سيدي، فلطمني بشدة ثم قال: ألهذا تركت عملك؟! فقلت: إنما أردت أن أستثبت الأمر.

وكان عندي رُطَب قد جمعته، فلما أمسيت أخذته وذهبت إلى

رسول الله ﷺ وهو بقباء ـ أول مسجد في الإسلام ـ فدخلت عليه، فقلت له: بلغني أنك رجل صالح ومعك أصحاب لك غرباء ذوو حاجة، وهذا شيء كان عندي صدقة، فرأيتكم أحقَّ به من غيركم، وقرّبت إليه الرطب، فقال ﷺ لأصحابه: **كلوا**، وأمسك هو ولم يأكل منه، فقلت في نفسي: هذه واحدة من علامات النبوّة.. ثم انصرفت عنه وجئته في المدينة برطب، فقلت له: رأيتك لا تأكل الصدقة وهذه هدية أكرمتك بها، فقبلها ﷺ وأكل منها وأمر أصحابه أن يأكلوا.. فقلت في نفسي: والله هاتان اثنتان.. ثم جئت رسول الله ﷺ ببقيع الغرقد وقد تبع جنازة رجل من الأنصار، فسلّمت عليه ثم استدرت أنظر لعلِّي أرى الخاتم الذي وصف لي صاحبي.. فلما رآني رسول الله ﷺ عرف مرامي فألقى رداءه عن ظهره فتبيَّنت الخاتم الشريف، فأقبلت عليه أقبِّله وأبكي. فقال رسول الله ﷺ: **تحوَّل**، فتحولت وجلست بين يديه وقصصت عليه حديثي.

من قصة الصحابي سلمان الفارسي التي رواها من فِيه نرى أنه لم يلتق بسيد الأنام عليه أفضل الصلاة والسلام إلا بعد هجرته إلى المدينة! فكيف لقَّنه الآيات المكيّة؟! ومن أين له بلغة وبلاغة القرآن وهو أعجمي؟!.

ج ـ أما ورقة بن نوفل: فقد كان نصرانياً، ولم يكن يلمّ بعلوم الدين ولم يكن مبشراً ولا داعياً لدينه.. عندما سمع بما جرى للنبي ﷺ في غار حراء، بشَّره بأنه نبيّ، ثم مات ورقة بعد ذلك بقليل، عاش الحبيب المصطفى ﷺ كل سني بعثته التي بلغت (٢٣) سنة بعد موت ورقة بن نوفل.

د ـ أما زيد بن حارثة: فقد كان غلاماً عند النبي الكريم ﷺ ولم يكن يعرف شيئاً عن الدين، وكان من أوائل من آمن بالرسول ﷺ، ولو كان القرآن من عنده لكان الأولى به أن ينسبه لنفسه وأن يدّعي النبوة.

هـ ـ والكلام نفسه ينطبق على أم المؤمنين، زوجة الرسول الكريم ﷺ **خديجة**، وكذلك **مارية القبطية** رضوان الله عليهنّ.

٣ ـ قال المستشرقون ومَن والاهم من علمانيين وماسونيين وشيوعيين: إن محمداً ﷺ كان صاحب عبقرية فذَّة، فابتدع القرآن وادّعى النبوة!..

أ ـ فإذا كان هذا حقّاً فمن أين له أن يلمّ بأمور الغيب السالفة والمستقبلية التي يزخر بها القرآن العظيم، والتي منها:

ـ ﴿لَّقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءْيَا بِٱلْحَقِّ ۖ لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ ۖ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا۟ فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ [الفتح: ٢٧]؟!.. لقد تحقَّقت نبوءة الرسول ﷺ ودخل المسلمون مكة كما بشَّرته الآية الكريمة السابقة.

ـ ولما نزلت الآية: ﴿أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُّنتَصِرٌ ﴿٤٤﴾ سَيُهْزَمُ ٱلْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ ﴿٤٥﴾ بَلِ ٱلسَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَٱلسَّاعَةُ أَدْهَىٰ وَأَمَرُّ﴾ [القمر: ٤٤ ـ ٤٦]، كان المسلمون آنذاك أذلّة ضعفاء، ويعانون الأمرّين من بطش قريش وجبروتها، وكانوا لا حول لهم ولا قوة، كما لم يكن الجهاد قد فُرض عليهم بعد، ثم فُرض الجهاد بعد نزول هذه الآية بسبع سنين.

لقد ذهل المسلمون لدى سماع هذه الآية التي بشَّرتهم بالنصر على كفار وصناديد قريش وهم على حالهم من الضعف والهوان، الأمر الذي جعل عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول: «أي جمع هذا الذي سيُهزم؟! وهل نحن قادرون على حماية أنفسنا من بطشهم وجبروتهم ونحن أذلة ضعفاء؟!..»، فلما كانت غزوة بدر رأى عمر رسول الله ﷺ وهو يثب في الدرع ويقول: «**سيهزم الجمع ويولون الدبر**».. عندها فقط عرف عمر تأويل الآية الكريمة.

ـ وقال تعالى: ﴿غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ﴿٢﴾ فِىٓ أَدْنَى ٱلْأَرْضِ وَهُم مِّنۢ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ﴿٣﴾ فِى بِضْعِ سِنِينَ ۗ لِلَّهِ ٱلْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِنۢ بَعْدُ ۚ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ [الروم: ٢ ـ ٤].

لقد تحقَّق ما جاء في هذه الآية الكريمة، فتمكَّن الروم الكتابيون

(النصارى) من هزيمة الفرس الوثنيين وعبّاد النار بعد تسع سنين (بضع سنين).

ـ وقال تعالى: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ۝١ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ۝٢ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ۝٣ وَٱمْرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ ۝٤ فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍۭ﴾ [المسد: ١ ـ ٥].

وبالفعل، فقد مات أبو لهب وزوجته وهما على الكفر، فحقَّت عليهما النار، مع أن معظم صناديد قريش وحَمَلَةُ لواء الكفر كأبي سفيان وخالد بن الوليد وغيرهما قد آمنوا وحسن إيمانهم، ولو أعلن أبو لهب ولو نفاقاً ورياء بأنه قد آمن فإنه كان سيضع الرسول الكريم ﷺ في وضع حرج، وسوف لن يصدِّق الناس ما يجيء به الوحي الجليل بعد ذلك.. ولكن الله شاء وقدَّر، ومات أبو لهب على الكفر، ليبقى الإعجاز الإلٰهي قويّاً وساطعاً، وليبقى القرآن صادقاً معجزاً، ودليلاً أكيداً على أنه من عند الله ومن كلماته جلّ شأنه.

ب ـ هذا ومن ناحية أخرى، فمن أين لرسول الله ﷺ أن يعلم أسرار الكون وكيفية بداية الخلق؟! ومن أين له أن يلمَّ بعلوم البحار وبطبقات الأرض وبالمستحاثات والفلك والفضاء؟! وهل كان طبيباً باحثاً فكشف أسرار الحمل وتخلُّق الجنين التي جاء على ذكرها القرآن الكريم؟!..

من هذا الشمول القرآني لعلوم العصر وكشفه للغيبيات وتنظيمه لحياة الناس اجتماعيّاً واقتصاديّاً ودينيّاً، وربطهم المتين ببارئهم، وإعجازه اللغوي الكبير الذي لم ولن يبدعه إنس ولا جن مهما بلغ من العبقرية والنبوغ؛ ليؤكد لنا أنّ هذا الأميَّ البسيط الذي قضى عمره في مجتمع بدائي؛ غير قادر على أن يأتي من عنده بمثل هذا القرآن العظيم الذي خلَّف حضارة إنسانية شامخة سطعت مئات السنين، وستبقى ساطعة شامخة نضرة جميلة وقوية إلى يوم الدين، تماماً كما شاء الله لها أن تكون.. فهل يعقلُ بعد هذا كله أن يكون هذا القرآن العظيم من عند غير الله العليِّ القدير؟!.

ج ـ وإن كان محمدٌ ﷺ عبقريّاً فذّاً كما قال ويقول المستشرقون

والشيوعيون والماركسيون واليهود والعلمانيون، أما كان أولى به وهو بذلك الذكاء أن يقبل عرض قريش بأن ينصِّبوه ملكاً عليهم، وأن يزوِّجوه ما شاء من بناتهم، وأن يجمعوا له من المال حتى يصبح أغناهم وأكثرهم عزّاً وجاهاً؟! ولكنه ﷺ فضَّل الشقاء والصبر على الأرزاء والفقر والجوع والعذاب عن ذلك العرض الذي لا يرفضه إنسان إلا إذا كان رسولاً ومن أولي العزم من الرسل صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

لقد أجاب نبيّ الهدى والرحمة قريشاً بقوله المأثور: «**والله لو وضعوا الشمس في يميني، والقمر في شمالي، على أن أترك هذا الأمر؛ ما تركته أو أهلك دونه**».. ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ﴾ [الصف: ٩].

٤ ـ لقد أنكر الغربيون نبوَّة سيدنا محمد ﷺ، وقالوا: إنه ابتدع الإسلام وإنه لم يوحَ إليه من عند الله.

أ ـ عودوا يا أعداء الله إلى (سفر التثنية: ٣٣ فقرة ١ و٢) فستقرؤون: «لقد بارك رجل الله موسى قبل موته، وقال له: جاء الرب من سيناء، وأشرق لهم من ساعير، وتلألأ من جبل فاران، وأتى من ربوات القدس وعن يمينه نار شريعة لهم».

تعني هذه الفقرة إعطاء الله لموسى التوراة في سيناء، وأعطى الإنجيل لعيسى في ساعير، وهي المنطقة الممتدة من القدس إلى الخليل، واستعلانه من جبل فاران ـ **وفاران**: اسم جبال مكة، وغار حراء فيها ـ لقد نزل جبريل عليه السلام على سيدنا محمد ﷺ وهو في الغار يتأمّل في ملكوت الله جل جلاله..

يقابل هذه الفقرة في القرآن الكريم: ﴿وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيْتُونِ ۝١ وَطُورِ سِينِينَ ۝٢ وَهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ٱلْأَمِينِ﴾ [التين: ١ ـ ٣].

ب ـ كما ورد في التوراة بأن محمداً سيكون من صلب قيدار بن

إسماعيل عليه السلام الذي سيظهر في مكة، وسيكون مهاجره جبال سلع في المدينة المنوّرة.

ج ـ كما ورد في إنجيل يوحنا (في الفقرتين ٢٦ و٢٧ من الإصحاح ١٥) ما يلي: «فلو قد جاء المنخمنا هذا الذي يرسله الله إليكم من عند الرب الروح؛ فهو شهيد عليّ وأنتم أيضاً؛ لأنكم قديماً كنتم معي. هذا قولي فلا تشكّوا إذا جاء».

أما **المنخمنا** في العبرية فهي تعني محمداً وأحمد والحمد والمحمود.

د ـ وفي (الفقرة ١٦ من الإصحاح ١٤) من إنجيل يوحنا جاء: «أنا أطلب من الرب أن يعطيكم فارقليطاً ليثبت معكم إلى الأبد». **والفارقليط**: باليونانية تعني أحمد ومحمداً.

هـ ـ وكان إنجيل برنابا من أصدق الأناجيل، وقد نقل عنه علماء المسلمين الأوائل العديد من الشواهد التي نبأت بمقدم الحبيب ﷺ، ولكن هذا الإنجيل اختفى وبقيت الأناجيل المحرَّفة، وهي تتعرَّض باستمرار إلى المزيد من التغيير حتى لم يبق من معالمها الإلٰهية إلا النزر اليسير..

ولكن ورغم كل شيء لا زال في كلٍّ من التوراة والإنجيل ما يدل على مجيء نبي آخر الزمان عليه أفضل الصلاة والسلام.. لقد جاء في (سفر الرؤيا: ١٨/٥) أن الدين الجديد سينتقل من بني إسرائيل إلى عاصمة جديدة مكعَّبة، وإن أهل هذا الدين الجديد سيرتِّلون ترتيلة جديدة. **والترتيلة الجديدة**: تعني لغة جديدة غير العبرية (لغة اليهود)، والعاصمة الجديدة المكعَّبة هي مكة المكرّمة.

و ـ كما جاء في العهد القديم (في سفر التثنية: ١٨/١٨) أن نبي آخر الزمان سيكون بليغ اللسان، وأنه لن يكون من شجرة بني إسرائيل (يعقوب)، وإنما سيكون من الفرع الإبراهيمي الآخر (أي: من سيدنا إسماعيل)، وجاء في نفس السفر: «أُقيم لهم نبيّاً من وسط المقصود بكلام الله سيكون في فمه: أن

نبي آخر الزمان سيكون أميّاً لا يقرأ ولا يكتب، وبالتالي ما سيرد على لسانه سيكون كلام الله ووحيه (أي: القرآن)».

وهذا ما كان، فقد جاء النبي العربي أميّاً، وهو من نسل سيدنا إسماعيل عليه السلام ومن مكة المكرَّمة، حيث بيت الله الحرام والكعبة المشرَّفة.. في هذا الشأن العظيم قال الحكيم العليم: ﴿وَمَا كُنتَ تَتْلُوا۟ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَـٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ ۖ إِذًا لَّٱرْتَابَ ٱلْمُبْطِلُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٨].

نعم، ولو لم يكن عليه أفضل الصلاة والسلام أمياً لقال المرجفون والمبطلون والخراصون الملحدون بأنه قد نقل القرآن وعلوم الدين من الديانات السابقة، ومن الحضارات والفلسفات السالفة!.. ولكن أيّاً من هذه الديانات والحضارات والفلسفات لم تتطرق لعلوم القرآن، ولم تكشف ما كشفه من أسرار؛ مثل: كروية الأرض، وبداية خلق الكون والإنسان... وغيرها كثير.

رابعاً: التلمود وتحريف التوراة والإنجيل:

لقد حرَّف اليهود التوراة والإنجيل، وفسّروهما بما يناسب أهواءهم وفساد جبلَّتهم، فأوجدوا التلمود بعد أكثر من (٢٠٠٠) سنة من انتقال موسى عليه السلام إلى الرفيق الأعلى، فاعتمدوه وأسبغوا عليه صفة القدسية، وجعلوا كتب الله وراءهم ظهرياً، وعندما فشلوا من النيل من قرآننا المجيد ومن شريعتنا الإلٰهية السمحة، قذفوهما بأقذع العبارات.

لم يشف هذا غليلهم، ولم يطفئ نيران الحقد التي تعتمل في صدورهم، لذا راحوا يتطاولون على الله ورسوله، وتعرَّضوا لأمهات المؤمنين ولأئمة المسلمين وللصحابة أجمعين، هادفين من وراء ذلك نزع الهيبة والقدسية والجلال والوقار عن هذا الدين الحنيف؛ قال تعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَـٰفِرُونَ﴾ [التوبة: ٣٢].

وقال سبحانه: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ﴾ [التوبة: ٣٣].

وكما شاءت قدرته ﷻ فستعلو كلمة الحق والدين، وإن جنّد الكفار آلافاً مؤلفة من المستشرقين والملحدين، ومن الضالين المضلين أعداء الله والدين، وسيبقى الإسلام شامخاً قويّاً ونضراً على الدوام، وسيهدد سدنة الإلحاد والملحدين، وسيقوّض أركان المادية والماسونية والعلمانية، وسيمحق فلسفاتهم ويبدِّد أفكارهم وإيديولوجياتهم.

خامساً: يعتبرون الإسلام مصدر الخطر الرئيس على العالم الغربي بعد نهاية الشيوعية:

في هذا الصدد قال القسّ الأمريكي سواجارت: «لم تعد الشيوعية ولا روسية مصدر الخطر الرئيس على العالم الغربي، فقد أخذ الإسلام المكانة الأولى في هذا الصدد؛ لأنه يغزو بلادنا بسرعة مذهلة.. لقد احتلت بريطانيا معظم دول العالم الإسلامي لتمحق هذا الدين، ولكن لندن الآن مركز كبير لنشاط المسلمين، وهي تؤوي إليها كبار شخصياتهم وقادتهم.

هذا ومن ناحية أخرى، فقد أضحى عدد المراكز الإسلامية في أمريكا أكبر من عدد الشيوعيين الأمريكيين!.. إنه لمن المذهل حقّاً أن تتراجع الشيوعية في الشرق والغرب ليحل محلها الإسلام، الذي أضحى قويّاً ويهدد مصير شعوبنا».

إنهم يخشون الإسلام ويعتبرونه كابوساً يؤرِّقهم ويكتم أنفاسهم.. ولكن كيف يهدد الإسلام وجودهم ومصيرهم وهو دين المحبة والإخاء والسلام؟!.. إنها ذريعة واهية يحث القسّ من خلالها حكومته والعالم الغربي ليتصدّوا لديننا الحنيف ليحدُّوا من مدِّه وانتشاره.

أمّا المعهد الفرنسي للعلاقات الدولية؛ فقد أصدر عام (١٩٨٨م) ما

مفاده: «يزداد المدّ الإسلامي ويزدهر هذا الدين من جديد في العالم على حساب نفوذ الدولتين العظميين».

سادساً: إقبال الغرب على الدخول في الإسلام:

نعم، والحمد لله على نعمه وعلى هذه الصحوة الإسلامية البديعة، وعلى إقبال الغرب على الدخول في رحاب الإسلام، الذي طهَّرهم من الدنس، ومن المنكر والبغي والإلحاد، ومن كافة الفواحش التي تزخر بها حضارتهم.

لقد تتابع الغربيون على دخول ديننا الحنيف؛ لأنهم وجدوه روحانيّاً إلٰهيّاً شفافاً، وبعيداً عن المادية وفلسفات العصر المضلِّلة.. كما وجدوا فيه راحة النفوس واطمئنان القلوب.. لقد أحبوه لأنهم وجدوا فيه ضالتهم المنشودة وسعادتهم في الدنيا والآخرة.

هذا هو السرّ وراء المدِّ الإسلامي الحديث في مشارق الأرض ومغاربها، وهذا بالضبط ما يقضّ مضاجع مفكِّري المادية والإلحاد.

سابعاً: قصة الغرانيق والرد عليها:

بعد أن فشلت كافة محاولاتهم وافتراءاتهم وأساليبهم السابقة للنيل من الإسلام ومن رسول الإسلام؛ قالوا: إن شيطاناً أملى عليه ﷺ القرآن[1].

قال ابن أبي حاتم: حدَّثنا يونس بن حبيب، حدَّثنا أبو داود، حدَّثنا شعبة، عن أبي بشر، عن سعيد بن جبير، قال: قرأ رسول الله ﷺ ذات مرة سورة النجم وهو يصلي في الحرم، حتى إذا انتهى إلى ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ﴾ [النجم: ١٩ ـ ٢٠] ألقى الشيطان على لسانه[2]: «تلك الغرانيق العلى، وإن شفاعتهن لترجى»، ففرح مشركو قريش بذلك واستبشروا؛

---

(١) من كتاب: الآيات الشيطانية.

(٢) أي: مقلداً صوته، فظن المشركون أن ذلك صوت النبي ﷺ.

لأنه عليه أفضل الصلاة والسلام لم يذكر آلهتهم بخير أبداً قبل ذلك حتى عندما كان طفلاً وقَبْلَ أن ينزل عليه الوحي..

من فوره نزل جبريل عليه السلام بالوحي فقال: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلْقَى ٱلشَّيْطَٰنُ فِىٓ أُمْنِيَّتِهِۦ فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ ثُمَّ يُحْكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٢﴾ لِّيَجْعَلَ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ فِتْنَةً لِّلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ ۗ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَفِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ ﴿٥٣﴾ وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَيُؤْمِنُوا۟ بِهِۦ فَتُخْبِتَ لَهُۥ قُلُوبُهُمْ ۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الحج: ٥٢ ـ ٥٤].

لقد كان هذا سجع الشيطان وفتنته ومكره، فوقعت هاتان الكلمتان في أمنية الرسول «أي: في حديثه».

واستبشر كفار قريش وهللوا لأنهم ساوموه على مثل هذا الكلام في حقِّ آلهتهم مراراً وتكراراً، وطلبوا منه أن يذكرها بخير وأن يُعرض عن تسفيهها وتسفيه من يعبدها، وكان عليه أفضل الصلاة والسلام يرفض طلبهم في كل مرة[١].

لقد وقعت هذه الحادثة لكافة أنبياء الله؛ لأن الشيطان لا ينفك عن الكيد والمكر والطعن بالدين وبشرائع السماء.

لقد حفظ اللهُ القرآنَ من التحريف والافتراء، ومن الإدخال عليه ما ليس منه، فقال سبحانه: ﴿لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فصلت: ٤٢]، ولكن الذين في قلوبهم مرض انقادوا وراء شياطينهم وأسيادهم، وراحوا يروِّجون لهذه الحادثة العَرَضيّة، كما راحوا ينسبون القرآن الكريم للشياطين!.. ﴿لِّيَجْعَلَ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ فِتْنَةً لِّلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ ۗ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَفِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ﴾ [الحج: ٥٣].

---

(١) انظر كتاب: نصب المجانيق لنسف قصة الغرانيق، للشيخ محمد ناصر الدين الألباني.

● **وختاماً**: اعلموا يا أعداء الله أنكم لن تغيِّروا من حقيقة الحقِّ والدين قيد أنملة ولو اجتمعتم على ذلك، ولو نفثتم كافة الحقد والبغضاء والضغينة التي تعتمل في صدوركم دفعة واحدة، واعلموا أنكم مهما بلغتم من العدد والقوة لا تعدلون عند ربِّ الأرباب ملك السموات والأرض جناح بعوضة، واعلموا أنكم لستم بمعجزين في الأرض، ولا يغرَّنكم تقلّبكم في البلاد، متاعكم قليل ثم مأواكم جهنم وبئس المهاد..

﴿مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنۡ أُكۡرِهَ وَقَلۡبُهُۥ مُطۡمَئِنُّۢ بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلۡكُفۡرِ صَدۡرٗا فَعَلَيۡهِمۡ غَضَبٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ١٠٦ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱسۡتَحَبُّواْ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا عَلَى ٱلۡأٓخِرَةِ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ١٠٧ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ وَسَمۡعِهِمۡ وَأَبۡصَٰرِهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡغَٰفِلُونَ ١٠٨ لَا جَرَمَ أَنَّهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ﴾ [النحل: ١٠٦ ـ ١٠٩].

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱرۡتَدُّواْ عَلَىٰٓ أَدۡبَٰرِهِم مِّنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلۡهُدَى ٱلشَّيۡطَٰنُ سَوَّلَ لَهُمۡ وَأَمۡلَىٰ لَهُمۡ﴾ [محمد: ٢٥].

وفيهم قال الكبير المتعال: ﴿وَمَن يَرۡتَدِدۡ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتۡ وَهُوَ كَافِرٞ فَأُوْلَٰٓئِكَ حَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [البقرة: ٢١٧].

* * *

خاتمة

لقد استشرى الإلحاد في الأرض، واستحكم الزيغ في عقول الكثيرين من المسلمين وساستهم ومفكريهم، وصار لزاماً على علمائنا أن ينهضوا من كبوتهم نهضة رجل واحد، وعليهم أن يشحذوا هممهم وأقلامهم، وأن يُعملوا فكرهم بما يُرضي الله ورسوله، ثم يتصدّوا لتيار الإلحاد والعلمانية العارم، ذلك التيار الذي انقضَّ على أمتنا الإسلامية من كل حدب وصوب، فجرف الكثيرين من ضعاف القلوب إلى موارد الهلاك والعذاب والمهانة في الدنيا والآخرة.

لقد نوَّه سيد الأنام عليه أفضل الصلاة والسلام إلى الدور الكبير الفعَّال للعلماء في التصدِّي لموجات الكفر والإلحاد؛ فقال: «**إنَّ مَثَلَ العلماء كمثل النجوم في السماء يُهتدى بها في ظلمات البر والبحر، فإذا انطمست النجوم أوشك أن تضل الهداة**».. وما دام العلم باقياً في الأرض فالناس في هدى، وبقاء العلم ببقاء حملته، فإذا ذهب حملته ومن يقوم به وقع الناس في الضلال[1].

أمّا العلم الذي يرمي إليه الحديث النبوي الشريف فهو العلم الذي يؤثر محبة الله ورسوله عمّا سواهما.

وهو العلم الذي يبعث على العمل، ويُثبت وجود الله، ويُظهر آلاءه وعظمته وبديع خلقه وقدراته سبحانه وتعالى.

---

(١) رواه أحمد في: المسند: ٣/ ١٥٧، إلى قوله: «**أوشك أن تضلّ الهداة**» وإسناده ضعيف.

وهو العلم الذي يتسامى بالروح وينقيها من درن وفلسفات العصر.

وهو العلم الذي يخلِّص النفس من الشك والوساوس، ويبعد عنها الهواجس والقلق والاضطراب.

وهو العلم الذي يرسِّخ الإيمان في القلب، ويبعث الأمل ويقوِّي العزيمة بعد نومنا العميق الذي امتد مئات السنين.

وهو العلم الذي يدعو إلى التأمّل والتبصّر في ملكوت الكبير المتعال، ويكشف النقاب عن آياته وآلائه ﷻ ومعجزاته في كل ما خلق وفلق وبرأ.

وهو العلم الذي يناهض الملحدين ويدحض افتراءاتهم، ويوقف مدّهم، ويضع حدّاً لتضليلهم وإغوائهم للبسطاء ولضعاف القلوب من عامة الشعب.

وهو العلم الذي سيرتقي بنا إلى مستوى الغرب تكنولوجيّاً وعسكريّاً ومعلوماتيّاً.

وهو العلم الذي سينصرنا على أعدائنا الذين تكالبوا على بلادنا وثرواتنا وقدراتنا تكالب الأكلة الجياع على قصعتها...

ودون هذا العلم وذاك العمل الجادّ اللذين أمرنا بهما الله ورسوله سوف لن تقوم لنا قائمة، وسنبقى أمة مشتَّتة مهدَّدة لا حول لها ولا قوة.

لقد أوجد الغرب الملحد الكيان الصهيوني المغتصب في قلب وطننا، وأمدَّه بالمال والسلاح وبالقنابل الذرية وبباقي أسلحة الدمار الشامل، ليفتَّ عضدنا وليضعفنا ويكسر شوكتنا، وليستنزف طاقاتنا وثروات بلادنا، ولنحصر اهتمامنا في الدفاع عن أنفسنا من شرِّ الآلة العسكرية الهمجية الفتاكة التي تهدِّد وجودنا ومقدَّساتنا في كل آنٍ وكل حين، وبذلك سنبقى بعيدين عن مسيرة التقدّم والتطور. كما كان غرض الغرب من تزويد إسرائيل بالترسانة العسكرية الأمريكية المتطورة أن تنسف وبسهولة وخلال أيام معدودات ما يبنيه أشقاؤنا الفلسطينيون وحكومتهم خلال عقود من الجهد والعمل الدؤوب، وبذلك سنبقى

ضعفاء متخلفين، ولاهثين على الدوام وراء لقمة العيش، وبعيدين كل البعد عن التطور والازدهار.

إنه مخطط صهيوني غربي ماكر لا بد من التصدي له بحكمة وعلم وعمل دؤوب لا يأتيه كلل ولا ملل ولا نَصَب.

في الختام: أرجو أن يكون هذا الكتاب قبس نور يبدِّد ظلمات الجهل والغفلة، ويقتلع الشك والهواجس والوساوس وبذور الإلحاد من النفوس الحائرة، كما أرجو أن يقوِّم الأقلام المنحرفة، وأن يأخذ بيد أصحابها إلى جادة الحق والنور وإلى صراط الله المستقيم.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا ونبينا وحبيبنا وشفيعنا محمد، وعلى آله وصحبه وسلم.

المؤلف

الدكتور محمد نبيل النشواتي

مراجع الكتاب

١ - **القرآن الكريم**.

٢ - **تفسير القرآن العظيم**، لابن كثير.

٣ - **الفتح الكبير (الجامع الصغير وزيادته)**، لمحمد ناصر الدين الألباني.

٤ - **الكتاب المقدَّس** (كتاب العهد القديم والحديث).

٥ - **ركائز الإيمان**، للأستاذ محمد الغزالي.

٦ - **كتاب التوحيد**، للإمام أبي بكر ابن خزيمة النيسابوري.

٧ - **الاستشراق والمستشرقون**، للدكتور مصطفى السباعي.

٨ - **خطر اليهودية العالمية على الإسلام**، للأستاذ عبد الله التل.

٩ - **اليهود واليهودية**، للدكتور أحمد فرج.

١٠ - **وجود الله بالدليل العلمي والعقلي**، د. محمد نبيل النشواتي.

١١ - **الإعجاز الإلٰهي في خلق الإنسان**، د. محمد نبيل النشواتي.

١٢ - **الماسونية نشأتها وأهدافها**، للدكتور أسعد السحمراني.

١٣ - **الماسونية بين الانحراف والأصولية**، ترجمة الأستاذ يوسف ضومط.

١٤ - **أحجار على رقعة الشطرنج**، غاي كار وليام، ترجمة الأستاذ سعيد الجزائرلي.

١٥ - **العلم يدعو للإيمان**، للأستاذ كريسي موريسون، وترجمة الأستاذ محمود صالح الفلكي.

١٦ - **الله يتجلّى في عصر العلم**، لمجموعة من علماء الغرب، ترجمة الدكتور الدمرداش عبد المجيد سرحان.

١٧ - **الشيوعية منشأً ومسلكاً**، للأستاذ دندل جبر.

١٨ - **أوهام المادية الجدلية**، لفضيلة الشيخ الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي.

١٩ - **مذاهب فكرية معاصرة**، للأستاذ محمد قطب.

٢٠ - **الإلحاد في الغرب**، للدكتور رمسيس عوض.

٢١ - **The Developing Human**، للبروفسور كيث مور.

٢٢ - **Medical Emberyology**، للبروفسور جان لانغمان.

٢٣ - **Guyton Textbook of Physiology**.

* * *

الفهرس

الفصل الثاني
التغريب وتحديث الفكر الإسلامي

الفصل الثالث
الاستشراق (Orientalism)

الفصل الرابع
التبشير والتنصير

الفصل الخامس
فلسفة فرويد

الفصل السادس
الصهيونية العالمية المجرمة

الفصل التاسع
المادية الجدلية الدياليكتية

الفصل العاشر
الداروينية

الفصل الحادي عشر
الردّ على نظريات داروين

الفصل الثاني عشر
حضارتهم آيلة للسقوط

الفصل الثالث عشر
وجود الله بالدليل العلمي والعقلي والمادي

الفصل الرابع عشر
انتهاك حرية الفكر والتعبير

الفصل الخامس عشر
الردّ على طواغيت الإلحاد

* * *